

obeikandi.com

ذاكرة النسيان

الكتاب : ذاكرة النسيان

المؤلف : هبه الفايد

تصميم الغلاف : إسلام علام

تدقيق لغوي : محسن عباس

رقم الإيداع : 2014/16538

الترقيم الدولي : 4- 978-977-6436-79

الطبعة الأولى : 2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

[Noon\\_publishing@yahoo.com](mailto:Noon_publishing@yahoo.com)

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



# ذاكرة النسيان

رواية لـ

هبة الفايد

للنشر  
والتوزيع

obeikandi.com

إهداء إلى  
أمي ...  
زوجي ...  
وابنتي ...  
حفظكم الله ورعاكم لي ...

obeikandi.com

## ذاكرة البداية

" بدايات ... لكل شيء بداية كما له نهاية..!!"

ثورة 25 يناير

اركض

صرخ نادر بصرامة بينما كانت الأنفاس تتعالى بلهات حاد قال بقسوة حين وجد مروان يتوقف ليلتقط بضعة أنفاس : اركض لا تتوقف

إلا أن مروان تجاهله بإرهاق فقد أصيب منذ قليل بخرطوش في قدمه بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه القوة الجسدية التي يتمتع بها نادر ولا أسر، يحتاج بضعة أنفاس .. يحتاج فقط لقليل من الهواء النظيف .. كانت قنابل الدخان في كل مكان .. الجو يدعو للاختناق ... للموت لم يكن يستطيع التنفس إلا أن أسر جذبه من ذراعه ، وهو يقول بلهجه خشنة :-  
هيا مروان أنت تعلم أننا لا نستطيع التوقف هنا

اعتدل مروان وهو يشير لهما بالمواصلة .. كان الجميع يهرولون في كل مكان .. وقد بدأت غارة أخرى من غارات رجال الداخلية والقناصة .. المنتشرين بكل مكان ... أشار نادر لهم بصرامة ، وقد كهم فمه بمنديل أبيض ليتبعاه بصمت لمدخل عمارة ما .. كان المدخل مظلم .. ومتهدم قليلا .. لكنه كان كافيا ليختبئ به بعض الوقت .. المحزن أنهم لا يدرون ممن يختبئون تحديداً ..! من رجال الداخلية .. من البلطجية الذين انتشروا بشكل كثيف ومنظم .. من الحانقين والغاضبين والمتشككين أم من أنفسهم ..!

ارتقى أسر بجوار نادر أرضاً بعد أن ساعد مروان على الجلوس بقدمه المصابة، خيم الصمت على ثلاثتهم ، وكل منهم مشغول بأفكاره الخاصة .. حين بدأ صوت الهرج والمرج يسود مرة أخرى حولهم .. كان هناك من يقتربون .. ربما كانوا من رجال الداخلية .. ربما كانوا من البلطجية لكن الشيء الوحيد الذي مريبال أسر

لم يكن نادر ليتحمل أن يحدث له هذا ليس الآن .. ! هكذا فكر أسر لهمس بصرامة

" اتركنا نادر .. اتركنا واذهب فمستقبلك على المحك هنا .. "

ظهر الرفض بعيني نادر اللتين التمتعنا بالتصميم .. إلا أن أسر أكمل بحزم وإصرار ولهجة قاطعة :-

" اتركنا .. أنت تعلم أنه لن يحدث لنا شيء ... نحن لا صلة لنا بأي مما يحدث .. سنخبرهم هذا وسيتركونا "

كان من السذاجة أن يصدق ذلك فعلا وقتها .. كان من السذاجة أن يبتسم لنادر مطمئناً ,وهو يتركهم مبتعداً

وكان من السذاجة أيضاً حين اقتيد للحبس .. أن يظن أن كل شيء سيكون على مايرام .. بينما لم يعد شيء كما كان منذ ذلك اليوم أبداً

وما الذكريات إلا تراكم الحاضر (رينيه شار)

\*\*\*\*\*

obeikandi.com

الفصل الأول  
عش دبايير الذكريات

" لا أحد يتخلى عن عش دبايير الذكريات في صدره رغم كل...

شيء..."

(غادة السمان)

هل وصلنا ..؟!!!

تشاءبت شادن وهي تنطق بتلك الكلمات بنعس جعل أسر يطلق ضحكة رنانة . وهو ينظر إليها بينما اكتفت هدى بابتسامة هادئة ماجعلها تنظر لهم باستغراب . وهي تنزع سماعات الأذن وتغلق اللاب متسائلة إن كانت نطقت شيئاً خاطئاً !! نزل أسرمن السيارة ليتمطى بحرية ماداً ذراعيه براحة يتنشق هواء البحر المالح المشبع برائحة اليود الرائعة .. يزيل شيئاً من تشنج الطريق قائلاً لها بابتسامة راحة :- " نعم وصلنا "

ترجلت شادن من السيارة بسرور . وهي تتمطى .. بينما اشتدشت هواء البحر المشبع باليود بلذة تبعثها هدى بصمت وشروود ، وهي تعدل من وضع حجابها.. سألتها أسر فجأة يهدوء بعد ابتعاد شادن عن السيارة قليلاً لتنظر إلى المياه اللازوردية وقد لاحظت شرودها كما العادة قائلاً :- " بم تفكرين ؟!! "

ابتسمت يهدوء مازحة :- " أفكر في البخار..."

رفع حاجبه باستغراب :- " البخار..؟!!! "

ضحكت هدى بنفس الهدوء تلك الضحكة التي يشوبها الحزن الخفي .وقالت بحكمة غريبة لم تدركها هي نفسها :- " الماء مثل الأحلام .. يتبخر حتى ينتهي ..!!! "

نظرلها باستغراب إلا أنها ابتسمت بوجهه وكأنها تدعوه ألا يتعمق بمقولتها كثيراً.. فلم يجد بد من القول :- " انتظرا هنا حتى أذهب لأوقف البواب لأخذ منه مفتاح الفيلا"

أومات له هدى بصمت بينما قالت شادن باستعطاف ،وعيناها تلمعان ببراءة :- " أنا لا أطيق صبراً سأذهب لأرى البحر من قريب وأعود سريعاً.." حين رأت أمارات الرفض بعيني أسرقالت برجاء خالص :- " أرجوك أخي ..أرجوك .. لن أبتعد "

تنهد أسربقليل من ضيق الا انه أوماً موافقا :- " لكن لا تبتعدي ولا تغيبي كثيراً نصف ساعة وتعودي إلي الشاليه ..أفهمت؟!!"  
قالت بلهفة وسعادة :- " نعم .. نعم أخي .."

أسرعت إليه تقبل كتفه ،وهو أقصى ما تستطيع بلوغه بطولها البالغ 158 بينما هو يبلغ الـ 190 سم ،ابتسم وهو يربت علي شعرها بحنان فشادن طفلة الصغيرة التي لا يستطيع رفض طلب لها ،وصلت إلي الشاطئ بوقت قياسي نظراً للهفتها .. تهادى إليها صوت الأمواج الهادئة تلامس الرمال الذهبية ما جعلها تنهد بسعادة، وصلت إلى البحر حيث خلعت صندالها ..للدع تلك الرمال الرائعة التي لازالت تحمل برودة الليل بين ثناياها تداعب أصابع قدميها المتعبتين من الجلوس بالسيارة طيلة خمس ساعات انحنيت لتلتقط صدفه صغيرة تأمل أن تكون مشقوقة من المنتصف لتعلقها فيما بعد بإحدى سلاسلها ... ابتسمت للذكريات .. كم مر من السنوات حين كانت هي وهدى طوال النهار يجتمعان الأصداف وبنيان القلاع من الرمال ..عاودها الحنين لتلك الأيام الهانئة ..لامست

قدمها موجة أخرى باردة كأنها تدعوها إلي نزول المياه .. كأنها تقول لها :-  
" كفاك مماطلة .. هيا فقد حان وقت المرح "

تلفتت حولها وحين لم تجد أحدا علي الشاطئ بدأت بخلع ملابسها ليظهر تحتها لباس البحر ,أخذت نفسا عميقا ثم أسرعت بالركض إلى المياه كانت باردة بل شديدة البروده، لكن هذا لم يمنعها من القفز بها بكل حماس اختفت تحت المياه لثواني سرعان ما خرجت منها .وهي تشهق بفرح طفولي وجسدها يرتعش من صدمة المياه الباردة أخذت تسبح وقد تناست الوقت فالشمس للآن هادئة ،أغمضت عينها لتنام علي ظهرها سابعة ببطء ،مر الوقت يهدوء وبدأت المياه تدفأ تهبت وهي تدرك أن ميعاد عودتها حان التفتت تبغي السباحة عائدة إلى الشاطئ .. حين لاحظته من بعيد .. كان يبعد عنها أكثر من ثلاثمائة متر بموازاتها عند اللسان البحري ..غلبها فضولها لتستمر بمراقبته حين رفع يديه كسباحي الأولمب، ثم قفز في المياه العميقة تسمرت بانهار وهي تنتظر صعوده لأعلى لكنه لم يصعد، انتابها القلق أرادت الخروج من المياه خاصة أنها تأخرت بالفعل، وخشيت أن ينتاب أهلها القلق لكن فضولها كان أقوى منها ،فضولها وقلقها ربما أصابه شيء ما ..؟؟!!

ربما اصطدم بإحدى الصخور الناتئة ..شهقت وخيالها يجمع بعيداً  
متناسية قفزة سباحي الألب .. ربما كان بحاجة إلى المساعدة ..؟؟!!

عاودت السباحة بقوة لتقطع تلك المسافه ،وعيناها تبحثان عنه في كل مكان ..لم تكن ضعيفة بالسباحة لكنها أيضا ليست قوية .. كانت تستطيع إنقاذ نفسها إن استدعى الأمر ..تستطيع سحبه للشط معها ..هكذا أخبرت نفسها .. إلا أنها لم تكن تتصور أن المياه بتلك المنطقة بهذا العمق

..بدأت الأمواج ترتفع خاصة أن الشمس أصبحت في كبد السماء تلقي بحرارتها على المياه ..تلفتت يميناً ويساراً لكن لا أثر له أين ذهب ..!!؟

لمحت شعره الأسود وكتفيه العريضتين يسبح بعيداً تهدت بينما همست لنفسها " إذن هنا اختفى ..بالجهة الأخرى من اللسان البحري"

لعت غبائها وفضولها ..ابتسمت لنفسها بنفس الشقاوة، وهي تضحك من حالها " أرادت أن تنقذه وهو بتلك الهيئة الأولمبية لم تكن ترى وجهه .أسرتها هيئته بالمياه كان معطياً إياها ظهره لكنها استطاعت تأمل بنيته العضلية وبشرته البرونزية التي أخذت تلمع تحت أشعة الشمس وكتفيه العريضتين شعره الأسود اللامع ..كانت تشعر بالخجل لتأملها هذا الغريب بهذا الشكل خجلت من نفسها .. فالتفتت تعاود السباحة إلى الشاطئ حين فاجأتها موجة قوية ضربتها على غفلة ..شرقت بالمياه حاولت الصعود إلى سطح المياه حين داهمتها موجة أخرى ..بدأت تشعر بالدوار خاصة أن التيار كان قوياً أخذت تجاهد ،وهي تسبح دون وعي بالاتجاهات ... حتى وجدت نفسها تصطدم بالصخور ..صرخت بشدة، وهي تحاول أن تتمسك بالصخور حتى تسترد أنفاسها .. لكن الصخور كانت زلقة الملمس مليئة بالأعشاب البحرية الخضراء والطحالب .. كانت الأمواج تدفعها بقسوة باتجاه الصخور، وهي لا تملك أن تقاومها من شدة تعيها الذي ظهر فجأة الآن ودوارها وافتقارها إلى الأنفاس الصحيحة في حين تجاهد للبقاء فوق سطح المياه .. بدأت الرؤية تصبح مشوشة بينما بدت المياه حولها حمراء بعض الشيء حين أدركت بتشوش أنها أصيبت بمكان ما ... لم تدر ما تفعل ..!!؟

حين رأت طيفه قادما باتجاهها .. لم تر ملامحه لكنها تهدت وهي تغمض عينها إزاء الشمس المواجهة لوجهها ،وهي تدرك أنه أتى لإنقاذها ..

شعرت بيدين قويتين تجذبانها بعيداً عن الصخور وصوت قوي ذي لكنة جذابة لم تستطع تمييزها يصرخ فوق الأمواج طالباً منها أن تسيح معه حتى يبتعدا عن التيار ... حاولت جاهدة أن تسيح لكن ذراعها كانتا ضعيفتين وشعرت بهما رخوتين ،قالت له بصوت أجش بفعل المياه المالحة التي ابتلعتها :- " لا أستطيع السباحه ذراعي يؤلمني "

سمعت همهمة غاضبة أجبرتها علي فتح عينها رغم الشمس لترى عينين بلون الفحم ..عينين بلون الليل ..عينين كأغوار غابة سوداء مخيفة...يظللها حاجبان كالقوس مشذبة بعناية إلهية كانت نظرتهما غاضبة، لكن يشوبها الكثير من الغموض ،شعرت به غاضب بشدة ما دعاها لتقول برثاء للذات ،وهي تشعر بنفسها تهاوى إلى بحر من الظلام " أنا آسفة "

قال الصوت الأجش والعينان الفحمتان :- " لا تقلقي ...ستكونين بخير ..لن أدع شيئاً يحدث لك !"

\*\*\*\*\*

تهاوت شادن على أول مقعد واجهها ،وهي تضع يدها برفق فوق رأسها حيث كانت تشعر بصداع رهيب ،توقفت هدى وهي تعي منظر شادن الغريب والثياب التي ترتديها لتسألها بتعجب :- " ماذا حدث لك ؟! أين ثيابك ..ولن تلك الثياب التي ترتديها ..؟! "

تهددت شادن بألم وهي تقول :-" أنا بخير .. آسفة لقد ..آه ..حدثت معي أشياء كثيرة ..دعيني ارتاح قليلا ومن ثم أحكي لك "

تهددت هدى بصبر إلا أنها قالت لها بعتاب :-" فلنطمئن أسر أولاً .. ألم تفكري حتى بالاتصال أيتها المستهترة ..!!؟ "

رفعت هاتفها المحمول وهي تتصل بأسر:- "أسر.. لقد عادت.. نعم.. لا تقلق.. بخير.. إنها بخير.. نعم حسنا بانتظارك.."

أغلقت الهاتف وهي تقول لشادن بنبرة لا تبشر بخير:- "أسر قادم"

إلا أنها شهقت حين لاحظت بقعة الدم التي تلوث كم قميصها هاتفة بجزع:- "شادن أنت مصابة.. ماذا حدث..!!؟"

همت شادن بإخبارها حين فتح الباب بطريقة عاصفة وأسر يهتف بغضب والشر ينطلق من عينيه الرماديتين وقد تحولتا إلي اللون الجليدي وهو لون تعرفه شادن جيداً

"أيتها الحمقاء.. أيتها الغبية الحمقاء أين كنت!!؟ ماذا حدث لك.. ألم أقل لك نصف ساعة فقط.. تحدثي أين ذهبت..!!؟"

قفزت شادن بفزع، وهي تحاول أن تعتذر له.. أن تشرح ما حدث بلطف كلمات ممكنة عليها تهدئ غضبه، قالت بتردد وخشية:- "أنا أسفه أسر لم يكن بيدي.."

إلا أنه لم يكن بحالة تسمح له بملاحظة ما ترتدي أو الدم القليل الذي جف بقمة ذراعها تحت القميص فاقترب منها والشر يتقافز من عينيه الرماديتين قائلاً بخشونة أربعتها وجعلت الدمع يتقافز لعينها العسليتين برعب:- "أيتها ال.. العديمة المسئولة.. أين كنت أين ذهبت..!!؟"

أخذت دموعها تتساقط بخوف إلا أنه بدا وكأنه يتمالك نفسه بصعوبة إلى أن لاحظ شعرها المشعث وثيابها المبللة جزئياً لتثور ثأثرته، وهو يجذبها بقسوة من ذراعها قائلاً بزمجرة جعلت هدى تقترب منه ببطء:-

" نحن نبحت كالمجانين عنك .. نخشى أن يكون أصابك مكروه ما .. وأنت تسبحين " قالت بتوتر متصاعد وهي تحاول تهدئته :-" أنا ..أنا اسفه ..لو فقط تدعني أشرح "

رفع يده يهوي بها علي وجهها حين أمسكت هدى يده المرفوعة بقوة وهي تقف بينهما قائلة له يهدوء :-" كلا أسر هذا يكفي .."

نظر أسر لهدى للحظة، ثم غشيت عينيه نظرة متألمة أنزل بعدها يده ، وهو يلتفت معطياً إياهن ظهره مسيطراً بقوة جبارة على توتره وغضبه مصعوق مما أوشك على فعله ،أخذت شادن تبكي بصوت مرتفع ،وقد هالها أن شقيقها أوشك على صفعها .. فقالت لها هدى بنفس الهدوء وإن كان يشوب صوتها نبرة متوترة :-" شادن اصمتي .. واذهي إلي غرفتك الآن "

أومأت بصمت وهي تنظر له بطرف عينها برجاء قائلة بصوت مبحوح تستعطفه به :-" أخي أرجوك لا تغضب مني .. دعني أشرح لك .."

إلا أنه تجاهلها ،وهو يشيح بوجهه بعيداً عنها مبتعداً إلى الشرفة التي تطل على البحر مباشرة بصمت متوتر ما دعاها إلي البكاء بصوت أعلي قليلاً .وهي تتجه إلى غرفتها بأسي ،وقفت هدى حائرة هل تذهب خلف شادن لتعرف منها ما حدث لها..!! أم تذهب خلف أسر لتهدئ من انفعاله وهي تدرك مبلغ الألم والضيق الذي يشعر به في تلك اللحظة ..! إلا أنها قررت الذهاب خلف شادن لتترك له مجالاً حتي يهدأ .. فهو حين يغضب يبدو كالوحش الكاسر، دخلت الغرفة لتجد شادن تبكي بحرقه ووجهها مدفون بالوسادة ،جلست جوارها ببطء وهي تدرك أنها رغم خطأها إلا أن أسر قسا عليها بشدة هزت رأسها فقلبيها لايطاوعها على تركها تبكي ..وهما ما أتيا إلا للتفريج عن أنفسهم ولا بد من أن هناك سببا

وجيها لتأخرها خاصة مع بقعة الدماء التي غطت ذراعها..ربتت علي شعرها الذي بدا بغاية الجفاف بفعل ملوحة المياه وهي تقول لها :- " لا بأس حبيبي لا تبكي .."

رفعت شادن رأسها عن الوسادة لتتنظر بعيني هدى العطوفتين ..فقالت لها بنبرة حانية :- " والآن هلا أخبرتي بما حدث لك بالضبط ..!!؟ "

ارتمت شادن بحجرها وهي تحكي لها ما حدث بكلمات متقطعه مكتومه لتنهاي قولها ب :- " وكما ترين لم يكن بقصد مني التأخر .. لقد أوشكت علي الغرق .. أدرك أنني مخطئة لأنني تسرعت بالزول إلي المياه .. لكنني أقسم أنني لن أفعلها مرة ثانية .. "

أكملت وعيناها تلمعان بالدموع :- " لكن من فضلك لا تدعيه يبقي غاضباً مني .. فأنا لا أطيق أن يغضب مني..أنت تعلمين كم أحبه "

ابتسمت هدى بهدوء ،وهي تمنع نفسها عن لومها فشادن كعادتها متهورة طائشة .. حمقاء قليلا ..لكنها مستحيل أن تخطئ بقصد، ربتت علي شعرها قائلة :- " حسنا انهضي اغتسلي وغيري ثيابك .. ريثما أذهب لأري أسر .. وبعدها تعالي اعتذري له "

هزت شادن رأسها بلهفة والدموع لازالت تلمع بالأحداق العسليه قائلة بأمل :- " سيسامحني .. أليس كذلك..!!؟ "

اتسعت ابتسامه هدى وهي تقول :- " أنت تعلمين أنه سيسامحك .. لطالما فعل شادن .. وأنت تعلمين هذا "

ارتعشت شفتا شادن بحزن وهي تقول :- " أنا أكره حين يغضب مني .. ولا أستطيع منع نفسي من أخطائي الحمقاء "

قالت لها هدى بحكمة :- " لا بأس لازلت صغيرة .. يوما ما ستكبرين  
وتكفين عن أخطائك تلك والآن هيا إلي الحمام "

تهددت وهي تخرج عائدة إلى أسر فوجدته واجماً ، وهو يستند بيده علي  
سور الشرفه ينظر إلى البحر الذي يماثل عينيه زرقة استندت بيديها  
الاثنتين إلى السور تنظر هي الأخرى إلي البحر قائلة :- " ما بك أسر..!!!"

ارتعشت نظرته لكنه لم يبعدها عن البحر .. صمت بضع ثوان ، ثم قال  
بصوت أجش دون أن يجيب سؤالها :- " هل أخبرتك ما حدث معها ..  
وكيف أصيبت بذراعها ؟!! "

دهشت فقد اعتقدت أنه لم ير جرحها ..أشفقت عليه وقلقه .. فهو  
يعاملها كما لو كانت ابنته .. تدرك أنه يحاول حمايتها بشتي الطرق  
..يحاول تلافي أخطاء الماضي بها ... يحاول ألا يحدث لشادن ما حدث  
لها..!! أمأت وهي تقترب منه واضعة يدها على ذراعه ببطء .. فتوتر قليلاً  
وهو ينظر إليها بألم جعلها تغص وهي تحاول إزالة حزنه بقليل من المرح  
الذي لم تكن تملكه .. قائلة بابتسامة مترددة :- " أنت تعرف شادن ..  
كعادتها أوقعت نفسها بمأزق ما ... نزلت تسبح وكادت تغرق لولا أن  
أنقذها شاب ما هو وأخته .. هذا ما حكى لي "

هز رأسه وكأن ما قالته لم يدهشه فقد توقع شيئاً مثل هذا.. إلا أنه قال  
لها بغصة :- " و جرحها "

ردت بسرعه تطمئننه :- " ليس خطيراً .. مجرد جرح سطحي "

قال بهدوء :- " حسناً .. "

والتفت ينظر مرة أخرى إلي البحر..فقررت التزام الصمت هي الأخرى متأملة هواء البحر ،وهي تشعر بالتعب والإرهاق ..حين خرجت شادن من غرفتها بتردد ،وقد استحمت وبدلت ثيابها ببيجامة طفولية الهيئة اقتربت منه بصمت متردد .. وما إن أصبحت بجواره حتى شبت على أطراف أصابعها لتقبل كتفه كما اعتادت أن تفعل .. انتفض علي إثر حركتها تلك فهو يعتبرها ابنته الصغيرة نظر إليها بحنان ..فهمست قائلة:- " أنا أسفة" ارتعش قلبه وعاد حنانه إلي الظهور رفع يده يطوقها بين ذراعيه القويتين مقبلا قمة رأسها لتهمس ببيكاء :-

" أخي أرجوك لا تغضب مني .. أنت تعرف كم أنا متهورة .. لكنني أعدك أن أتمالك زمام نفسي ولا أقع بأي مأزق آخر طالما حييت"

ابتسم وهو يدرك أن وعداها هذا لن يستمر أكثر من يومين علي أكثر تقدير فرفع وجهها له يتهدد وقد انزاحت غيوم الضيق من عينيه وعادتا دافئتين من جديد قائلا بمزاح :- " أتعدين..!"

هزت رأسها بتأكيد شديد قائلة بقوة :-" أعدك "

ابتسم ابتسامة ضعيفة وهو يقول :- " حسنا وأنا سألزمك بوعدك هذا لمدة أسبوع وليس ما حييت"

أكمل بمكر جعلها تتنفس الصعداء :- " فلن تكوني شادن إن لم تقعي بمأذق ما .."

ابتسم وهو يقول لها :- "والآن عقاباً لك اذهبي لتفريغ حقيبتي وإعداد حجرتي وتحضير الإفطار"

تغضن جبينها بشقاوة إلا أنها أسرع إلى المطبخ تفعل ما طلبه بسعاده بعدما أعطته قبلة كبيرة للغاية بأعلى كتفه وهي تهمس له :- أحبك أخي

تهمد بحزن وهو يعاود النظر للبحر بعدما غادرت شادن.. صدم من نفسه .. لم يتصور أبدا أن يكون كالرجل الذي أقسم ألا يكون مثله يوما .. والده !!

اقتربت منه هدى ببطء وقد أدركت ما يدور بعقله قائلة :- " ما بك أسر ولا تقل لي ليس هناك شيء .. فأنا أعرفك جيداً...!"  
رفع إليها عينين متوترتين وهو يقول بضيق وألم يحز بقلبه :- لقد قسوت عليها لقد أصبحت مث " "

وضعت يدها علي فمه وعيناها ترتعشان بدموع ترفض أن تنسكب قائلة بصوت أجش :-

" لا تنطقها أخي لا تنطقها حتى أنت لست مثله، ولن تكون أبداً "

أوماً بصمت وهما يتشاركان ألماً عميقاً .. وحنناً دفيناً جعله يزفر بحزن وهو يقول :- " أنا أسف .. هل لك أن تبلغها بأسفي ..لا أطيق البقاء هنا .. سأذهب لأتمشى على البحر قليلاً "

أومات والغصة تخنقها فتركها وكأن الشياطين تطارده صافعاً الباب خلفه بعنف لتطرق هدى برأسها واجمة .

\*\*\*\*\*

رفس المياہ بحدائہ دون أن يبالي بالبلبل كان بعالم آخر ..عالم من الذكريات الميرورة التي كان يفضل نسيانها أو تناسيها .. لكنها لا تنفك تعاوده بقسوة .. كان يعلم أن هدى لا تحب ( مروان) ابن عمه ... لطلالما صرحت بهذا حتي أنها أحياناً كانت تشتكي له من جرأته عليها وتحرشه بها ، ولطلالما تعارك معه بسببها لكن الأخير كان يبكي كالأطفال معلنا حبه لها ، وهو ما كان يدفعه للصمت ..إلا ذلك اليوم الذي أقسم لهدى ألا يتحدثا عنه أبداً .. ذلك اليوم الذي دخل على أثره مروان المستشفى ... لكنه ليس بنادم على ذلك كان يستحق أكثر من إصابته ببضعة ضلوع محطمة .. لم يعرف ابداً السبب الذي دفعها لتغير رأيها بين يوم وليلة لتوافق على الزواج منه .. لم يعرف .. ورفضت هي إخباره بشيء سوى أنها غيرت رأيها .

والزواج - كما أخبرته .. لحظتها بذلك التعبير الذي لن ينسأه أبداً طالما به نفس يتنفسه - تعبير شخص ميت سلبت منه الروح ولن تعود أبداً .. نفس التعبير الذي انطبع بلامحها لتختفي للأبد أخته المرحمة المبتسمة علي الدوام المحبة للحياة ..أخبرته بذلك التعبير؛ إن الزواج قسمة ونصيب !!..لم يعلم السبب ..لكنه يوم خرجت هدى من البيت لبيت مروان كزوجة ..رحل هو عن بيت والده للأبد . رفع بصره ينظر إلي البحر الذي علت أمواجه .. بدا البحر هائجاً ثائراً .. كما يشعر هو من الداخل ..تهمد ووقف متأملاً إياه سامحاً لهوائه المنعش أن يهدئ من توتره النادر الظهور ..استنشق بعمق وهو يغمض عينيه يجبر نفسه علي الاسترخاء ..أصغى إلى صوت الهواء وهدير الأمواج وهو يبتسم ببطء ..كم يعشق البحر.

\*\*\*\*\*

حين حل المساء أصر أسر أن يذهب مع شادن ليشكرا الشخص المسئول عن إنقاذ حياتها .. فهذا أقل ما يجب أن يقوموا به .. فرحت شادن كثيرا لهذا .. حيث أدركت أن أخيها سامحها بالفعل علي حماقتها سألها أسر :-  
" هل هذا هو بيتهم .. "

قالت بتردد :- " أعتقد ذلك!..! "

نظر إليها بصبر وهو يقول :- " يستحسن أن تتأكدي شادن .. فنحن لن نطرق الأبواب دون أن نتأكد .. "

رفعت نظرها تنظر يمنا ويسرة تأمل أن ترى ريم هنا أو هناك لتتأكد لكنها لم ترها .. كان الليل قد أسدل ستاره، وبدأ البحر من بعيد أسود اللون فضي الحواف .. وامتلاً الشاطئ والكورنيش نسبياً بالمصطافين .. التفتت مرة ثانية تنظر إلي الشاليمات بوجل .. حين اصطدمت عيناها بتلك العينين الفحميتين .. خفق قلبها لثانية ظنته وهي تحرق بتلك العينين كانتا تشتعلان بطاقة وقوة ونظرة نارية تلمع بالأحداق السوداء .. التفتت إلى الخلف مناديا شخصا ما بهدوء .. لتظهر ريم مقترية من الشرفة ملوحة بسعادة لشادن .. عادوت أنفاسها المحتبسة بصدرها الخروج، وهي تضحك بتوتر ضاغطة على ذراع أسر :- " انظر تلك هي ريم .. تلوح لي .. هذا منزلهم "

ابتسم :- " حسنا دعينا ننتهي من تلك الزيارة لنبدأ مصيفنا "

توجها إلي الشاليه الواقع علي الشاطئ مباشرة .. كان جميل المنظر مكون من طابقين بحديقة صغيرة رائعة تفوح منها رائحة الريحان ولها سور خشبي صغير يبدو قديماً بعض الشيء لكنه جميل ويوحى بالحميمة .  
تفضلا .. تفضلا .. "

اقتربت ريم وهي تلقي التحية بأدب وهدوء عليهما .. محتضنة شادن كأنها تعرفها منذ الأزل..تراجعت مبتعدة عنها وهي تصافح هدى ونفس الابتسامة البشوشة على وجهها كانت ريم من الأشخاص الذين يدخلون القلب بكل سهولة بوجهها البريء ..كأن هالة من نقاء وبراءة تشع منها ..إلا أن عيني شادن كانت تبحث عن شخص آخر بتهور خفيف .

أتى صوت مبتسم من خلفها يلقي التحية علي أسر قائلاً بصوت لطيف :- " أهلاً .. تفضلوا للداخل .. "

إلا أن أسر قال بهدوء وابتسامة امتنان تلمع علي شفتيه :- "عذراً لكننا أتينا لنشكركم على الاعتناء بأختي المتهورة .."

مد يده يعبث بشعرها وهو يتكلم كأنه يعاقب طفلة صغيرة ما دعا وجهها للاحمرار خجلاً بضيق، وهي تبعد يده عن شعرها .. ابتسم نائل وهو يقول بدماعة :-

" لا شكر على واجب نحن لم نفعل شيء .. هيا تفضلوا للداخل لا يصح الحديث ونحن بالباب .. هيا فأمي تعد الشاي "

نظرت شادن إلى أسر برجاء ،وهي تبغي البقاء أكثر قليلاً .. فأوما بالقبول ولازالت ذكرى الصباح تمر بخاطره .. لم يشأ أن يضايقها مرة أخرى، توجهها للداخل ليجدا بضعة أشخاص جالسين .. أتمت ريم تعريفهم بسلاسة:- " أمي ..خالتي ..وابنة خالتي "

جلس الجميع بعد التعارف ليبدأ أسر بالحديث موجهها شكره مرة ثانية للوالدة ،حين شعرت شادن بشيء ما يتغير في الهواء .. شيء ما أنبأها أن أحدهم يحرق بها .. ربما هي حاستها السادسة ..ربما هي تلك القشعريرة التي مرت على طول عمودها الفقري، أو هي نسمة الهواء الباردة المحملة

بعقب الريحين التي مرت بوجهها .. رفعت رأسها لتلتقي عينيه .. ضاقت  
عينها ببطء .. وهي تفكر بتشوش لم تكن تلك أول مرة تراه .. لكن تلك  
المرّة اتضح لها صورته أكثر .. واتقنت ملامحه حفظها أكثر .. كان فارغ  
الطول ذا شعر أسود وعينين فحميتين .. ببشره برونزية وجاذبية شرسة ..  
ملامحه لا تعبر عن شيء أبداً إلا أنها تحرك فيها أشياء تجلبها !! هو من  
أنقذها وليس نائل !!

انقطع اتصال نظراتهما حين تقدم للداخل يلقي التحية على الموجودين  
بابتسامة مرحبة ..

" محمود "

قال نائل وهو يبتسم لهم بفخر :- " أخي الكبير محمود "

إذن هذا هو اسمه .. كان هناك شيء ما به يوترها ألقى أسر عليه التحية  
، وهو يقول بصوته الرخيم وبسمة عرفان بالجميل تلوح على شفتيه :- " "  
أهلاً أستاذ محمود .. نحن شاكرين لكم إنقاذكم لتلك الشقية .. "

قالها وهو ينظر لشادن التي خفضت رأسها بضيق وخجل .. إلا أن شيئاً  
ما مر بطول عمودها الفقري حين أتى صوت محمود ببحّة هادئة، وهو  
يقول :- " لا شكر علي واجب .. نحن لم نفعل شيئاً .. "

قال أسر :- " علمت من شادن أن نائل هو من أنقذها .. هنيئاً لك بأخ  
مثله ونعم الشباب "

اتسعت ابتسامة شادن بانهار وهي تنظر لنائل بنظرة هائلة .. في حين  
قالت ريم بصوت مندهش :- " نائل !! .. لكن .. "

هتف بها محمود بنبرة قوية قاطعة تحمل شيء من التحذير بداخلها :- " ريم ..هل لك أن تجلي لي ماءً من فضلك "

وقفت ريم حائرة تنظر إليه لكنها قالت بهدوء ، وهي تهز كتفها :- " حسناً"

قال محمود وهو يلتفت لأسر بابتسام :- " تفضل اجلس ..أهلاً بك .."

جلست وهي تشعر بالحيرة لم ينكر سبب إنقاذه لها !!.. رفعت بصرها مرة أخرى تأخذ الشاي من يد ريم ..في حين أتى صوت محمود الأبح الخفيض ، وهو يتحدث مع أسر أخيها .. في حين كان نائل يشاركهم الحوار بحماس منقطع النظير دفعها للابتسام ..تطायرت بضع كلمات إليها ... كان يتحدثان حول أوضاع البلاد العربية ..والمنطقة من توترات وصراع خفي ونظريات مؤامرة تخيب مرة وتصدق مرات!!.. تأملت المكان بفضول متزايد .. منزلهم يتميز بذوق رائع حديث وليس على طراز بدو سيناء كما اعتقدته سيكون حيث لم تجد من البسط السيناوية سوى واحدة او اثنتين معلقتين على الجدار كديكور.. لفت نظرها والديهم هادئة تبدو على ملامحها بعض ملامح من حزن مستتر لم تكن كبيرة بالسن ترتدي السواد ولا تتحدث كثيراً ..جلست هدى بجوارها بهدوء كعادتها وابتساماً لطيفة تلوح علي شفقتها ..لا تدري لماذا بتلك اللحظة شعرت أن هدى تشبه أم نائل ..استغربت من هذا التشبيه..كيف تشبه أختها الشابة بامرأة عجوز.

مالت عليها ريم تقول لها وقد لاحظت شرودها :- " ما بك شادن هل هناك ما يضايقك..؟! "

انتهت شادن وهي تبتسم بهمس قائلة :- " كلا .. لا شيء ..لكنني فقط مللت من كل هذا الحوار عن السياسة .."

أكملت ساهرة بصوت أعلى قليلا كأنها تنبه أسر الذي اندمج بنقاش حام  
مع نائل :-

" فأوضاعنا هي ...هي ..لا فائدة من الحديث عنها : لأنها لا ولن تتغير  
يوما ..!! ..فلنكف عن الحديث عنها إذن .."

التفت إليها أسر بذهن شارد كأنها قاطعت تفكير عميق أو جملة كان علي  
وشك التفوه بها , بينما نظر إليها نائل بابتسامة مذهولة كأنه لا يصدق  
أن هناك أحدا ما لا يهتم بما يحدث بالوطن العربي ..أما محمود فقد  
ظهرت علي شفثيه ابتسامة ساهرة ..كأنه يشاركها سخرتها المريرة التي لم  
يفهمها من حولها اضطربت .. إلا أنها رفعت له حاجبها بتحدٍ صامت  
..اكتفى هو بتجاهله بترفع ..بينما قال لها نائل مهدوء لم يستطع أن يخفي  
بطياته ضيقه من رأيها :-

" ما يدفحك لقول هذا ..؟! ألا تستطيعين رؤية ما يحدث حولك ..الثورة  
بمصر .. تونس .. ليبيا .. وسوريا ..!!?"

أكمل بحماس :- التغيير قادم صدقيني .. الربيع العربي بدأ

ضحك أسر بسخرية، ولم يستطع أن يمنع نفسه من القول :- أي تغييريا  
صديقي العزيز بعد ثلاث سنوات من الربيع .. وصلنا لمرحلة الخريف.. "

ثم استطرد بلامبالاة تخفي مرارة خلفها :- " والآن هلا تركتنا من حديث  
السياسة الملل "

تدخلت ريم ، وهي تقول :- " عذرا سأحرمكم متعتكم بالمناقشات  
السياسية الرائعة .. "

أشارت إلى أسر بضحكة مرحة " فكما ترى ضيوفنا لم يأتوا المصيف للمناقشة في سياسات لن تتبدل أو تختفي أو تنتهي بمجرد مناقشتنا لها " جذبت ريم شادن من يدها بمرح وهي تقول لها :- " ما رأيك أن نذهب لغرفتي أريك إياها ..هل تأتي...!!?"

ذاك اليوم كان بداية صداقة قوية بين شادن و ريم و نائل هذا الفتي الوسيم.. بغمازتيه اللتين كانتا تظهران كلما ابتسم .. بعكس أخيه محمود دائم العبوس بخطوط جبينه العميقة دائمة التفكير كأنه يحمل هموم الكون علي كتفيه لم يكن يبتسم بوجهها أبدا ، وإن صادف ووجدها تتسامر مع نائل لاحت بعينيه نظرة غريبة غامضة لطالما وترتها .. أصبح هو و أسر أصدقاء سريعاً .. اهتماماتهم مشتركة ..هذا ما اعتقدته فبينما أمضت هي الوقت تتسكع مع ريم ونائل أمضى أسر الوقت مع محمود .. علمت من ريم أنهم فلسطينيون من أم مصرية وأب فلسطيني مقيمون بين العريش وفلسطين حيث لهم أقارب هناك وهم دائبو الذهاب والعودة كلما أتاحت لهم الظروف ذلك لكنهم استقروا هنا من بضع سنوات لتردي الأوضاع هناك بعد وفاة والدهم أصرت أمهم على البقاء بمصر لأنها

" أأمن "

كما قالت لها ريم بنبرة حزينة من فراقهم لفلسطين . إلا أنهم لم يملكوا إلا الانصياع لرغبتها خاصة أن محمود وهو أخوهم الأكبر وصاحب القرار من بعد والدهم المتوفي وافق والدته بقرارها ..معللاً أسبابه في ذلك برغبته أن ينهيا دراستهما بمصر.

" فلا فائدة من البكاء على اللين المسكوب "

هذا تعبيره كما قالت له ريم ..كانت سعيدة أن ريم ستأتي إلي القاهرة هي وناث بعد أسبوعين فريم تدرس آداب لغة إنجليزية بإحدى الجامعات الخاصة ...بينما نائل يدرس هندسة الطاقة .. أسعدها هذا الخبر حيث أدركت أن صداقتهم لن تنقطع وما زاد سعادتها أيضاً أن محمود لن يأتي معهما إذ يبدو أنه سيبقى هنا مع والدته انتابتها قشعريرة، وهي تتذكر نظرتة الغامضة لها ..كان يبدو أن شعورا بالكره متبادل بينهما، لم يكن يوجه لها الكلام أبداً وهي ارتاحت لهذا !!!

اتجهت لليهو وهي تقول لهدى :- " أنا ذاهبة إلى الشاطئ سأجلس مع ريم وناث قليلاً ..هل ستأتين؟! "

اعتدلت هدى وتركت كتابها جانباً ، وهي تقول بضيق حيث أن اليوم آخر أيام حريتها المؤقتة لتعود بعده لشهور من العذاب الذي لا ينتهي:- " كلا حبيبي لن آتي ..فأنا سأنهي الكتاب الذي أقرأه ثم أبدأ بتجهيز حقيبتي ..لأتنس أن أسرنبه ضرورة تجهيزنا كل شيء فنحن سنرحل باكر "

قالت لها شادن بلامبالاة وهي متلهفة للقاء ريم :- " حسنا علي راحتك.. "

اتجهت إلي الباب إلا أنها توقفت تسألها بفضول :- " حقا أين هو أسر ..؟! لم أره اليوم طوال النهار حتى أنه لم ينزل معنا المياه..؟! "

هزت هدى كتفها وهي تقول :-" لا أعلم ربما توجه إلي رفح مع محمود ..لقد ذكر شيئاً مثل هذا أمس "

كمثل كل مرة وترها مجرد ذكر اسمه بدون سبب معروف فأشارت لهدى ،وانطلقت خارجة دون أن تفكر بالتوقف لتحليل مشاعرها الغريبة انطلقت متجهة للشاطئ حيث كانت تجلس يومياً مع ريم وناث وأحياناً ريماس

وقفت تتأمل البحر .. كان وقتها المفضل لتأمله هو وقت الغروب .. حين تلقي الشمس بأشعتها البرتقالية بسطحه، وتبدأ بالنزول حتى يلامس قرص الشمس المياه ليلتحما معاً تهتدت باستمتاع، وهي تنتظر ريم ونائل اللذين تأخرا

كان فستانها الصيفي الطويل يهفهف بينما أخذ الهواء يتلاعب بأطرافه الواسعة ونقوش زهر الكرز الأحمر المطبوع على حوافه أما شعرها فبعدها يئست من تجميعه بأي شكل تركته ثائراً علي هواه ..لم تكن خصلته ناعمة لكن طوله كان يعطيه ميزة لطالما أحببتها ، حل الظلام .. لم تكن شادن ذات جمال مميز بل كان جمالها هادئ .. ذات بشرة خمرية وعيون بندقية تحوطها رموش طويلة كثيفة وقامة قصيرة ونحيلة لكنها كانت تحب هياتها .. نظرت في ساعة يدها فقد قاربت الساعة علي السابعة والنصف التفتت تنوي الذهاب للشالية للبحث عنهما .. كيف يتأخران وهما يعلمان أن اليوم هو الأخير، وأنها لن تراهما إلا بعد شهر حين يأتيان للقاهرة للدراسة..!!"

إلا أنها تسمرت مكانها بتوتر وارتباك وهي ترى الطيف الأسود الصامت الذي يبعد عنها ببضعة أمتار عرفته حتى بالظلام اقترب منها ببطء، وهو يقول بصوت أجش وعيناه تبرقان بالظلام :-

" كيف حالك شادن ..؟! "

ارتبكت فهو نادراً ما وجه لها أي كلام :- " بخير .. وأنت ؟! "

لم تجرؤ على نطق اسمه تشعر بالرهبة حتى من مجرد التفكير بهذا ...ابتسم لاويا فمه بسخرية قائلاً :- " بخير "

أخذت تنظر خلفه على أمل ..بوجل .. بقلق عل ريم ونائل يأتیان الآن لينقذاها من هذا الموقف المرئك .. قال بغموض حين استشف نظراتها:- " نائل لن يأتي "

قالت بسخط يناقض خجلها :- " لم أكن أنتظر نائل ما يدعوك لقول هذا .. أنا بانتظار ريم "

قاطعها بهدوء كإقرار بأمر واقع :- " ونائل "

همت بالاعتراض إلا أنه لم يمهلها إذ اقترب منها عدة خطوات وترتها ، وحبست الأنفاس بحلقها أرادت التراجع للخلف ، لكنها عاتبت نفسها فهو مستحيل أن يؤذيها .. ولم يؤذيها ..!؟!

عبست يا لتفكيرها الغريب لكنها لا تستطيع أن تنكر أنها تخاف منه لسبب مجهول..! تسائل بصوت غريب ولكنته تبدو واضحة للغاية :- " لم تخافين مني ..!؟! "

قالت بشجاعه زائفة :- " أنا لا أخافك ولم أخافك ..!؟! "

ابتسم بسخرية ..أمال رأسه يشعل سيجارة أخذ نفسا عميقا منها ، ثم نظر إليها ببطء قائلاً :- " لا أعلم أنا من يسأل هنا إذ يبدو أنك قررت أن تضعيني بمصاف الأعداء .وأنا أريد أن أعلم لماذا..!؟! "

احتارت بما تجيب ؛ فظنه صحيح والمفروض أن تعطيه إجابة منطقية؛ لكنها لا تملك واحدة فما تشعر به لا يمكن تفسيره ، إلا أنها قالت وقد حاولت إسباغ نبرة الثقة علي صوتها الذي خرج مبحوحا متوتراً :- " أنا لا أخاف منك كن متاكدا من هذا "

صمت وهو يدقق النظر بعينها كأنه يستشف روحها رفع رأسه إلي السماء تنهد بصمت ، ثم فاجأها حين مد يده بكتاب مغلف بطريقة جيدة .. قائلاً لها بغموض بدأ يصبح سمة من سماته لديها :- " أردت

إعطائك هذا الكتاب ذكر أسر أنك كنت تبحثين عنه بالمكتبات منذ فترة" دهشت.. صعقت.. نظرت للكتاب ورفعت بصرها تنظر إليه لتفاجأ بشيء يأسرها بتلك الغابة المظلمة المسماة عينيه مدت يدها تأخذ الكتاب بصمت : فابتسم بطريقة بهرتها وغيرت ملامح وجهه كلياً حتى أن خطوط جبينه العميقه اختفت لوهلة قال لها ببساطة :- " اعتني بنفسك "

افترقا دون وداع كما التقيا دون سلام لم يحاول أحدهم أن يستبقي الآخر بكلمة إضافية، فلقاءه كما جاء مدهشاً مباغتاً موجزاً لقاء في عمر سيجارة، أشعلها وهما يتحدثان .. وأطفالها، وهو يسحقها أرضاً بحركة من قدمه .. ليتركها ذاهلة!!!

" الحب يجلس دائما على غير الكرسي الذي نتوقعه، تماما بمحاذاة ما نتوقعه حبا "

(أحلام مستغانمي)

\*\*\*\*\*

انطلقت ضحكته الأجنسه الرائعة لتلفت انتباهها إليه رغم ارتفاع الأصوات حولها بكل لهجة ولغة ممكنة بصالة الانتظار بمطار القاهرة الدولي الجديد حيث كانت تجلس بالمقهي تنتظر مجيء شذى لاصطحابها رآته..!

أسر بدر الدين .

كان يقف مع إحدى المضيفات التي تميل عليه بدلال واضح ، وهي تهمس بأذنه بشيء ما ..لا يهمها رأى المشاهدين الذين كانوا يتابعون بفضول كانت تهمس له بشيء جعله ينطلق ضاحكاً بثقة وغرور ،وهو يرفع يده ملامسا شفيتها وبعينيه نظرة واثقة مغوية خطيرة ..هازأ رأسه برفض تابعت المشهد بضيق بالغ واحتقار لهذا التافه المغرور ؛ فهو مثلما كان دوماً لم يتغير ويبدو أنه لن يتغير ، لا تنكر أنه يبدو رائعاً .. كما لو كان أحد نجوم السينما .. بهيئته العضلية الرائعة وطوله المميز وعيناه الرماديتين علي شعره الأسود ،شفتيه الشهبانيتين و بشرته البرونزية .. ليكتمل مظهره البالغ الروعة بتلك البذة الرائعة المخصصة للطيارين .. بدا وسيماً حد الكمال ..وسيماً حد الألم ..كان الجاكت مفتوح وزري قميصه الأمامي مفتوح بينما تتدلى رابطة عنقه بإهمال محبب مستندا بيد على الطاولة خلفه ، بينما يده الثانية ملقاه بإهمال على وجنة تلك المضييفة المسكينة التي تبدو شديدة الهيام به وبكل ما يبدر عنه

أسر بدر الدين

أصاب قاهرة الحنق وهي تراه يتلاعب بالفتيات أينما حل ..بلا ضمير ولا وازع أخلاقي رفعت كوب قهوتها إلي شفيتها الكرزيتين ،وهي تتابع الموقف أمامها بمزيد من الفضول والضيق لا تنكر أنها يوماً منذ قديم الأزل ظنت نفسها واقعة بغرامه حتى اكتشفته على حقيقته ،

فاجأتها نغمة جوالها التي ارتفعت فجأه موقظة إياها من شرودها أجابت على شذى ..ثم أغلقت اللاب توب ،وهي تهض وضعته بحقيبته ..أشارت للحمال الذي أتى مسرعاً ليحمل حقيبته طامعاً بإكرامية ضخمة وارتدت نظارتها السوداء الكبيرة التي أخفت نصف وجهها ، وهي تتجه لخارج صالة الانتظار بمطار القاهرة بكبرياء وأنفه وشمم ،وقد تركت خلفها

السخافات مرت من أمامه لتنجذب عيناه إليها كالمغناطيس تلك الحورية الأفريقية بخصلات شعرها المجدولة بألف صغيرة صغيرة نائرة هنا وهناك ووشم يديها المميز الغريب الهيئة , ظلت عيناه تلاحقان هذا الطيف المهر الجمال لتلك الحورية الرائعة بجداول شعرها السوداء الطويلة ووجهها المرمرى ..وجسدها الرائع التقاسيم بفستان طويل يصل إلي الأرض أسود اللون واسع ذى حمالتين متقاطعتين من الخلف لا يزينها سوى إكسسوار من البشت الأورنج بيديها وعنقها وشفائرها الأفريقية النائرة , كانت تمشي بشموخ كما لو أنها ملكة متوجة ..شموخ وعزة وكبرياء ..اختطف قبعته من على الطاولة تابعاً إياها، وعيناه تلوح بهما نظرة صياد شرسة .. وهو يترك خلفه ساندي محبطة مصدومة من تركه لها بتلك اللامبالاة .

ارتعشت ما إن خطت خارج صالة المطار المكيفه لتفاجأ ببرودة الجو ..إلا أنها لم تتوقف لتخرج شالها الصغير من حقيبة يدها .. كانت تبحث بلهفة عن أختها شذى ..فقد اشتاقت لها فرحلتها للسودان استغرقت شهرين .وهي مشتاقة لهم كثيراً ..ما إن رأتها حتى تعانقتا باشتياق وشذى تهتف:-

" حبيبتي اشتقت إليك كيف أحوالك ..!!؟ هل أنت على ما يرام ..!!؟ "

انطلقت ضحكة قاهرة الرائعة، وهي تقول بثقة طبيعية :-" طبعاً بخير .. وماذا قد يحدث لي شذى..!!؟ "

كانت أحياناً تستغرب تفكير أختها التي كانت تعتقد أن سفرها إلي السودان .. أو أي جزء من أفريقيا كما لو كانت ذاهبة إلي مكان موبوء أو مميت نسيت شذى أن مصر هي جزء من أفريقيا .. لكنها لا تستطيع لومها علي تفكيرها هذا .. فهو تفكير الكثيرين .. والخطأ ليس خطأهم .. بل هو خطأ توجهات النظام ..النظام وتوجهاته ذو السياسات الخاطئة ..

التي يغلب على قراراتها الكثير من الأهواء الشخصية للنخبة الحاكمة التي تبحث عن مصلحتها أولاً وقبل كل شيء .

فرغم أن مصر أفريقية .. إلا أن توجهات النظام الحاكم همشت تلك الحقيقة بل وربما طمسها بقصد أو دون قصد لكن الوقت ليس مناسباً لإعطاء شذى محاضرة .. بالسياسات الخاطئة لحكومتنا المحترمة .. كما فكرت ساخرة

التفتت إليها ما إن استقرت بالسيارة .. تتسامران بكل شيء، أزدت القاهرة أن تلحق بكافة الأخبار التي فاتتها بمجتمعها المخملي فهي ابنة رجل الأعمال والمليونير الشهير " أحمد السليمانى "

ورغم أن والدها رجل عصامي ومفكر مشهور وذو طموحات قومية قوية .. إلا أنه أيضاً ينتمي لنخبة المجتمع .. وهي لا تريد أن تحبط آماله بالنسبة لها .. هو من أسماها القاهرة .. فوالدها عاصر حرب أكتوبر بل وشارك فيها .. رجل محمل بأحلام القومية والعروبة والوطنية .. وقد تشربت القاهرة كل ذلك منه .. انطلقا في طريقهما وهما يتحادثان بمرح .

\*\*\*\*\*

ضاعت منه تلك الفاتنة في ازدحام المطار ما بين قادم ومسافر تهيد بعيب ، وهو يبتسم ساخراً يبدو وكأنه طير لا يريد الوقوع بمصيدته .. استقل سيارته ، وهو يرمي جاكته بالمقعد الخلفي بإهمال ، ويجذب ربطة عنقه لتلحق بها .. كان يشعر بإرهاق .. ويأمل بنوم عميق شغل محرك الأسطوانات بسيارته لتصدح السيارة بصوت فيروز الشجي

وأغنيها الرائعة " اكتب اسمك يا حبيبي "

ليندمج معها ..يرخي عنه تعب اليوم الشاق ..مبتسماً باستمتاع .. لظالما كان من عشاق فيروز .. كان الليل قد أسدل ستاره وبدت القاهرة كما تعود دائماً أن يراها كعروس بأبهى حلة ..مضاهء بألف وألف لون ..إعلانات النيون في كل مكان ..صخب الشوارع والسيارات والناس ..القاهرة كانت مدينته التي لا تنام وعشقه لها يفوق الحد .. رغم جروحها التي أدمته بها إلا أنه لا يملك إلا أن يعشقها ,خرج من استغراقه التام ..حين لمح سيارة متوقفة علي جانب الطريق لم يكن ما لفت انتباهه السيارة ولا الوقت المتأخر إنما هي تلك الحورية التي تأتي إلا أن تكون بطريقه ..أو هو القدر يأبى إلا أن يلتقيا ..اتسعت ابتسامته ، وهو يعهد لنفسه بالأ يتركها تلك المرة تفلت من بين يديه ..توقف ببطء وهدوء إلي جانب السيارة ليراها بفستانها الأسود الطويل ، وهي تتحدث إلي شخص ما بداخل السيارة .. تهادي إليه صوتها كما توقعه ساحراً ناعماً ..جذاباً يوحي بأنثى هي أروع من جميلة .. يبدو أن السيارة تعطلت منهما تقدم إليهما بخطى تشع ثقة بالنفس وابتسامته تتسع بغرور ابتسامة شخص يثق بتأثيره على من حوله وخاصة النساء توقف أمامها بينما كان ظهرها له ليقول بكل لطف :- " هل تحتاجان إلي مساعدة ما ..!؟! "

التفتت إليه كمن لدغتها حية .. لم تنطق بحرف واحد .. فقط نظرتها الكارهة له هي ما ظلت بينهما .. طال الصمت واشتدت الرياح .. قطع اتصال نظراتهما صوت شذى ،وهي تفتح باب السيارة قائله بلهفة :-" نعم نحتاج مساعدة ..أنا شاكرة لك جزيل الشكر أنك توقفت لمساعدتنا .."

اعتدلت شذى لتتنظر إلي وجه منقذهم لتصمت هي الأخرى لكن برد فعل مختلف تماماً عن قاهرة إذ همست بتوتر اختفى سريعاً لتبدو عيناها غامضتين :-" أسر ..!؟! أسر بدر الدين "

انتبه لها وهو يبعد عينيه الرماديتين عن هذا الوجه المرمري قائلاً بدهشة  
:- "هل تعرفيني..!؟"

قاطعت قاهرة المتوترة استفساره ،وهي تجذب شذى من يدها قائلة  
بجفاف وكبرياء ورفض :-" نحن لا نحتاج مساعدتك .. فالمساعدة آتية  
بالطريق "

بدأ توتره يتزايد تلك الفتاة تكرهه .. اشتعل التحدي بعينيه والقسوه  
بوجهه وهو يخاطبها بجفاف قائلاً :-

" سواء احتجت مساعدتي أم لا .. فأنا لم أطلب إذنك لأقدمها .. لن أترك  
فتاتين علي الطريق بتلك الساعة المتأخرة دون مساعدة ..أخلاقى لا  
تسمح بذلك "

حين نظرت له ساخرة علي جملته الأخيرة أكمل بسخرية جافة :- " وقبل  
أن تشكريني ..أخبرك أنا لا أحتاج شكرك لي "

امتازت غيظاً من غروره ،وهي تهتف بوجهه بغضب :- " أيها المغرور لم  
ولن أشكرك ولو علي جثتي يا لبرودة دمك أخبرتك نحن لسنا بحاجة لك "  
تدخلت شذى وهي تجذب قاهرة من يدها بعيداً عنه قليلاً .. قائلة بصوت  
متوتر :-" اهدئي قاهرة .. "

نظرت بعينها وهي تهمس لها :-" نحن نحتاج فعلاً لمساعدته .. أرجوك  
كوني لطيفة معه "

ضغطت قاهرة على أسنانها، وهي ترى نظراته الشامتة المتشفية بها ،وهي  
تقول لشذى :-" علي جثتي .. "

دعیه ینصرف فأحمد علی وصول .. ولو قدر لنا أن ننتظر ساعة أخرى أفضل لی من تقبل المساعدة من ذاك المغرور المتفاخر .

تمالك أعصابه وهو يلتفت إلى شذى موجهها لها الكلام متجاهلاً تلك الحورية المتكبرة المغرورة .. رائعة الجمال :- " لقد ذكرت أنك تعرفيني.."

ابتسمت شذى بهدوء ، وقد استعادت سيطرتها على أعصابها قائلة ، وهي تحاول أن تطفء الجو المتكهرب قليلاً :- " بالطبع أعرفك ألا تتذكرني..؟! "

بدأت يائسة لقاهرة ما أثار حنقها أرادت الجلوس بالسيارة وإغلاق الباب بوجهه بكل صفاقة كطفلة مشاغبة إلا أنها لم تستطع أن تنكر أو تقاوم فضولها لرؤيته عن قرب فهو بالنسبة لها شخص جدير بالمتابعة والدراسة ككائن بغيض غريب بالغ الوسامة لكنه فارغ من الداخل ، وهذا ما هي متأكدة منه، أكملت شذى :- " أنا شذى السليماني "

حين نظر إليها بعدم معرفة أصابها الإحباط ، وهي تقول :- " أسر ألا تتذكرني أنا شذى ، شذى السليماني صديقة أختك هدى منذ الطفولة.."

التمعت الذكرى برأسه .. شذى صديقة هدى بالدراسة هتف بسرور " أه شذى .."

خبط رأسه بيده وهو يبتسم ابتسامته القاتلة وشفته تتقوسان :- " شذى السليماني كيف حالك؟! "

أسف لم أتعرف عليك لقد مر الكثير من الوقت منذ رأيتك آخر مرة "

قالت شذى بابتسامة :- " نعم أسر لقد مرت سنوات كثيرة كيف حالك..؟! "

تابع الابتسام بفتنته الطبيعية وهو يستند بجسده الضخم على السيارة قائلاً بأريحية بداية خطة تتكون برأسه :- " أنا بخير .. وأنت..؟! "

" أنا بخير "

قالت شذى وقد تلون صوتها ببعض الفخروي تكمل :- " لقد تزوجت وأنا أم لطفلين الآن "

" حقاً هذا رائع أنا سعيد من أجلك "

بلغ ضيق القاهرة آخره وهي تراهما يتسامران بمنتصف الطريق بهذا الوقت من الليل.. يتسامران بينما هي في غاية التعب والنزق ضغطت على بوق السيارة، وهي تضغط على شفتها السفلى المكتنزة بغیظ لا تدري سببه تحديداً فهو يثير أعصابها

ابتسمت شذى قائلة :- " أسرهل تستطيع إصلاح السيارة أم ننتظر قاطرة الورشة "

قال وقد أته فرصه لن يضيعها من يده :- " لا.. لا مجال لإصلاحها بهذا الظلام أو ذلك الوقت فلتأتيا معي سأوصلكما "

ثم أضاف :- " اتركي السيارة هنا للصباح وأنا سأقطرها لكم وأوصلها لمنزلكم "

قال بتساؤل بريء بظاهرة :- " أزال منزلكما ب6 أكتوبر..؟! "

قالت شذى بابتسامة بسيطة :- " نعم كما هو ... "

فقال مبتسماً :- " .. هيا بنا .. نادى على القاهرة حتى نذهب .. وأغلقا السيارة جيداً "

ما إن انتهى من جملته حتى اقتربت منهما سيارة تضيء المنطقة قبل أن تتوقف نزلت قاهرة من السيارة .وعيناها تلمعان بالانتصار بطريقة أثارت توتره وهي تقول بفرح :- " ها قد أتى أحمد .. "

لم تنتظر توقف السيارة تماماً إذ أسرعت إليها تستقبل القادم الجديد بترحيب أثار ضيقه " هيا شذى "

نادت قاهرة بتجاهل تام له وأكملت :- " لا نحتاج أي خدمات من شخص لا نعرفه "

كانت إهانة متعمدة ومباشرة..وأصابت هدفها إذ توتر وجهه وهو يعتدل بوقفته جعلت شذى تخفض بصرها بخجل وتوتر بينما تقدم أحمد من السيارة، وهو شاب وسيم يبدو ضئيل الحجم قليلاً بالخامسة والعشرين من عمره اقترب يلقي التحية على أسر بفضول لم يستطع إخفائه قائلاً :- " أحمد مهران "

نظر أسر إلى يده الممتدة بضيق بالغ .. وقد بلغ عناده مستوى لا تراجع بعده فمد يده بجفاف قائلاً بتكبر :- " أسر بدر الدين "

بدت ابتسامة أحمد ودودة صادقة وهو يقول :- " تشرفنا "

ثم التفت إلى شذى قائلاً :- " هيا شذى سأوصلكما بنفسي "

ثم التفت إلي أسر قائلاً بمودة ولطف :- " نأسف لإزعاجك أيها السيد وشكرا لتوقفك لمساعدتهما لكنني أتيت الآن ولا حاجة لتعبك .. سأوصلهما بنفسي "

بدا أسر يختبر شعورا جديدا عليه بالضيق والغضب وربما الحقد تجاه هذا ال أحمد الذي يوشك على تحطيم مخططه لتلك المتكبرة المغرورة

فقال بهدوء قاتل يخفي خلفه تصميم لا يعرف الرحمة :- " لا شكر على واجب لكننا لسنا غرباء فنحن معرفة قديمة .. شكرا لك مساعدتك لكنني سأوصلهما لا مجال للنقاش "

أكمل بتعجرف :- " وتستطيع أنت قطر السيارة وجلبها وراءنا "

ذهل أحمد من عجرفة هذا الرجل فتلعثم لايدري ما يقول .. إلا أن قاهرة قالت بكبرياء وشموخ وغضب قوي :- " أنا لن أذهب معك فأنا لا أعرفك .. هيا أحمد .. أما أنت شذى.."

أكملت ساخرة وبقسوة :- " تستطيعين المجئ خلفنا مع ....."

ألقت عليه نظرة فوقية جعلته يستشيط غيظا ويقسم على تأديها " صديقك

obeikandi.com

الفصل الثاني  
ذاكرة . فقط

هُنالِكَ مواسِمٌ لِلحَمَاقَاتِ .. وَأُخْرَى لِلنَّدَمِ ..

وَمَوَاسِمٌ لِلعِشْقِ .. وَأُخْرَى لِلأَلَمِ ..

احلام مستغامي

\*\*\*\*\*

كَانَ يَشْتَعَلُ غِيظًا فَبِي تَسْتَفْزُهُ تِلْكَ الـ

رَبِمَا كَانَ المَوْقِفَ أَكْثَرَ بَسَاطَةٍ مِنَ التَّعَمُّقِ بِهِ أَوْ أَكْثَرَ تَفَاهُةً مِنَ التَّشْبِيهِ بِهِ .. لَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِالمَلَلِ وَهِيَ أَعْطَتْهُ بِكَرَاهِيَتِهَا بِتَحْدِيثِهَا , بِغَمُوضِهَا .. بِجَمَالِهَا شَيْئًا لِيَتَسَلَى بِهِ , سَيَلِقْنَهَا دَرَسًا صَغِيرًا لِيُخَفِّفَ مِنْ غُرُورِهَا وَيَتَسَلَى قَلِيلًا التَّفَتُّ إِلَى شَذَى الصَّامِتَةِ بِجَوَارِهِ بَعْدَمَا ظَلَّ صَامِتًا مَعْظَمَ الطَّرِيقِ .. وَقَدْ بَدَأَتْ أَنْوَارُ الفَيْلَا الرَّائِعَةِ تَتَضَحُّ أَمَامَهُ قَائِلًا بِنَبْرَةٍ لَطِيفَةٍ , وَهُوَ يَشْعُرُ بِحَمَاسَةِ اللُّعْبَةِ , وَقَدْ بَدَأَ يَجْرِي بِدَمِهِ :- " أَخْبِرْنِي شَذَى .. لِمَاذَا لَمْ تَعُودِي عَلَيَّ صِلَةً يَهْدِي ؟! هَلْ حَدَثَ بَيْنَكُمَا شَيْءٌ مَا .. ؟! "

قَالَتْ بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ :- " إِنِّهَا الظَّرُوفُ فَأَنَا بَعْدَمَا تَزَوَّجْتَ سَافَرْتُ خَارِجَ البِلَادِ لِمُدَّةِ سَنَتَيْنِ بِسَبَبِ ظُرُوفِ عَمَلِ زَوْجِي .. وَحِينَ عَدْتُ كَانَتْ هَدَى تَزَوَّجَتْ وَ لَا أُدْرِي لِمَا لَمْ أَعَاوِدِ الِاتِّصَالَ بِهَا .. ؟!؟ وَهِيَ أَيْضًا لَمْ تَفْعَلِ . "

هَزَّتْ كَتْفَيْهَا بِارْتِبَاكِ كَانَتْ السَّيَّارَةَ قَدْ وَصَلَتْ حَتَّى مَدَخَلَ الفَيْلَا فَتَوَقَّفَ بِصَمْتٍ حِينَ أَتَى صَوْتِهَا هَادئًا مَضِيئًا وَهِيَ تَدْعُوهُ :- " تَفْضَّلْ لِشَرْبِ فَنَجَانٍ مِنَ الشَّايِ قَبْلَ عَوْدَتِكَ .. "

ابْتَسَمَ بِلَطْفٍ وَهُوَ يَكْمَلُ دَوْرَهُ الَّذِي خَطَّ لَهُ قَائِلًا بِابْتِسَامَةٍ سَاحِرَةٍ :- " شُكْرًا لَا دَاعِيَ لِهَذَا .. "

أصرت شذى قائلة :- " هذا أقل شيء نقدمه لك على ذوقك معنا .. أرجوك لا تخيب أمني بالإضافة إلى أن أبي وزوجي سيرغبان بشكرك "

ترجل وهو يتأمل الفيلا الرائعة ..لم تكن تختلف كثيراً عن طراز فيلا العائلة لديه ,فيلا من دورين وسور من الحجر الأسواني الضخم الأسود اللون.. يلتف حول الفيلا بوابة حديدية ضخمة ما إن فتحت حتى ظهر خلفها ممر طويل يصطف على جانبيه شتى أنواع الزهور فاحت منه رائحتي الفل والياسمين، وهما الأزهار الغالبة على البيوت بتلك المنطقة ,أوقف السيارة خلف سيارة أحمد ،وترجل منها بقدميه الطويلتين.. نزلت شذى وهي تسبقه للداخل لتخبر والدها وزوجها بقدوم الضيف غير المتوقع تمطى بأريحية بجسده الفارع الطول، وهو يراقب قاهرة بعينين ضيقتين ماكرتين تخططان لتلقيها درساً لا تنساه ! أنزل أحمد حقائبها ليحمل إحداها بكل شهامة وهو يتجه للداخل كما لو كانت قدماء اعتادتا على المنزل أو كأنه أحد ساكنيه بينما جاهدت هي لسحب الحقيبة الأخرى من صندوق السيارة.. متجاهلة الخيال الصامت بكل كبرياء عاكستها الحقيبة لثقل وزنها ،وهي تجذبها دون أن تغفل عن العينين اليقظتين اللتين تراقبانهما

" أوه .. "

همست بنرفزة، وهي تضغط بأسنانها بقوة على جانب شفها المكتنزة بغيظ .. حين فوجئت بساعدين يحشراهما بين جدار صدره الصلب والسيارة شهقت بعنف ، وهي تحاول دفعه بعيدا..متى تقدم منها وكيف تقدم منها دون أن تشعر..يبدو كفه أسود ضخم ...وقد باغت فريسته على حين غرة .. لم تستطع دفعة قيد أنملة .. فقد بدا صدره كجدار صلب من الجرانيت ..رفعت يديها بعيدا عن صدره كما لو أنها مست تياراً



لم يجب سوى بابتسامة غامضة أثارت حنقها أكثر لتقول بتحدي وعيناها تلمعان بقوة :-" ولماذا تعتقد أساساً أنني أكرهك ..لأكرهك يجب أن يكون لدي شعور تجاهك وأنا لا أعرفك حتى !"

ابتسم بمكر لا ينكر أنه يجد متعه بمشاغبتها له ، وهو يقول :-" آه بل تعرفيني .. أنسيت أنني اكتشفت من تكوينين ..؟؟! لكن يجب أن أعرف لم تكريهيني "

توترت لكنها ابتسمت بسخرية، وهي تقول :-" لا تغتر بنفسك كثيرا .. ألا تظن أنك تظن بنفسك أهمية كبرى "

اختلجت عضلة بخده ، وهو يشعر بالمتعة بينما كان يجب أن يشعر بالضيق ..إلا أنه يشعر بالمتعة فتحديها واستفزازها له بدأ يأخذ شكلا جميلا بالنسبة له ..بدأ يستمتع وهو لم يستمتع بمناوشة منذ مدة اقترب بوجهه منها بذاك الركن الضيق حتى أوشك علي أن يلامسها ..رفع إصبعه وأنفاسه تلفحها بقوة بدائية قد ترهب العديدين، لم تنكر أنها منهم لكنها ستكون ملعونة إن أظهرت هذا بأي طريقة كانت تحديق بوجهه بثبات وهي ترفع حاجبا بتساؤل فمد إصبعه يعيد خصلة من شعرها للخلف شهقت بغيظ، وهي تدفعه بيدها قائلة :-" أنت وقح لا تلمسني وابتعد عني حالا "

بينما قال هو بفحيح دون أدني تأثير بيديها اللتين كما لو كانتا رفرفة فراشة علي جدار صلب من الجرانيت :-" أحذرك لا تستفزني أكثر من هذا قاهرة ..فأنت لا تعلمين إلي أي مدى قد أتهور إذا غضبت !! وأنا إلى الآن أنتظر للوضع بتسلية "

اتسعت ابتسامتها الساخرة، وهي تثبت لنفسها صدق ظنّها بتفاهته ، وهي تقول :- " أهذا تحذير من نوع ما ؟!! "

التمعت عيناه وهو يقول :- " اعتبريه هكذا إذا أحببت "

فقال له بتحدٍ :- " هذا عادل بما يكفي .. لكنني أحذرك أنا أيضا ... أنا لا أخسر بسهولة !! "

مد إصبعه يلمس خصلة من شعرها بوقاحة جعلتها تجذب رأسها بعيدا عنه ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يقول بصوت خفيض مبطن كما القטיפفة الناعمة :- أتعلمين .. أنت تبدين لي كقطعة صغيرة اكتشفت أن لها مخالب تريد تجربتها علي باقي الققطط .. لكنها اصطدمت بفهد .. فاحذري من استفزاز الفهود "

همت بالكلام إلا أنه ابتعد عنها فجأة بكبرياء وغموض ، وهو يسحب الحقيبة الضخمة واضعا إياها على الأرض بقوة انتفضت لها ظلت مسمرة بمكانها في حين اقتربت خطوات شذى العائدة إلي جانب الأصوات الرجولية التي أخذت تتعالى حين اقتريا منهما التفت أسر إليهم بابتسامة مشعة كما لو لم يحدث شيء ، ألقى التحية بينما ظلت هي تستند إلى السيارة، ونبضات قلبها توشك علي خنقها تعالی هسيس أنفاسها بغضب أخذ يتعالى كالموج الهادر لجرئته لوقاحته لتجرؤه على لمسها اشتعلت عينها بالنيران غافلة عن الحوار الدائر بينه وبين والدها وتوفيق زوج شذى ، دعاه والدها للداخل ورحب به توفيق بهدوء وابتسامة دافئة رفع الحقيبة إلى الدرج بيد واحدة، وهو يبتسم بثقة كأنها لا تزن شيئا رغم تأكدها أنها تتعدى العشرين كيلو علي الأقل .. لم تدر ما أصابها ساعتئذ لكن ما سيطر علي تفكيرها أنه يجب ألا يخطو بقدميه داخل منزلها..لا يجب أن تدعه يقتحم حياتها أو أمانها .. أتى صوتها باردا .. لا مباليا

بشراسة، وهي تقول ببرود أقوى وقعا من أشد عاصفة غاضبة رأها أهلها  
بها يوما :-

" من فضلك اترك حقيبي أرضا .. واخرج من بيتي "

\*\*\*\*\*

تأففت بضيق وهي تنفض غطاءها بعيدا رغم برودة الجو .. هرب منها  
النوم وقض مضجعا صورة عينين بلون شمس الصحاري تنظران لها  
بغموض بكبرياء وصمت، اعتدلت جالسة وهي تلملم خصلات شعرها  
الثائرة إلي الخلف .. شددت الغطاء على جسدها المكتنز قليلا .. تبغي بعض  
الدفع .. بدت عيناها مضيئتين حائرتين بالظلام .. ارتعشت وهي تتذكر  
ذلك الحلم الغامض .. لا ينفك يعاودها .. لشخص مجهول لا تعرفه ..  
لكنها لا تستطيع نسيان نظراته .. عينيه لا تتذكر من الحلم كالعادة سوى  
عينيه !! .. انتفضت على أثر تكة مقبض باب حجرتها .. لتتسع عيناها  
برعب ويبدأ قلبها بتسارع دقاته انحبست أنفاسها بحلقها خوفا .. وكتمت  
أنفاسها المتبقية بصدرها تخشى أن تنفس حتى لا يعرف أنها مستيقظة  
.. نظرت إلى الباب المغلق والمفتاح به .. إلا أن ذلك لم يمنع رعبها من  
التزايد والتصاعد حتى أوشكت على الإغماء .. نهزت نفسها .. " يجب أن  
تظل مستيقظة .. يجب أن تظل مستيقظة "

أخذت تردد لنفسها .. فلو أغمى عليها هزت رأسها برعب ترفض حتى  
التفكير بهذا ، ترفض التفكير بما يمكن أن يحدث إن أغمى عليها يكفها  
مرة واحدة بالعمر أغمى عليها بها ولا زالت إلى الآن تحيا تبعاتها القاهرة  
المؤلمة القاتلة !! لا تدري ما تغير بها اليوم فهي كانت دوما لا تعترض فلا  
يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ، وهي كانت مذبوحة .. مذبوحة حتى لم يبق  
بها قطرة دماء .

أخيرا بعد ما بدا دهرا وليس ثواني ارتحلت الخطوات الثقيلة البغيضة بعيدا عن باب حجرتها لكنها لم تجرؤ على التنفس كانت يدها مضمومة بقبضة متشنجة بحلقها والأخرى على قلبها تحاول أن تهدي من دقاته الصاخبة المفزوعة خرجت أنفاسها على شكل زفرات متقطعة بطيئة مرتعشة ..ألمتها عينها من شدة تركيزها على الباب دون إغلاقهما ولو للحظة ..تخشى إغماضهما كيلا يفاجأها وجوده بالغرفة هدأت أنفاسها وهدأ رعبها بطأت صخب دقات قلبها .. أغمضت عينها لتتساقط الدموع الصامتة، ويعلو نشيجه المکتوم ها ان ليله أخرى مرت حالفا الحظ بها ولم يكن عنده من الرغبة الكافية في قتلها , بمضغها ثم بصقها كما لو كانت قطعة من اللحم الفاسد إلى متى تستطيع الاحتمال .. إلى متى !! وهي تشعر أن لا سند لها ولا أب ..بكت , لو !! فقط كانت تستطيع الاستنجاد بأسر فقط لو تستطيع أن تخبره , لكن أليس أسر هو السبب .. أليست بهذا العذاب كله بسببه ..؟؟! كيف تستطيع أن تخبره ..!! تذكرت ما حدث ارتمت على السرير بضعف وإنيهاك , وهي تعيد المشهد القاسي الموجه .. أغمضت عينها وهي تتذكر خطوه خطوه.. نبضه .. نبضه وجع .. واحتضار ..!! لطالما ضايقها مروان ..لطالما ضايقها بتلميحاته الحقيرة علي الدوام.. كان دوما يرميها بنظراته الوقحة السمجة اللزجة .. بمظهره المقزز ذاك .. لم يكن قبيحا .. لكنها كانت تكره مظهره . اشتكت لأسر كثيرا منه .. بالبدا تضايق أسر لكنه لم يرد أن يثير مشكلة .. حذره عدة مرات تحذيرا شفويا ,حتى تجرأ مروان ذات مرة وحاول تقبيلها رغما عنها .وحيثها هرعت لأسر تحكي له، وهي باكية خجلة لكنها أدركت صواب ما تفعل حين اشتعلت عينا أسر الرماديتان بغضب قاتل وهو يخرج من المنزل كأن الشياطين تلاحقه عثر على مروان ، ولم يتركه إلا وقد كسر له ذراعه وحطم فكه .وأصابه بارتجاج ظل على أثره بالمستشفى لمدة شهر ونصف .شعرت لحظتها بالأمان والفرح وهي تدرك أنها دوما ستجد أسر

حولها يحميها إلا أن ما لم تتوقعه كانت ردة فعل والدها الذي غضب من أسر لأول مرة بحياته ثار وصرخ بوجهه حتى أنه طرده من المنزل ..! لم تدر ساعتها هل غضبه على ابن أخيه بدلا أن يكون على ابنته ..!! هل غضبه على ابنه لأنه رجل حمى أخته ..؟! موجه كان ذلك الشعور .. موجه حد الألم .. موجه بما يتخطى الألم ، ذلك اليوم أخبرها بتلك اللهجة التي لن تنساها أبدا بصرامة وحزم :- " إن مروان سيصبح زوجك ولا مجال للنقاش ، ويجب عليك أن تعتادي عليه .. "

صدمت .. ذهلت شعرت بأن هناك ما هو خايط .. كانت تعرف أن والدها قاسي لطالما تحملت قسوته إلا أنها لم تعتقد يوما ان يصل لهذا الحد يجبرها على زواج لا تريده ويطرد ابنه الوحيد لأنه دافع عن شرف ابنته ..! كانت تلك نقطة فارقة بحياتها .. منذ ذلك اليوم لم تعد تنظر إلى والدها كما كانت تراه .. قديما كانت تلتمس له الأعذار لقسوته لكن منذ ذلك اليوم .. بدأت تصحو على واقع مؤلم لواقع أشد إبلا ما ..!! وكأن القدر يأبى إلا أن يخيب لها الألم كأن عليها أن تتجرعه رشفات بطيئا كالمسم الذي يتسلل إلى جسدنا دون شعور بالبء .. بطيئا .. بطيئا حتى يبدأ مفعوله يسري بالشرابين ليصبح الألم لا يطاق .. قاتل ببشاعته بعنفه بقوته بألمه .

كانت تستذكر دروسها كالعادة بينما الم معدتها يتزايد مهلنا اقتراب الألم الشهري حين أعلمتها شادن الصغيرة بأنه بالأسفل بصحبة والدها اعتكفت في حجرتها علي أمل مغادرته دون أن يراها دون أن يعطيها إحدى نظراته الوقحة أو تعليقاته البذيئة . كانت تتحاشاه منذ ذلك اليوم حين طرد أسر من المنزل ، لكن يبدو أن طرد أسر لم يفعل سوى أن شجعه أكثر . وأصبحت جراته أكثر كأن والدها أعطاه إذن غير معن بانتهاكها!! دخل عليها حجرتها وهي تستذكر لم ترفع عينها عن الكتاب ظنا منها أنها شادن

أو إحدى الخادמות؛ لكنها تفاجأت بباب الغرفة يغلق ببطء وهدوء وتكة المفتاح ترن بأذنها بوقع أخافها فرفعت عينها باستغراب لتتوتر وينقبض قلبها، وهي تراه ينظر إليها بطريقة جعلت الدماء تجف في عروقها خرج صوتها متحشرجا مرعوبا وهي تراه يقترب منها ونظراته تطوف علي جسدها بوقاحة قائلة :- " ماذا تفعل هنا ؟!! أخرج قبل أن أنادي أبي "

ابتسم ابتسامة كريهة صفراء، وهو يقول لها بينما يزال مستمرا من الاقتراب منها :- " أتطرديني من حجرتك قبل أن تلقي التحية علي ؟!! "

جلس بجوارها فهبت فزعة من السرير لتبتعد عنه إلى أقصى ركن بالحجرة لكنه كان سريع الحركة فأمسك بها وهو يقترب بأنفاسه اللاهثة الكريهة منها قائلا :- " لا أدري لما لا تحبينني أنت تعلمين أنني أحبك .. "

هزت رأسها بعنف وشعرها قد فك من عقاله برفض قاطع بينما بدأت الدموع تلمع بعينها بقسوة تخشبت من الرعب ، وهي ترى نواياها الحقيرة بعينيه قالت بخوف ورعب حقيقي :- " لا تلمسني "

اتسعت ابتسامته الكريهة، وهو يقول بصوت تملؤه الرغبة الفجة :- " ولم لا أنت تعلمين أننا سنتزوج ويجب علينا أن نوطد أو اصر علاقتنا "

هزت رأسها بالنفي ،وقد بدأت دموعها تنزلق برعب من عينها بينما بدأت تشعر بجسدها يتخدر برعب وفزع ، وأن عقلها يصرخ طالبا منها أن تفكر ، اقترب أكثر بوجهه من وجهها شلت كل أطرافها، وتوقف عقلها عن التفكير وهي تسقط في شبه غيبوبة من الفزع والخوف والرعب ..فتحت فمها بمحاولة أخيرة للصراخ رغم أنها تدرك أنها فقدت صوتها وصار حلقها جافا ..كأنه مقطوع من الحنجرة للحنجرة إلا أنه قال بنية شريرة،

والعنف يلوح بعينه :- " لا تتعبي نفسك لا أحد هنا فعمي خرج هو  
وشادن "

لمعت عيناه ببريق مهووس مجنون جعلها تفقد أنفاسها برعب وهو يكمل  
:- "ولا أحد لا أحد بقادر علي إبعادك عني فأنت لي للأبد "

ليغمى عليها ،وتلك كانت أول مرة يغمى عليها بها !!.. ارتفع نشيجها  
وبكاؤها ،وهي تلوم نفسها للمرة المليون فقط لو لم يغم عليها لو  
استطاعت صده .. لو لم تكن بذاك الضعف والجبن .

\*\*\*\*\*

مضيت أسائلُ نفسي كثيراً

تُرى أين وجهي..؟!

وأحضرتُ لونا وفرشاة رسم.. ولحناً قديما

وأصبح وجهي على كل شيءٍ رسوماً..رُسوماً

ولكنَّ وجهي ما عادَ وجهي..

وضاعتْ ملامحَ وجهي القديم

( فاروق جويده )

مر يوم

أو يومين أو بضعة أيام

وهلت تباشير الشتاء .. استيقظت هدى ، وهي تشعر بقليل من هدوء  
وصفاء روح يجتاحها .. يبدو أن الخروج من المنزل يؤدي ثماره فهي  
أصبحت تتشوق بداية كل يوم لأنها تعلم أن بدايته ستكون الخروج  
قليلا من ذلك السجن إلا أنها كانت تعيش برعب حين تعود .. فمروان  
كأن يتأمل ملامحها بشيء من التحفز كأنه يبحث عن لمحة سعادة أو  
راحة ليعاقبها عليها .. لا تستطيع معرفة كيف يتعامل مع البشر بوجه  
ومعها هي بوجه آخر مختلف تمام الاختلاف تكرهه .. تكرهه بعنف  
اتجهت إلي المرأة .. تتأمل ملامحها بحزن لم تقف أمام المرأة أو تنظر إليها  
بتمعن منذ زمن ، ولم يكن يهيمها لكن اليوم اعترها الفضول تحاول أن  
تري ماذا يرى من ينظر إليها لم تكن جميلة ولا رائعة الجمال .. عينين  
عسليتين عاديتين رموش عادية وحاجبين مرسومين بشكل جميل بعض  
الشيء شعرها متوسط الطول هزيل لإهمالها له بني اللون لا شيء مميز ،  
أنف معتدل شفطان بدون ملامح .. لا شيء مميز .. لم تستطع أن تتعرف على  
ملامحها القديمة كيف كانت ، وهذا الوجه لم لا تعرفه .. تنظر إليه  
باستغراب شديد تكرهه اكتشفت أنها تكره ذلك الوجه الذي يطل عليها  
من المرأة .. لو كانت جميلة للعتت جمالها الذي جعل مروان يفعل بها ما  
فعل ؛ لكنها ليست جميلة هي عادية ..!

بدأت تعتقد أنها من كثرة ما تألمت .. فقدت الإحساس بالألم .. أحيانا كانت  
تصطدم بالأشياء ولا تتألم تستغرب بعدها حين تجد كدمات مختلفة  
الألوان والأشكال ، تستغرب كيف لم تعد تشعر بجسدها .. أصاب جسدها  
الخدر إلا أن روحها تأتي إلا أن تتألم ، وهي لا تريد لها ذلك .. تريدها هي

الأخري أن تصاب بالخدر أو حتى بالموت ربما حينها تستطيع أن تحيا بدون تعب، غسلت وجهها بالمياه الباردة مرة والثانية والثالثة .. تخدر إحساسها، ارتدت ثيابها كالعادة فستانا قطنيا طويلا أسود اللون وجاكيت أسود مثله حجابها يميل إلى الأزرق الهادئ ،وحقيبة سوداء ،رفعت حقيبتها حين أتت طرقة على بابها التوى فمها ساخرا باشمئزاز " منذ متى يطرق الباب..؟! "

لم تجب لأنها تعلم أن رفضها دخوله لن يمنعه من ذلك وبالفعل فتح الباب ببطء ليتقدم خطوة إلى الداخل سائلا إياها يهدوء مزيف :-"أأنت ذاهبة إلى مكان ما ؟ "

أجابت بحذر حتى لا تثير أي ردة فعل لديه :-" إلى الجامعة لدي محاضرات.. "

ارتفع صوته قليلا بتوتر وهو يقول :-" أرى أنك أحببت الجامعة..! "

تهتدت وهي تخفي خوفها وبغضها له جيدا، يالتلك اللعبة الملتوية التي يلعبها معها كان هو من أصر على إكمالها لدراستها هو من أجبرها فعليا لإكمال دراستها حين رفضت أجبرها ترفض التفكير بالطريقه التي أجبرها بها ،ليس الآن ليس أمامه لا تستطيع إبداء أي رد فعل أو أي شعور أجابت بحذر ولا مبالاة :-" أنا لا أحبها ولا شيء من ذلك القبيل أنسيت أنك من أردت مني الذهاب "

كانت غلطة فقد لمعت عيناه بطريقة سادية، وهو يتذكر كيف أجبرها فاستدركت قائلة تحاول أن تبعد تفكيره عن تلك الطريقة، شعرت برغبة في التقيؤ بالهرب بالفرار لكن إلى أين ،وهل للفريسة النفاذ من بين

مخالب الضباع ..؟! " لكنها محاضرات مهمة والآن اسمح لي بالذهاب ..  
فأنا لا أريد أن أتأخر "

ابتعدت عنه خطوة باتجاه الباب حين امتدت يده إليها يجذبها إليه بعنف  
وقسوه ونظرة كريهة تعرفها تملأ ملامحه، وهو يقول بصوت يقطر سما  
ورغبة فجة سادية :-" ومن قال إنك ستذهين اليوم فأنا أريدك الآن .."

أصابعها الاشمئزاز والرعب وبدت النيران تشب بمعدتها ، كما دوما حينما  
يقترّب منها أو يلمسها غشيت عينيها بدون إرادة منها نظرة فزع جعلته  
يضحك باستمتاع تراجعته للخلف خطوة؛ لكنه أمسك بها بعنف  
أغمضت عينيها بشدة ،توقف لثانية يتأمل ملامح الفزع على وجهها بشيء  
من الاستمتاع، ثم ما لبث أن ألقاها على السرير خلفها بكل قسوة  
ووحشية يقتلها ببطء وألم .. حاولت مثل كل مرة مقاومته إلا أن ذلك لم  
يكن يأتي بفائدة سوى بزيادة تعذيبه لها لتيأس في النهاية .. وتستلقي جثة  
هامدة لاروح فيها لم يكن يهيمه أنه يأخذها جثة هامدة باردة أبرد من لوح  
ثلج ،ربما كان هذا ما يرضيه بشخصيته الملتوية المريضة ، ربما كان  
يرضيه ما اعتبره خضوع منها ..

ولأول مرة حاربت وقاومت ألا يغمر عليها ،لن تجعله ينال رضا رعيها منه  
حتى الإغماء .. لتتفاجأ بأنه توقف عن محاولاته ،وهويلفظها بكل عنف  
،رفع وجهه ينظر إليها بغضب بحقد .. فرغبتة السادية لم تكتمل ، لأول  
مرة يشعر ببوادر مقاومة منها منذ تلك الليلة .. وأخافه هذا .. أخافه كأني  
جبان .. نظر إلى تلك الدمعة التي انزلقت بصمت على وجنتها ليقترّب  
ببطء مقبلا إياها وهو يهيم بصوت غريب :-" حتى دموعك هي لي وحدي  
لا تنس ذلك "

لفظها وهو ينهض قائلا لها بلهجة باردة ،وقد فشل بوصمها لأول مرة  
بذلك اليوم :- " هيا وإلا ستأخرين على محاضراتك ..!

\*\*\*\*\*

مريوم

أو يومين أو بضعة أيام

وهلت تباشير الشتاء ..ابتسمت شادن ، وهي تتأمل الجو خارج حجرتها  
حيث عصفت بعض الرياح بأشجار الياسمين المتفرعة على أسوار الفيلا  
،هبت رائحته الرائعة استنشقت بعمق ، ثم التفتت تكمل ارتداء ملابسها  
بابتسامة سعيدة ألقت نظرة على نفسها في المرآة كانت قد ذهبت لعلاج  
شعرها ذي الطبيعة الثائرة وخصلاته الخشنة المتبعثرة ليصبح ناعما  
أملسا ينزلق على ظهرها بكل حرية أحيانا كانت تشعر نفسها غريبة حين  
ترتفع يدها لتلملم خصلاته الثائرة لتجدها هادئة ناعمة إنما ملمسها كان  
يضايقها بعض الشيء زمت شفيتها بعبوس ،وهي تتابع النظر إلى نفسها  
قائلة :- " لا يهم أكيد شكلي هكذا أجمل .."

اتسعت ابتسامتها ،وهي تتذكر تعبير ريم ونائل على مظهرها الجديد حين  
شاهدها لأول مرة .. فبينما دهشت ريم إلا أن نائل ابتسم بمرح ، وهو  
يقول لها مطلقا صفيرا معجبا من شفيتها ممازحا إياها :-" يا إلهي إنك  
تشبهين نجوم السينما يا لجمالك "

لم تندم على معالجة شعرها بتلك الطريقة المؤقتة ارتدت جاكيتها  
الجلدي القصير أبيض اللون .. ارتدته على فستان صوفي طويل واسع  
عند ركبتها بني اللون وأغلقت زمام الحذاء عالي الرقبة حتى ركبتها  
أمسكت حقيبتها الضخمة على طراز الهيبيز وشالها الكشميري من نفس

اللون البني تحسبا لتغيرات الطقس تأكدت من مكياجها البسيط .وانطلقت للخارج متجه للمهو حيث أن أسر وعدها بالمرور عليها لإيصالها لكنه حذرهما من عدم رغبته بدخول المنزل وصلت لآخر الدرج لتتفاجأ بوالدها ينادي عليها بصوته القوي الحازم من حجرة مكتبه :- " شادن .. انتظري أين أنت ذاهبة ؟! "

ابتسمت وهي تتوقف بأسفل الدرج وصل إليها فطبعت قبلة على وجنته وهي تقول :- " أنا ذاهبة لأستذكر دروسي مع ريم كالعادة .. "

نظر لساعة يده الأنيقة ، وهو يقول ببشاشة واضعا يده على كتفها بحنان أبوي :- " حسنا انتظري قليلا فأنا ذاهب لاجتماع عمل وسأوصلك في طريقي "

عدلت له رابطة عنقه بحب ، وهي تقول بابتسامة :- " كلا أبي لا داعي فأسر سيوصلني "

توترت يده علي كتفها ، وظهرت بعينيه نظرة جامدة متوترة قاسية ، وهو يقول بصوت بدا متحشرجا قليلا :- " حقا .. هل سيأتي "

أشفقت شادن علي والدها فهي تعلم كم كان يعشق أسر فهو ابنه البكر ،ابنه الوحيد وريثه لم تكن غافلة عن حزن والدها لهذا الوضع ، نظرت له بحنان وهي تلاحظ الشيب الذي غزا رأسه ..ضعف هامته بعدما كان والدها دوما قويا إلا أنه منذ ذلك اليوم الذي تخفي تفاصيله عنها ،وبدا أن والدها كبر عشرات السنين ، وهي لا تعلم لما لا أحد يريد أن يقول لها ماذا حدث !!

فقال بلطف وأسى :- " نعم أبي سيأتي فهو دوما يوصلني ويعيدني لا يرضى لي أن أخذ تاكسيا خاصة في ظروف البلد تلك "

ارتعش قلبه وهو يشعر بفخر لا يستطيع أن يسيطر عليه ، حاول أن يتفوه بشيء ما ، إلا أن غصة مريرة بدت كأنها تسد الهواء عن حنجرتة رفع يده يفك ربطة عنقه قليلا يجلي صوته ، وهو يقول بصوت خرج مبحوحا وإن كان به بعض البرودة كأن الأمر لا يعنيه رغم أنه كان كالحريق في قلبه كاللهب الرمادي بعيني أسر المتهمتين القاسيتين الرافضتين لأي عذر أو مغفرة . " هكذا أفضل ، شادن لو لم يوصلك لأوصلتك بنفسى .. "

إلا أن صوته اشتد بقسوة وهو يقول :- " ولماذا لا يدخل لينتظرك هل نسى أن هذا بيته ...؟! "

عبست شادن وهي تشعر بالإحراج من هذا الموقف؛ فهي تدرك أن أسر - من العناد - لن يتنازل مهما كان الموضوع بينه وبين والده أبدا، وهي لا تدري ماذا تفعل؟! هزت كتفها وهي تعتدل لتواجه والدها تتأمله بشيء من الحزن يحمل كثير من ملامح أسر.. حتى العيون الرمادية نفسها.. إلا أن عيني أسر تشع قوة وعناد وتحديا .. بينما هي ترى عيني والدها لا يظلمها إلا الحزن والانكسار منذ غادر أسر المنزل..! كانت إذ ذاك شادن صغيرة بالسن فلا تتذكر ما حدث لكنها تتذكر أنه قد حدث شيئا من السوء ، وهو أن والدتها أدخلت المستشفى وتوفيت على أثره..! بينما تزوجت هدى بعدها بأقل من شهر والحزن لا يزال مخيما على الوجوه والقلوب ، ورحل أسر نهائيا بينما بقيت هي تتهد، وهي تربت علي وجنتي والدها بحنان وتقول له بحب :-

" أنت تعلم أسر.. لا يتنازل لمخلوق أبي ربما لو أخبرتني ما سبب خصامكما ..قد أستطيع مصالحتكما "

قست عينا والدها فجأة بينما تجمدت ملامحه ، وهو يشيح بوجهه عنها قائلا ببرود :-" أخبرتك من قبل ألا تتطرق لي هذا الموضوع "

أكمل بنفس اللهجة الباردة، وهو يبتعد عنها قليلا متحاشيا النظر إلى عينها شيئا ما :- " ثم هو حريأتي أو يذهب هذا منزله أنا لم أطرده منه أبدا "

تمهدت وكتفاها تنخفضان بيأس لإدراكها أنها كما دوما اصطدمت بحائط صلب لا مجال لاختراقه سارت خلف والدها تستوقفه ، وهي لا ترغب في رؤيته حزينا بهذا الشكل قائلة، وهي تعانقه:- " حسنا لا بأس لن أتدخل مرة أخرى بينكما والآن دعني أعانقك قبل أن أذهب "

قبلته بوجنته فابتسم لها وإن كانت الابتسامة لم تصل لعمق عينيه أشارت له مودعة، وهي تسرع الخطى إلى الخارج بينما تهاوى هو على أقرب مقعد يشعر بالعجز والحزن والقهر، فأخطاء الماضي مصرة علي ملاحقته حتى مماته .

\*\*\*\*\*

الكلماتُ تكتبُ بالرّصاصِ أحيانا.. فتتركُ ثقباً ما في القلبِ يصعبُ إصلاحه ..!

ما إن خرجت حتى وجدت أسر ينتظرها بنفاذ صبر أمام البوابة الرئيسية، دلفت للسيارة، وهي تبتسم باعتذار صادق :- " آسفة تأخرت عليك "

قال أسر بحنان ،وهو يحاول السيطرة على ألم رأسه الذي يكاد يفتك به منذ الصباح الباكر:-"لا بأس عليك حبيبي "

أدار السيارة وهو مشغول البال على غير العادة نظرت إليه بحيرة طفيفة فأسر ليس كعادته .. التزمت الصمت بحيرة، لكن حين طال صمته

تهددت، وهي تلتفت إليه شعرت أن هناك ما يشغل باله فهي ما تعودت منه الصمت سألته بحنان :- " ما بك أسرهل هناك ما يشغل بالك؟! "

رسم ابتسامه خفيفة علي شفثيه وهو يغالب الصداع ليستطيع التركيز على الطريق أمامه :- " كلا حبيبتي لا شيء فقط لدي صداع بسيط " قالت باهتمام :- " هل هي نوبة الصداع ذاتها ..؟! "

أوما لها بصمت لكنها لم تقتنع فقالت بقلق :- إن كنت تشعر بالمرض فما كان عليك أن تأتي لإيصالي كنت أخذت تاكسيا ما "

إلا أنه هز رأسه بنفاذ صبر ، وهو يقول لها بلهجة قاطعة :- " أخبرتك شادن انسي موضوع التاكسي هذا نهائيا ألا تدركين خطورة الوضع بالبلاد، وما قد تواجهينه وحدك لا تدعيني أعيدك للمنزل مرة أخرى "

وجمت شادن لعصبيته المفاجئة وهي تقول :- حسنا أخي اهدأ لن أعيدها مرة أخرى، ولو أن ظروف البلد على هذا الحال منذ ثلاثة أعوام ولا أعتقد أنها ستتحسن بالقرب العاجل

تهدد بضيق فكيف يخبر تلك الصغيرة بما حدث ويحدث كل يوم .. ما أقسم على تجاهله ، وعدم التفكير به منذ سنوات ، على وعده لنفسه منذ ذلك اليوم أن يكون هو أولا وقبل أي شيء

مطبعا جملته الشهيرة " أنا ومن بعدي الطوفان "

همست بحيرة وقلق عليه ، وهي تراه يغمض عينيه لوهلة :- " أسر دعنا نعود .. فأنا أستطيع الذهاب لريم في أي وقت آخر ما دمت متعبا حبيبي دعنا نعود لأعتني بك .. "

تنفس بعمق وهو يقول :- " أنا على ما يرام لا داعي لذلك ،ثم لقد أخذت بنادول سيؤدي مفعوله بعد قليل "

توقف بالسيارة أمام العمارة الكلاسيكية بأرقي أحياء المهندسين حيث تسكن ريم قائلاً :- " ها قد وصلنا انتبهى على نفسك "

ترجلت شادن وهي تقول بمرح :- " سأفعل "

ما إن ابتعدت خطوتين حتى نادى عليها قائلاً بهدوء :- " سأمر عليك الساعة العاشرة .. هل هذا مناسب لك "

أومأت بالإيجاب فابتسم لها قائلاً :- " بأمان الله "

ما إن رآها تخطو داخل العمارة حتى انطلق بسيارته بسرعه قصوى كعادته، وهو يدرك أنه تأخر على ذلك الحفل الخيري .. وافته نوبة أخرى من الصداع ، وارتعش جسده قليلا الجو بدأ يميل للبرودة والهواء يبنى باحتمال سقوط الأمطار؛ إذ غلب على الهواء تلك الرائحة المميزة التي تسبق دوما سقوط المطر .. ابتسم باستمتاع متلذذا بتلك النسمة الباردة التي يبدو أنها لطف من حرارته قليلا وعد نفسه " نصف ساعة أو ساعة بأقصى تقدير ويغادر.

ترجل من السيارة بطوله الفارع وهيئته المهيبة وكتفيه العريضين وصل بخطوات واسعة لموظف الاستقبال متجاهلا نظرات النساء المعجبة، ونظرات الرجال الحاقدة بابتسامة ساخرة .. كان يشعر بالضيق والاختناق من الازدحام الشديد خاصة بوسط القاهرة بالإضافة إلى الصداع الذي وإن خف قليلا إلا أنه لم يختف .. توجه إلى قاعة الحفل بعدما أعطى المسئول .. اسمه بكل ثقة وكبرياء قائلاً بنبرة قوية :- " أسر بدر الدين "

اصطحبه الموظف للقاعة المخصصة للحدث فاجأته أضواء النيون المتلألئة التي كان تأثيرها مؤلماً على عينيه ، وزادت من حدة الصداع الذي ينتابه أغمض عينيه لوهلة يأخذ نفساً ، وهو يمد يده بجيب بنطاله يبحث عن شريط البنادول ليأخذ حبتين أخرتين محاولاً السيطرة على ذلك الوحش الذي يبدو أنه استيقظ ، ويرفض تركه بحالة ابتلعهما دون ماء تنفس بعمق وهو يفتح عينيه حين رآها لم يستطع تصديق حظه لو لم يكن هو من بهذا الموقف .. فكر ساخراً .. لو حكى له أحد أصدقائه موقفاً مماثلاً لأخبره أن تلك الصدف مجتمعة تصلح لإخراج " فيلم هندي " ابتسم بسخرية من الموقف الغريب ... لماذا عند كل زاوية وركن يصطدم بها ..؟! لم ينسها كانت بباله تدفع البسمة لشفثيه كلما تذكر اعتذارها له .. كان كالبلسم الشافي لكل ضيق انتابه .. فقط استعادته للملاحها وهي تنطق بذلك الاعتذار المبتور .. بكل ضيق

تدفعه للقهقه كما الآن ارتسمت علي شفثيه بسمة استمتاع خالص . وقد بدأ ينسى التفكير في صداعه المزعج ، وهو يتأملها من رأسها لأخمص قدميها بدت كملكة .. ملكة متوجة علي مملكة الأناقة والجمال والروعة بفستانها الأسود القصير ذي كمين من الدانتيل الأسود أيضاً لم يكن يزين فستانها سوى حزام عريض من الياقوت الأحمر على وسطها وحذاء أحمر مثله شعرها كتاج أسود عجري يتدلى بكل حرية على ظهرها وكثفها لا يزينه سوى مشط فضي من الجانب بفصوص ياقوتية يتناسب من زيتها ومكياجها الذي يتخذ الهيئة القوطية بكحل كثيف للغاية ذي ظلال سوداء تنضح ببقايا من الجمر الدموي ورموش طويلة معقوفة حتى أنه استطاع رؤيتها من مكانه تظلل عينها بكل روعة شفثين كالكرزوعينين كالعقيق الأسود لم يدر كم ظل على وقفته يتأمل ذاك الجمال الأسطوري بذاك الانبهار حين تصادمت نظراتهما هي أجفلت

لوهلة بارتباك .. و تحرك باتجاهها .. كما لو كان بينهما خيط غير مرئي يجذب أحدهما للآخر ..قطع القاعة الكبيرة بخطوات قوية حاسمة مخملية حتى وصل إليها، توقف أمامها مباشرة بطوله الفارع .. وتلك الابتسامه بعينيه شعرت أن الهواء توقف حولها وأصبح ساكنا وأن الصخب المتناثر تلاشي .. ورغم أنها ترتدي كعب عالي نسبيا ورغم أنها معروفة بطولها الفارع هي الأخرى إلا أنها اضطرت لرفع رأسها لتتلاقى عيناهما التوى فمه بابتسامه لم تدر معناها لكنها أرجفت قلبها.. لمعت عينها بكبرياء ،وهي تتخطاه دون كلمة مرت بجواره بكبرياء وأنفة .. إلا أنه مد يده فجأة يجذبها من يدها لتراجع بصدمه عدة خطوات للخلف .. حتى أصبح وجهها ملاصقا لوجهه بعدما أحنى رأسه قليلا يقول بمكر ،وهو يهمس بأذنها ليطفغو صوته على صوت الموسيقى :- " اشتقت لك "

جذبت يدها من يده برعب تدرك أن تلك طريقته لسحر الطيور بأعشاشها لكنها ليست ممنه؛ هؤلاء السخيفات اللاتي يقعن بسحره لمجرد ابتسامه ساحرة خفق قلبها خفقة زائدة يلومها بأي حق يكلمها بتلك الطريقة بأي حق! إلا أنها لم تدع أي من اضطرابها يظهر على وجهها الشامخ بكبرياء وهي ترفع عينها إليه قائلة :- " وقح "

وجذبت يدها بقوة لتتخطاه انطلق يضحك باستمتاع ضحكته الأجش المبحوحة، وهو لا يستطيع السيطرة على موجة الانتعاش الذي شعر بها حالما رآها فرؤيتها دوما تبدو كنسمة عليله بليلة شديدة الحرارة بدأ الحفل الخيري بدعوة لترك التبرعات بأظرف وضعت على الطاولات ،حتى الآن لا يعرف لم أو لمن تلك التبرعات ..؟! نظر ببطاقته ثم اتجه إلى الطاولة المخصصة له.. جلس باسترخاء وعيناه تتابعانها .. ألقى نظرة على الطاولة أوما للجالسين معه من وجوه غريبة لا يعرف معظمها ..كانت هناك نشرات صغيرة موزعة على الطاولات للتعريف بنشاط

الجمعية وأهدافها .. أمسك بإحداها بفضول ليتفاجأ أن الحفل لجمع التبرعات

( للحيوانات الضالة ) ابتسم بسخرية وبالعجب..!

\*\*\*\*\*

" ما الذي أتى به هنا ..؟! " لماذا تصطدم به بكل مكان مؤخرا ..؟! "

لم يكن ينقصها إلا رؤيته بكل وقاحته ليزداد توترها .. إلا أن ذلك لم يمنع عينها من أن تبرقا بإصرار كبير .. ما أتت لتفعله أهم وأكبر من أن تشغل نفسها بذاك التفاهة المغرور . أشار لها أحمد من زاوية بعيدة بدا وسيما ببذلته السوداء وقميصه الأبيض ، لم يكن بالغ الوسامة لكنها تلك الوسامة المعتدلة .. يملأ وجهه وقار يفوق سنه .. كانت معجبة به كشخص رائع تحمد ربه لوجوده بحياتها .. تقدمت نحوه وهي تبتسم بتوتر إلا أنه ابتسم مطمئنا إياها وهو يقول :- " هل أنت مستعدة ..؟! "

قالت بصوت مبسوح ، وهي تمسح باطن يدها بفستانها بتوتر ناقض ما تقول :- " مستعدة "

قالت له بابتسامة هادئة :- " إذن أذهب .. ماذا تنتظر ؟! "

دفعته بيدها بخفة قائلة بابتسامة مرحة :- " لا أريد رؤيتك هنا هيا اذهب "

أوماً، وهو يقول من أعماق قلبه :- " أتمنى لك التوفيق قاهرة "

قالت له بهمس وإصرار :- " وأنت أيضا "

غادرا كما اتفقا ..فهو أحضرها وساعدها بكثير من الأشياء ؛ دبر لها دعوة للحضور، شريط الفيديو وأعطاه للعامل ، لكنه يجب أن يرحل فإن تم القبض عليه سيفصل من عمله .. وهي لا تستطيع أن تتسبب له بذلك..!همست :-" بأمان الله "

أخذت نفسا عميقا ما إن انطفأت الأضواء وأضيئت شاشة البروجيكتور بموسيقى هادئة، وعنوان كبير يظهر " لهؤلاء أنتم تتبرعون "

\*\*\*\*\*

هناك مواسم للحماقات .. وأخرى للندم ..  
ومواسم للعشق .. وأخرى للألم ..

الصمت التام هو ما خيم علي القاعة لثوان ،الصمت والرهبة ليبدأ بعدها الصخب بين محتج .. ومعارض مؤيد وغاضب !! لمحت بطرف عينها شخص ضخم الجثة يتجه نحوها بعدما أشار إليه أحد ما لكنها لم تكن لتتراجع اتجهت إلي المذيع ،وهي تقول بصوت قوي ونبرة حزينة :- " والآن أريد منكم أخذ ثانيتين للتفكير ، وبعدها تبرعوا لمن يستحق !! إن كنتم... "

إلا أنها لم تستطع إكمال عبارتها؛ فقد وصل إليها الرجل الضخم الجثة ساحبا المذيع من يدها بقوة وخشونة، وهو يقول له بلهجة تهديد :- " أنستي لو سمحتي توجهي معي للخارج "

ارتعبت بداخلها إلا أنها واجهته بشجاعة قائلة :- " لن أتحرك من هنا قيد أنملة حتى أنهي كلامي .. "

قال الرجل بصرامة :- " أنستي لا تدعيني أستخدم معك أسلوب سيء " شهقت وهي تقول بحدة وغضب :- " لن تجرؤ على مد أصبع واحد علي ..أنا أعرف حقوقي المدنية جيدا .."

تهند بنفاذ صبر ،وهو يمد يده ليمسكها من ذراعها بقليل من عنف قائلا بصوت صارم :- " هيا إلى الخارج "

كانت تشعر بالحرج والإهانة بطريقة بشعة، وكل العيون أصبحت مسلطه عليها ..بطريقة لامبالية ..ارتفع صوتها ،وهي تقول بتوتر وخوف بدأت تشعر به :- " اتركني "

قاومت، وهي تجذب ذراعها منه بقوة إلا أن الحارس أبى أن يترك ذراعها .. حين أتى الصوت القوي الأمر .. مليء بالغضب والشراسة قائلا :- " اتركها .."

\*\*\*\*\*

هُنالكَ زمن لم يُخلَق للعشق ..

هُنالكَ عُشاق لم يُخلَقوا لهذا الزمن ..

كان الجو يميل إلى البرودة بينما الهواء يعبث بالأشجار حولها .كان في الجو شيء غامض شيء جعلها متحفزة ما إن فتحت لها ريم الباب ، وبعد السلامات المعتادة اتجهت إلى حجرة المعيشة ..حيث اعتادا الجلوس كانت الحجرة صغيرة رائعة جميلة تتميز بالدفء والحميمية تحتوي على مقعد طويل قابل للطي لونه أسود ،كان المفضل لديها تهتت وهي تخلع شالها تبعته بالجاكيت الجلدي مرت بأنفها رائحة مميزة استوقفتها لوهلة بتوتر اعادت التنشق مرة ثانية كقطعة متحفزة لتخرقها رائحة زهر

الريحان المميزة نبض قلبها بصورة أقلقتها لا يعقل ..! هزت رأسها، وهي تتنفس بشكل أقرب للطبيعي " أنا أتوهم " هذا ما أخبرت به نفسها ..أتوهم !!التفتت تسأل ريم بشيء من التوتر:-" ريم هل هناك شخص ما بالشقة غيرنا ..؟! "

نظرت لها ريم بدهشه وهي تقول :-"وما أدراك ..؟! "

توقف قلبها عن النبض للحظة هزت كتفها ، وهي تنظر إليها بصمت فقد فقدت صوتها فجأة ..وتكونت كتلة ضخمة سدت حنجرتها بحيث تعذر عليها التنفس أجابت ريم بابتسامة مدهوشة :- " إنه أخي محمود أتى اليوم لكنه نائم فهو متعب للغاية "

وحين ظهر القلق على وجهها طمأنتها ريم قائلة :-" لا تقلقي لا أعتقد أنه سيصحو اليوم فهو منك "

ضحكت وهي تحكي عنه بحب قائلة :-" تخيلي لقد قال لي بالحرف .. إنه قد ينام لمدة أسبوع كامل "

" آه "

كان هذا فقط كل ما استطاعت التفوه به ،وقد تاهت منها الكلمات لا تدري لما ارتبكت؟! لما انتفضت نبضاتها حين أدركت وجوده؟!

نهضت ريم ما جعل شادن تنظر إليها بتساؤل فابتسمت ريم قائلة :-" سأحضر كوبين من الشاي لنبدأ الدرس..؟! "

حاولت ان تسترخي بجلستها تحاول أن تبعد عنها تلك الرائحة التي تبدو وكأنها تغلغلت بمسامها تطرد عنها التركيز

أتت ريم بفنجانى الشاي ومضى الوقت بعد ذلك فى المذاكرة .. تناست تماما ذلك الوجود المقلق لذلك الشخص .وهى تتراجع للخلف تتمطى بتعب وإرهاق .. فقد كانت ريم ذات إرادة رهيبة , وإن لم توقفها شادن لمضى أكثر من عشر ساعات قبل أن ترفع رأسها عن الكتب :- " يكفى ريم لقد تعبت "

نظرت لها ريم بغيظ إلا أنها لم تعترض على كلامها .. قالت لها وهى تترك القلم من يدها :- " حسنا سأعطيك نصف ساعة للاستراحة حتى أحضر شيئاً لنأكله .. وبعدها نعود للمذاكرة مرة أخرى "

لوت شادن شفتها بسخرية وهى تقول لها :- " يالكرمك ولم نصف ساعة .. لم لا تجعلها نصف دقيقة "

ابتسمت ريم وهى تقول بإغظة :- " حسنا بإمكانى ذلك "

تصنعت الجدية، وهى تعود لتمسك القلم بيديها فصرخت وهى تنظر لها بعدم تصديق :- " أنت لا تعقلين ألا تشعرين بالتعب سأنهار منك إن واصلنا على هذا النحو "

فضحكت ريم باستمتاع .وهى تؤشر لها بيدها :- " حذرتك من قبل أننى أريد أن أكون الأولى على الدفعة .. وأنت قلت لى .. وأنا أريد أن أكون الأولى مكرر .. "

أكملت بغرور زائف هدفه إغظة شادن :- " لذا أنت تستذكرين معى "

قالت شادن بإحباط لذيذ ، وهى تعبت بخصلات شعرها .. ناسية ملمسها الغريب الذى لم تعتده بعد :- " نعم .. نعم أعلم .. ولهذا أنا أتحمملك "

اتجهت ريم للمطبخ فتبعتها شادن بنية مساعدتها .. تناوبتا علي تحضير عشاء بسيط ..أخذت شادن بتقطيع الطماطم بشرود لم تستطع السيطرة علي ذاك الجزء الصغير .. الضئيل للغاية من التساؤل حوله وبشأنه شعرت برعشة تجتاحها ..وهي تتذكر الغابة السوداء المسماة عينيه وتقطيية جبينه بتفكير عميق لا تنكر أن غموضه يجذبها إليه ,صمتت لوهلة ساخطة .. لماذا يحتل تفكيرها كالعَلَقَة التي تلتصق بالجلد وترفض الابتعاد عنه .. صرخت فجأة وقد أصابت أصبعها بالسكين..أتت ريم إليها متهوللة مفزوعة :-" ماذا حدث ..؟! "

نظرت لها لتصرخ بخوف :-" ياإلهي لقد أصبت "

نظرت شادن إلى جرحها الصغير بالامبالاة ظاهرية، وهي تستشيط غضبا من نفسها قائلة لريم بهدوء :-" اهدئي ريم إنه لا شيء مجرد جرح بسيط.."

قالت ريم بتوتروهي تتجه إلى درج الإسعافات الأولية بالمطبخ :-" بسيط .. كيف تقولي بسيط وهو ينزف دما هكذا "

ابتسمت شادن ..لرقة ريم وحنانها ...أتت إليها ريم بلاصق طبي وضعت له ..أخذت تتأمله لتتأكد من أن الجرح فعلا بسيط ، ثم وحين شعرت بالاطمئنان قالت لشادن بحزم :-

" والآن شكرا لك علي مساعدتك الرائعة لي ..كدت أصاب بذبحة قلبية ..لا أريد حوادث أخرى بمطبخي من فضلك .. هيا إلى الخارج "

اعترضت شادن :-" لكن "

قالت ريم بحزم وهي تدفعها خارج المطبخ :- " لا يوجد لكن .. شاهدي التلفاز .. أراجعني ما قرأناه .. أو حتى استلقى قليلا على الأريكة حتى أنتهي من تحضير الطعام "

حاولت شادن الاعتراض مرة أخرى ، لكن ريم لم تسمح لها وهي تدفعها بلطف للخارج :-" حسنا .. حسنا اتركيني سأخرج وحدي .. الحق عليّ أنني أردت مساعدتك "

ضحكت ريم بسخرية، وهي تقول :- " ويا لها من مساعدة .. شكرا حبيبتي .. لا أريد تلك المساعدة .. هيا اذهبي "

تهددت وهي تتجه إلى حجرة المعيشة بصمت .. ما إن خطت بداخلها ورفعت وجهها عن تأمل إصبعها المضمد حتى ارتعشت حواسها وتوقفت برهبة، وهي ترى ذلك الكيان الأسود الغامض نائما بصمت أمامها على الأريكة المفضلة لها، ووجهه غارق بركن الأريكة بجوار شالها ، مخفي بين خصل من شعره المتناثرة بفوضى ساحرة بلا انتظام، أول شيء جال ببالها أنه يجب عليه قص شعره بطريقة مهذبة أعادت تأمله بقلب واجف ، سرحت عيناها تتأمل تفاصيل وجهه بتمعن لم تحظ به من قبل لاحظت جرح يبدو حديثاً بعض الشيء بيده .. هالات سوداء تحت عينيه قامته كما هي قوية ضخمة، حتى في نومه يبدو أكبر من الحياه يداه السمراوتان تحتضنان الوسادة بأريحية، تهددت وقلها لا يرضى بأن يكف عن تضيق دقاته بسخافة .. لماذا أيها الأحمق .. أنت تخافه .. إنه كربه متسلط قاسي دائم العيوس .. لكنه يثير فضولها كما لم يفعل أحد من قبل ،لم تدر أين تذهب ولا ما تفعل، كانت تشعر أنها أسيرة شيء ما أقوي منها يجبرها علي البقاء مسمرة أمامه ، كان يبدو غارقاً في نوم عميق ..

يرتدي بنطلون جينز أسود عتيق وتي شيرت أسود مثله .. تسألت بصمت :- "متى استيقظ وأتى هنا ..ولماذا نام هنا بهذا الشكل الغريب ..؟! "

تقدمت للأمام خطوة بفضول الأنثى لتتراجع بعدها بسرعة وذعر حين تحرك من مكانه يرفع وجهه عن الوسادة، فتح عينيه ببطء ارتعشت نظرتة لوهلة، وهو يراها أمامه حبست أنفاسها وكل حركة بجسدها تسكن .. حتى الأنفاس نسيت أن تتنفسها ..اغتمت عيناه لتعودا تلك الغاية المظلمة .. تأملها بصمت لثوانٍ قليلة مرت عيناه علي وجهها لم يخلع نظراته عنها .. وكأول مرة رآها راح يتأملها بغموض وصمت بنظرة تحمل من الغرابة ما لم تستطع أن تفسرها .. تسمرت مكانها دهشة لا تجرؤ علي الحركة.. توقعت أن حمرةً قد علت وجنتها اللتين نسيت أن تضع عليهما حمرة .. تلقائياً مدت يدها إلى شعرها ترفع خصلاتاه.. إلا أنه يبدو كما لو أنه يتمادى في إرباكها لم ينطق بحرف واحد ..أخيراً توقفت نظراته عند عينيها بنظرة غائمة قليلا،وهو يقول بصوت أجش ناعس :- " لم أتوقع وجودك هنا.."

قالت وكأنها تعتذر بارتباك:- "ولا أنا توقعت شيئاً كهذا.."

وبخت نفسها :-" أيتها الحمقاء ماذا قصدت .. اصمتي أفضل لك "

اعتدل قليلا وهو يبتسم بغموض ..رفع يده ليفرك بها ذقنة النامية كشر أنفه بطريقة محببة .. أغمض عينيه ،وهو يستريح برأسه علي المقعد كأنه لم يشبع من النوم بعد ،بينما وقفت هي مترددة ما بين الهرب إلى ريم بالمطبخ أو التقدم لتحسم أمرها بالجلوس بهدوء علي المقعد المجاور للأريكة ..انتفضت حين أتى صوته الأَجَش الناعس ،وهو لا يزال على إغماضه لعينيه .. كأنه لا يزال نائما :- " كيف حالك شادن ؟! "

انتفض قلبها وأتى صوتها بحاً وهي تجيب:- "بخير وأنت ؟ "

همس بصوت أجش :- " متعب "

فقد قلبها إحدى دقائقه وهي تقول دون وعي :- مم..!!

لم يجيها فقط ارتسمت علي شفتيه ابتسامه لاتدري أهي ابتسامه تعني أنا بخير أم هي ابتسامه سخريه .. ابتسامته حيرتها..! إلا أنه فتح عينيه فجأه كأنه تذكر شيئاً ما .. أعاد النظر إليها بشدة ، وعيناه تتلونان بالغضب اعتدل بجلسته ، وهو يقول بصوت غاضب :-

" ماذا فعلت بشعرك ..!!؟ "

" ماذا ..!؟ "

رفعت يدها إلي شعرها بتلقائية محتارة من لهجته، وهي تبتسم قائلة بتردد :-" ما رأيك .. أليس هكذا أجمل..!؟ "

اشتعلت عيناه وهو يقول :-" أيتها الحمقاء .. أيتها الطفلة الحمقاء "

" ماذا ..!؟ "

أحست أنها غيبية للغاية ما بالها تكرر تلك الكلمة كثيرا ..!لم تدر ما سبب غضبه .. لم يتهجم عليها هكذا ..؟ ماذا يهمه من شعرها ..!؟ لم عليه أن يجرحها بهذا الشكل ..!؟ لم لم يقل لها مثل نائل مثلا " إنه رائع "

قالت بجفاف :-" ما الذي لا يعجبك به تحديدا ؟! "

أخذ ينظر إليها بعمق لوهلة وغضبه ينحسر ليحل محله تعبير آخر لم يسبق لها أن رآته .. لا تستطيع وصفه بالرقه .. فذاك لا يعرف للرقه



" اتركها .. "

بدا الصوت جافا .. يحمل الكثير من القوة والتهديد بالإيذاء الجسدي ما جعل الحارس القوي يترك يدها تلقائيا ، وهو يلتفت لمواجهة ذاك الصوت الأمر السلطوي ..بينما نظرت هي إليه بصدمة !!..المح بطرف عينه أحد مدراء الحفل الخيري يأتي مسرعا .. تنفس بضيق حيث أن الوضع بدأ يتفاقم إلا أنه لم يسمح لضيقه ذاك بالظهور علي وجهه ..تقدم خطوة للأمام وابتسامة تشع بوجهه لكنها لم تصل لعينه يدراً غضب المتقدمين ألقى التحية ماذا يده باحترام لذاك الرجل ،وهو يلح اسمه على بطاقة التعريف المعلقة برقبته :-" أهلا سيد حسام ..اسمح لي بالاعتذار عن تلك الفوضى .. "

كان الرجل متحفزا للصدام إذ بدا ذلك من تعبيرات وجهه المتجهمة ..لكن يبدو أن مقاربة أسر له بتلك الشخصية الأسرة أذهبت بعض غضبه أشار للحارس بهدوء ليذهب .. نظر الحارس لأسر الواقف أمامه والغضب يطل من عينيه ثم ذهب .. أفافت قاهرة من صدمتها لدفاعه عنها .. لوجوده إلي جوارها ..استغربت ذلك ..لكن قلبها الأحمق أبي إلا أن يدق بلا انتظام لوهلة ..شعور غريب سرى في شرايينها..شعور أفافت لنفسها عليه، وهي ترفض أن يتسلل إليها علي غفلة منها .. أصابها الغيظ منه ومن نفسها .. لم يعجبها الوضع ولا سيطرته عليه ببساطة كأنها غير موجودة .. ارتفع صوتها قائلة بغضب :-" ماذا تفعل ..لا تعتذر لهم ..المفروض أن يعتذروا هم لي .. "

اكملت وهي تشير بيدها لذاك الحارس :-" قد أرفع عليك قضية لسوء معاملتك لي "

نظر لها أسر قائلا بصرامة :-" اصمتي قاهرة "

التفتت إليه وهي تستشيط غضبا من تدخله :-" كلا لن أصمت .. ثم لماذا تتدخل دائما بما لا يعنيك ..؟! "

ارتفع صوته أكثر، وهو يقول بلهجة حانقة أمره تلك المرة :-" اصمتي "

بهتت فلا يحق له أن يهينها بهذا الشكل ، وأمام هؤلاء الأشخاص ..أهينت ووجدت نفسها تصمت ..ربما هي الصدمة ..ربما هو الخوف ..ربما هو ذلك الوجه الآخر الذي لم تعرفه بأسر إلا اليوم ..قال السيد حسام موجها كلامه لقاهرة بصرامة :-

" أنستي لا أعلم من أنت ولا من تكوينين .. لكن ما فعلته اليوم خطأ بالغ فلا تهددي بما لا تستطيعي فعله "

شهقت وروحها المتمردة تعاودها :-" ماذا تقول ..؟! ..أنتم ..آه "

صرخت بغيظ ، وهي ترفس بقدمها في الأرض من شدة الغيظ ..لم تكن تنوي أن تنفعل إلا أن ذلك الرجل البارد ..و ذلك الأسر الأمر ..أشعلا غضبها وغيظها بطريقة لم تعد تميز ما تقول أو تفعل .. قالت بحنق :-" أنتم أغبياء ..معدومي الإحساس .."

" قاهرة .."

أنت صرخة أسر قاطعة لتجعلها تصمت فجأة وهي تعي ما تفوهت به ..اشتعل وجهها غيظا وإحراجا وخجلا فهي أبدا لم تكن تقصد أن تهين أحدا .. لكن صممت قاهرة ..التفت أسر لحسام ،وهو يقول له بدبلوماسية :-" هل لنا أن نتجه إلى مكتبك .. فنحن مدينون لكم باعتذار"

التفتت قاهرة مصعوقة تنظر إليه في صدمة .. هي مؤمنة بما فعلته ولن تعتذر عنه ..! لكنها وجدت نفسها تصمت .

وأما الرجل بالقبول ، فقال أسربا بتسامة :- "شكرا لك "

إلا أن قاهرة قاطعتهم قائلة :- "لا داعي لذلك .. فأنا راحلة .."

إلا أن قبضة من حديد أمسكت بمعصمها .. مال عليها يقربها منه . وهو يهمس بعدما تقدمهم حسام دون أن يسمع ما قالت قائلا لها بصوت بدا كالصوان من شدة قسوته :-

" هذا الرجل وذاك المكان يستحقان منك اعتذارا على ما قمت به .. والآن دعينا نتجه للمكتب معه لنسوي الموضوع .. وإلا فهو يحق له رفع دعوي قضائية عليك . وأنت تعلمين أنه سيفوز بها نظرا لعدد الشهود على ما فعلت .."

نظرت له بصمت وتحدٍ ليقول :- " هل كلامي واضح "

لم تجبه بل سحبت يدها منه بقوة حتى شعرت ، وكان معصمها انفصل عن ذراعها ، وهي تتوقف بعدما أصبحت بالمرمر بعيدا عن قاعة الحفل قائلة بهدوء وقوة . وهي تسلط نظرات عينها على وجهه بقوة وكبرياء أسرتين :-

" أنا سأعتذر .. ليس خوفا .. ولكن لأنني لم أتعود أن أتغاضي عن خطأ قمت به .. وأنا بعكس بعض الأشخاص لم أتعود إهانة البشر .. ما فعلته أنا مؤمنة به وإن واتتني الفرصة لكررته "

توترت نظراته بشدة .. ضيق عينيه فكرهها له يوتره .. شجاعتهما .. التفتت  
تنادي الرجل الذي تقدمهم بضع خطوات غافل عن ذلك الحوار " أستاذ  
حسام "

توقف الرجل وهو ينظر لها بفضول :- لكنها أكملت باحترام :- أنا مدينة  
لك باعتذار "

أخذت نفسا عميقا، وهي ترى نظراته المسلطة عليها باهتمام فأكملت :-  
" إن كنت تفوهت بما يضايقك قبل قليل .. فأنا لم أقصد .. "

دمعت عيناها بتأثر تغالب به ضيقها وحزنها وهي تقول :- " لكنكم لا  
تدركون .. "

لم تجد ما تعبر به لأول مرة تخونها الكلمات .. لذا اكتفت بالصمت،  
وهزت رأسها وهي تطرق بها أرضا ارتعشت شفتها .. تلك الشفتان اللتان  
اكتنزا أسفلهما بفخر ليخضع له الآخر بخنوع ذابح للناظر لهما....رفعت  
بصرها لترى عينين رماديتين تنظران إليها بتركيز شديد .. عيناه على  
شفتها المرتعشتين .. قاهرة .. على وشك البكاء .. شعر بشيء ما يشعل  
النيران بصدرة .. مد يده بدون وعي يمسك بذراعها مرة أخرى مقربا إياها  
منه بحماية .. أتت محاولة ضعيفة منها لسحب ذراعها لكنها لم تستطع،  
وقد اعترها ضعف غريب عنها

قال الرجل بود :- " لا بأس ابنتي .. أدرك مسعاك وإن كنت اختلف معك ..  
لكنني فخور أن لديك قضية مستعدة للمحاربة بسبيلها .. فقط الطريقة  
التي اتبعتها هي ما اختلف معك فيها .. "

ابتسم لهما ، وهو يقول :- " والآن أعتقد أننا سوينا الموضوع إذنا لي  
بالعودة للحفل قبل أن ينتهي "

تركها وقد خيم الصمت فوق رأسهما .. لكنه لم يدم كثيرا إذ سحبت قاهرة يدها من يده بشراسة، وهي تلتفت له والغضب يلتمع بعينها الرائعتين بقايا من دمع لم ينزلق أخذ يلمع بطريقه تفوق خياله روعة لمثال لكبرياء وإنفة وشموخ لم ير له مثل بأمرائه وهي تقول :-

" اتركني لا أدري ما دخلك بي كلما ذهبت لمكان أجذك حولي ..هل تتبعني أو ماشابه .. ثم كيف تجرؤ علي التدخل بشيء لا يعينك بالوقاحتك "

قال بحنق والصداع قد عاد يراوده بقوة " لو لم أتدخل لكان مصيرك الآن بقسم الشرطة .. فما فعلته يسمى تعدي على الممتلكات العامة والتشهير بجمعية خيرية محترمة، لها اسمها واقتحام مكان بغير إذن بافتراض طبعاً أن دعوة الزيارة معك مزورة "

صمتت لوهلة لكنها رفعت وجهها إليه مرة أخرى ،وقد تجدد الإصرار بعينها لفحها الهواء البارد لتدرك أنهما قد أصبحا بالشارع أمام الفندق الضخم وهي تقول :- " وإن يكن ..أنا لم أطلب تدخلك ..فلا تتدخل بما لا يعينك "

أغمض عينيه قائلاً بنفاذ صبر ليفتحهما والغضب يتطاير كشرارات مميتة منهما :-

" أيتها الحمقاء التي لا ترى أبعد من أنفها المتكبر ذلك ..بدلاً من أن تشكريني هذا جزائي ..الحق علي كان يجب أن أتركهم يهينوك دون أن أتدخل "

قالت بحماقة :- " نعم كنت تركتهم ..."

التفت تاركا إيها وكأنه اكتفى . إلا أنها لم تكن قد أفرغت شحنة غضبها بعد فتبعته . وهي تصرخ والهواء البارد يلفح وجهها ، وقد نسيت معطفها بالفندق :- " ثم إنني لم أخطئ ما فعلته هو عين الصواب فبدلا من التبرعات لهؤلاء الأطفال المساكين .. يجمعون تبرعات للقطط والكلاب .. وهناك الآلاف من البشر يموتون جوعا .. يجمعون تبرعات بهذا المكان الفخم .. الذي تكفي تكاليفه لتصلح هبة جيدة لإحدي دور الملاجئ التي أصبحت مكتظة عن آخرها "

كان يدرك صحة ما تقوله بقرارة نفسه .. لكنه وجد أنها منافقة التفت فجأة لتصطدم به بشدة حيث كانت تسير بخطي مسرعة بكعبها العالي لتوافق خطواته الطويلة المديدة .. اقترب منها وهو يقول بفحيح غاضب :- " وأنت أيتها الثورية الشجاعة المثابرة ألا تشعرين أنك منافقة "

ذهلت :- " ماذا ..؟ أنا منافقة .. كيف هذا ؟! "

" هذا .. "

أشار لما ترتدي بطرف إصبعه ، وقد فاق غضبه كل تعقل :- " هذا الفستان كم ثمنه .. ؟ وذاك الحذاء والحقيبته أليس لماركة عالمية قد يصل ثمنهما لأكثر من ثلاثة آلاف جنيه مثلا .. "

بهتت بصمت ما زاد من غضبه ، وهو يقترب منها هامسا بفحيح :- " أأنت منافقة درجة أولى .. ؟! "

أنت تتمتعين بكل ذاك البذخ ، وتأتي هنا لتحاسبي هؤلاء الناس الذين أرادوا فعل خير ما .. حتى ولو بحق حيوان .. حتى ولو بحق من لا يستحق ... رغم أن الحيوان هو أيضا من مخلوقات الله وله حق علينا كما البشر .. "

أصبح وجهها شاحبا ، وبشدة أمسك بذراعها يهزها ، وهو يكمل طعناته بقسوة بالغة :-

" من تكونين أنت لتتهمينهم بالغباء ..؟ من تكونين أنت لتشجبي ما يفعلون ، وأنت نسخة مصغرة منهم أو ربما أبشع منهم .. ها "

صمتت وقد شحب وجهها وهالها نظراته لها .. هالها أكثر أن ما يقوله يحوي شيئا كبيرا من الصحة .."

ارتعشت أهدابها ..دون قدرة لها علي النطق بحرف واحد ..أصبحت كتمثال من الشمع المرمرى ، والهواء يعبث بخصلات شعرها الحالكة السواد ..رفع يديه يمسك رأسه بضيق مغمضا عينيه من ذلك الصداع الفظيع ..قسي عليها يدرك ذلك ..قسي عليها وبشدة ..تهدد وهو يأخذ نفسا عميقا ..حان دوره ليعتذرلها فلا يحق له أن يقسو عليها بتلك الطريقة .. فهو ليس المثال الأنسب و الأروع للحكم على الأشخاص .. فتح عينيه ليجدها اختفت من أمامه .. تلفت بدهشة

" أين ذهبت "

ليجدها تقطع الطريق ، وهي تجري وصوت نسيجها يصل إلي أذنيه ..نادى عليها :- " قاهرة انتظري "

إلا أنها لم تتوقف ..خطا مجتازا الشارع خلفها حين رأى سيارة مسرعة قادمة وبقوة تجاهها .. نادي تلك المرة بذعر .. وقد نسي تماما مبدأه " أنا ومن بعدي الطوفان .. " حيث كانت قاهرة قد توقفت بمنصف الطريق منحنية تجلب شيئا ما من الأرض .. " قاهرة ..."

رفعت إليه عينين مندهشتين من صراخه ،أسرع بخطاه إليها ليقبض بقوة وقسوة على خصرها ينتشلها من الأرض .. بينما أصبحت السيارة المجنونة أمام عينيه مباشرة دفعها بعيدا في نفس الوقت الذي صدمته السيارة بقوة ليطيح عاليا بالهواء ويسقط دون أن يعي شيئا مما حوله

\*\*\*\*\*

نظرت شادن في ساعتها لتجدها قاربت على العاشرة :- " حسنا وأنا سأغادر .. "

قالت ريم بدهشة واستغراب :- " ماذا ..؟! "

قال شادن بتأكيد ولهجة قاطعة :- " أخبرتك .. أسر علي وشك المجيء ليقلني .. أخبرني أنه سيمر بي العاشرة، وهي الآن العاشرة والرابع .. سيأتي في أي وقت ليصحبني ،وأنت تعلمين كم يكره الانتظار.. "

قاطعتها ريم باعتراض :- " لكنني حضرت وليمة .. يجب أن تأكلي معنا "

ثم هتفت والابتسامة عادت لتزين شفتيها :- " حين يأتي سأدع محمود ينزل لدعوته ليتعشي معنا وبعدها تذهبان..أكيد محمود اشتاق له "

حين هزت شادن رأسها بالرفض أكملت ريم بإقناع :-" أو الأفضل اتصلي به .. تعجلي مجيئه بما أنني انتهيت من وضع الطعام .. "

صمتت شادن وقد بان عليها التفكير باقتراح ريم .. لا تنكر أن الفكرة راقتها كثيرا ..ذهبت لحقيبتها أخرجت هاتفها لتتصل بأسر..اتصال ولا مجيب مرة .. مرتين ثلاث بدأ ينتابها القلق بالمرّة الرابعة أجاب أحدهم .. صوت لم تميزه جيدا .. إلا أنها قالت بقلق قبل أن يتكلم حتي :- " أسر أين أنت انتابني القلق عليك .. لم تأخرت هكذا؟! .. "

أتى صوت بالكِ لفتاة تقول :- " من معي .. ؟! "

وضعت شادن يدها على قلبها بقلق وهي تقول :- " من أنت .. ؟! هذا هاتف أخي .. من تكونين .. ؟ أين هو .. ؟ "

ليتعالى الشيخ بخفوت .. ما جعل شادن تتراجع للخلف تستند على كرسي ما ، وهي تقول بشحوب وقلب ينبض بفرح :- " لو سمحتي أعطني أسر لأكلمه "

ازداد نسيح الفتاه وهي تقول :- " أنا آسفه .. لا أدري كيف أخبرك .. أسر .. "

صرخت شادن حيث لم تعد تتحمل :- " مابه .. ؟ انطقي .. "

أتى الصوت بخفوت يقول بنبرة مرتعشة بالبكاء :- " لقد وقع حادث .. "

صرخت شادن برعب :- " أسر "

obeikandi.com

obeikandi.com

### الفصل الثالث

ذاكرة .. نهاية بداية..!

هُنالِكَ مواسم للحزن الذي لا مبرر له .

انهمرت الدموع من عينيها ، وهي تنهار على الأرض تبكي ، سقط الهاتف من يدها من هول الصدمة .. بحيث لم تشعر بقدوم ريم ومحمود فزعين على صرختها ، احتضنتها ريم تحاول أن تهدأها بينما أخذ محمود الهاتف منها بعد نظرة سريعة لها، تكلم بسرعة وهدوء وحزم أغلق الهاتف لينظر إليها ارتعشت نظرتة ، وظهر بها القلق بينما كانت هي تبكي بحضن ريم تتمتم بانهايار.. أسر.. قال لريم بهدوء أمر:- " ريم اجلي لها كوب ماء "

أومأت وهي تنهض مسرعة بينما انحنى هو على الأرض حتي أصبح علي ركبتيه مواجهها لها ، وهو يقول بصوته الهادئ وإن ظهرت به لمسة حنان :-  
" شادن انظري لي .. "

رفضت شادن أن تنظر له .. انهارت بالبكاء أكثر فقال بصوت أمر نافذ الصبر :- " شادن انظري لي...؟! "

رفعت عينيها حمراتين له ، وهي تبكي كأنها تستجديه أن ينكر ما سمعت:-  
" أسر.. "

أخذ نفسا عميقا وهو يقبض بيده علي ذقنها قائلا لها بقسوة :- " الآن ليس وقت البكاء .. أسريحتاجنا إلى جواره .. "

ارتفع نشيجها وارتعش جسدها .. تركها بنفاذ صبر وعيناه غائمتان أعطاها ظهره، وهو يمسك الباب بقوة حتي ابيضت سلامياته .. قال بقسوة وحزم:- " أنا ذاهب إلى المستشفى هل ستأتين معي أم تبقين هنا مع ريم حتى اطمئن علي أسر "

انتفضت لماذا يجب عليه أن يكون بتلك القسوة ..إلا أنها نهضت قائلة بصوت باكٍ مرتعش لكن مصمم :- " آتية معك هيا بنا "

أوماً بصمت وهو يقول :- " حسنا اذهبي اغسلي وجهك لنذهب "

" لا "

التفت إليها بغضب، وهو يهم بالصراخ عليها ليجدها تمسح وجهها بطرف كمها كما الأطفال ما جعل بسمه مشفقة تلامس شفثيه وهي تقول :- " لا داعي لذلك هيا بنا "

أوماً باستحسان ونظراته غامضة قائلا :- " هكذا أفضل يجب أن تبقي قوية وأسر بإذن الله سيكون بخيرها بنا "

ارتعشت شفثها مهددة بنوبة أخري من البكاء لكنها غالبتها ،

أتما الطريق بصمت شادن ملتصقة بالنافذة .. تنظر إلي الأمطار التي بدأت بالهطول تبتهل لله أن يكون الأمر بسيطا بينما ذاك العابس بجوارها مقطبا جبينه كالعادة يبدو عليه التفكير بعمق .. لفت وجهها تتأمله بصمت كانت تشعر أنهما وحيدان بطريقة تفوق الواقع حقيقة، ومختبئان عن كل الناس يغطيها ستار من الأمطار المتزلقة على زجاج النافذة ،شعرت أنها تريد أن يقول لها شيئا ما أن يطمئنها بدلا عن صمته العابس ذاك التفتت إليه تلك المرة بشحوب وقوة، وهي تسأله ببحة مرتعبة ورجاء صب بقلبه رعشة لم يستطع السيطرة عليها :- " محمود .. أقسم بالله .. أسر هل هو بخير .. ؟ هل هو حي ..؟! "

أوقف سيارته إلى جانب الرصيف قال وهو يشعل سيجارة:-

" شادن أسر بخير ..هو ... "

تردد :- " هو حي لكنني أريد منك أن تكوني شجاعة فهو يحتاجك بجواره  
الآن أنا لا أعلم كيف هو الوضع لكن أعتقد يجب أن تتصلي بوالدك .. "

شهقت كيف سها ذلك عن بالها التمتع عيناها بالدموع وهي تبكي بيأس  
مد يده يرفع وجهها إليه إلا أنه تراجع .. بدا أنها تبحث عن شيء ما ليرتفع  
صوتها ببكاء :- " ..نسيت هاتفني ..؟! "

شبح ابتسامة تلاعبت بشفتيه وهو يزفر دخان سيجارته بتوتر ،مد يده  
يعطيها هاتفه قائلا بصوته الأجش :-

" هاك لا داعي للبكاء ألم أقل لك أريدك قوية "

نشجت وهي تكفكف دمعها بطرف كمها إلا أن أنفها كان قد أصبح  
مزكوما بدا بحالة رثة للغاية بكل بساطة أخرج منديله ،رفع وجهها إليه  
ووضعه على أنفها أصيبت بالإحراج الشديد حاولت أخذ المنديل منه إلا  
أنه قال لها بهدوء ورقة وعيناها تلمعان :- " تمخطي .. "

هزت رأسها بالرفض بإحراج فابتسم قائلا لها كأنه يخاطب طفلة  
بالخامسة من العمر :- " هيا .. شادن ..اعتبريني أسر "

اضطربت لذلك التشبيه ،وهي تمز رأسها بالرفض فهو يستحيل أن يكون  
بمثابة أسر بالنسبة لها ..ابعدت أنفها بعناد إلا أنه مسح لها أنفها بالقوه  
ما جعلها تتأوه .. والإحراج يصل لمنابت شعرها ..حاولت أخذ المنديل منه  
لكنه دسه بمعطفه بكل بساطة ..لم تكن بمزاج لتفسر لم يتعامل معها  
هكذا .. هو ببساطه يحيرها ويثير اضطرابها وسخطها .. وخوفها !!

رفعت الهاتف وهي تتصل بأبيها ..ما إن أجاب حتى عاودت البكاء أخبرته  
ما حدث بكلمات متقطعة .. لا رد..بدا كأن والدها لم يسمعها بالبدء

حيث حل الصمت الرهيب علي الجهة الثانية من الهاتف .. نادى ببكاء:-  
أبي .. هل تسمعي أبي .. أقول لك أسر "

" أين ..!؟ "

أتت الكلمة الوحيدة القاطعة .. بشحوب وذهول وصوت خافت لدرجة  
أنها توهمت أنها سمعت .. لكن الصوت عاد يتعالى مرة أخرى بنفس  
السؤال :- " أين ..!؟! "

فنظرت لمحمود بحيرة وكأنه أدرك ما يسأل عنه والدها فأخبرها بهدوء :-  
" مستشفى ال ..... "

أغلق والدها الخط دون كلمة زائدة .. كانت مصدومة من رد فعل والدها  
الغريب .. لكن للمرة الثانية .. لم يكن وقت تحليل المشاعر ، تنهدت وهي  
تستجمع أفكارها .. كانت تأخذ أنفاسا علي شكل شهقات متقطعة .. هدي  
.. يجب أن تتصل بها لتخبرها .. أعادت الاتصال مرة أخرى ، وذلك  
الغامض جوارها يضغط بيديه على المقود كلما علا صوتها بالبكاء . وهي  
تحدث هدى

ما إن انتهت حتى أعطته الهاتف .. ليلتفت ويقول لها بقسوة متعمدة ،  
وصوته أجش من غضب غير معلوم :- " هلا كفت عن البكاء .. أو أعيدك  
إلي المنزل لتبقي مع ريم .. "

انخفض صوته ببحه لم يستطع السيطرة عليها حين وجدها تنظر له  
بصدمة ، وقد انتفخت عيناها من كثرة البكاء المتكرر ، وبدت أنفها حمراء  
بطريقة بشعة .. قلل من قسوته ليقول بعتب :- " شادن .. أنا لا حمل لي  
بالبكاء .. لا أطيعه ولا أعرف كيف أتصرف معه .. أو مع من يبكي .. فبالله  
عليك توقفي عن البكاء الآن "

هزت رأسها بهمهمة صامتة، وهي ترغم نفسها على التوقف عن البكاء  
..تهمد بصبر وهو يفتح الباب قائلا :- " هيا بنا .. "

\*\*\*\*\*

جذبها أحدهم ليجلسها .. بدا مظهرها مشعثا بينما الدماء تغطي رقبتهما  
ويديها ..لم تتحرك من أمام حجرة العمليات .. حيث أدخله الأطباء  
للمعاملات بسرعة قصوى .. كل شيء كان ضبابيا ..صرخته .. احتضانه  
إياها ..ثم اصطدامه بالسيارة بعدما أبعدا عن الطريق..كل هذا حدث  
في ثوانٍ معدودة .. تلك النظرة التي رأتها بعينه وهو يصرخ باسمها ..  
نهضت بسرعة رهيبة وهي تتغاضى عن كل آلام جسدها .. ركعت إلي  
جواراه وهو ملقي على الأرض ..تصرخ بجنون وفزع :- " ..أسر ..انهض ..  
أسر ..أرجووووووك "

لكن لا حياة لمن تنادي .. رفعت رأسه ببطء إلى حجرها وهي تجلس  
القرفصاء على الأرض .. كان هناك الكثير من الدماء التي تغطي وجهه  
وبدا شعره لزجا بكثافة من شدة الدماء .. أخذت تمسحها برعب وتوتر  
..بعيدا عن عينيه .. التي تخضبت رموشهما بالدماء الحارة ..صرخت :-  
" النجدة...فليساعدنا أحد "

فتح عينيه ثم أغمضها .. لم تستوعب أنها تصرخ إلا بعد خروج بعض  
الأشخاص من الفندق وأغلبهم طبعاً من أمن الفندق مهولين وهي تصرخ  
بهستيريا :- " فليساعدنا أحد ..أرجوكم .. "

ثم أخذت تبكي وهي تحاول أن توقف النزيف الذي يأتي من رأسه بيدها ..  
ضاغطٌ عليه بقوة .. وصل الأمن بالإسعاف الذي أتى سريعا .. وها هي ..  
أمام غرفة العمليات ترتعش وتنتفض ..تشعر برأسها يكاد ينفجر رعبا

وخوفاً، وقلبيماً كأنه فقد دقاته كلها دفعة واحدة ينقطع تنفسها لوهلة ثم يعود بشهقة.. لم تكن تبكي الآن فهي تشعر بصدمة أكثر من أن تبكي.. لا تعرف ماذا تفعل سوى الانتظار.. خرج الطبيب، وهو يتلفت بقلق.. فهبت من مقعدها على الرغم من ركبتيها المخلختين وهي تقترب منه بأمل وفتح تنظر له بتضرع :- " ما الأخبار أيها الطبيب..!!؟ "

سألها بصرامة :- " هل أنت زوجته..!!؟ "

فتحت فمها بذهول.. أوشكت على النفي.. إلا أن شيئاً ما بنظرة الطبيب أحجمها عن فعل ذلك فسألت بدلاً عن الإجابة بصوت مبسوح :- " ماذا هناك..!!؟ "

هز الطبيب رأسه بتفهم، وهو يقول بهدوء وإن كان بشيء من العجلة، وهو يشير للممرضة :- " بصراحة الوضع خطير.. خلافاً للصلوع المحطمة هناك نزيف بالجمجمة "

شحب وجهها أكثر مما كان شاحباً.. وبدت عيناها كما عيني الباندا يحوطها السواد.. من الكحل والمكياج السائل من شدة البكاء.. إلا أنه استمر بنفس الهدوء والبراعة المهنية :-

" استطعنا إيقافه.. إلا أنه وبسبب شدة الاصطدام أدى إلى تكون تكتس دموي فوق جدار العين ونحتاج لإزالته سريعاً لأنه يشكل ضغطاً رهيباً علي المريض.. "

وضعت يدها على قلبها برعب أسر.. قد يموت ارتفعت يدها إلى حلقها وارتعشت أنفاسها وشحب وجهها حتى أوشكت أن يغمي عليها لكنها تماسكت وهي تقول :-

"و..وما المطلوب تحديدا ؟ !!"

تنفس الطبيب ثم قال :- " بكل صراحة هناك احتمال أن يفقد المريض بصره مؤقتا خاصة أن الضغط يرتكز على الفص الأمامي للمخ .. بعد الجراحة لكن عدم إجرائها قد يؤدي إلى وفاته "

صرخت بهستريا مؤقتة :- " ماذا..؟! "

قال لها بصرامة وبعض التوتر :- " من فضلك اهديني "

أخذت نفسا عميقا وهي تحاول أن تهدأ وتكون على قدر الموقف فلا أحد إلي جواره إلا هي ..ضغظت على عينيها بقوة تسيطر على الألم الرهيب بهما ،وهي تقول بارتعاش :- " أخبرني ماذا باستطاعتي أن أفعل..؟! "

قال بنبرة رسمية :- " أريدك أن توقعي علي استمارة لاخلاء مسئولية المستشفى ..إذا حدث أي سوء وإدراكك للمخاطر المصاحبة للعملية ..؟! " ارتعبت وقالت :- " وما نسبة الخطورة "

% 50

رد الطبيب بإيجاز باسطا أمامها كل الحقائق ..خمسين بالمئة ..ارتعشت يدها ،وهي تدرك أنها يجب أن تتخذ قرارا لا وقت للتردد ..خمسين بالمئة .. قد يموت .. صوت آخر أخبرها .. وقد يحيا ..قد يفقد بصره .. وقد لايفقده ..! لن يغفر لك ما حييت إن فقد بصره .. ولن تغفري لنفسك ما حييت إن فقد حياته ..! اتخذت قرارها حين وصلت أفكارها لهذا الحد ..أخذت نفسا عميقا وهي تقول :- " أين أوقع ....؟! "

أشار للممرضة التي تنتظر إذنه من مدة .. وهو يقول :- " حسنا اذهبي معها لإجراء ما يلزم .. وأنا ساعود لحجرة العمليات "

ربت علي كتفها مطمئنا .. حين رأى نظرتها الحائرة الخائفة . " ادع له "

بدأت يدها التي وضع بها كوب من القهوة السوداء متسخة الأظافر ملطخة باللون الأسود والبني من دمائه التي جفت علي يديها . قالت برعشة وهي تعود لتجلس بلا حيلة " ياإلهي ماذا فعلت ؟!

تمنت له كل شيء إلا أن يموت .. الأحمق .. انتابها الغضب منه .. الأحمق ما الذي دفعه ليفعل ما فعل ما الذي دفعه لإنقاذها...لماذا غامر بحياته لأجلها..؟! أسر الأتاني .. التافه .. المغرور..! أحبته حتي ذلك اليوم الذي اكتشفت كم هو حقير ومتلاعب وزير نساء من الدرجة الأولى حطم قلب أختها ، وتفتت قلبها هي..! أناني ..تافه ..مغرور ذلك الأتاني الذي كاد أن يضحي بحياته لإنقاذها !!!!

\*\*\*\*\*

" إلي أين ؟!! "

شبهت هدى ببياء عنيف، وهي تهرول خارجة .. لم تهتم بملابسها ولا شكلها .. حجابها الذي وضعته علي رأسها بعجل حين أتاها الخبر .. لم تجيبه تجاهلته تماما، وهي تشعر وكأنها بركان ظل خامدا زمنا ..وقد حان موعد ثورته ، لأول مرة لا يهمها ما قد يحل بها من عذاب أو رد فعل ..لأول مرة لا ترتعب من صوته أو نبرته أوحى ما قد يفعله بها !! نظرت له بقسوة وغل .ثم التفتت تهرول للخارج والدموع تتساقط من عينيها كشلال ،ضاقت عيناه ذلك التعبير على وجهها كأنها أخيرا ..أخيرا استطاعت أن تتخطى نطاق سيطرته عليها ..!! لوهلة ارتعب .. لوهلة

أدرك ما يحدث دون أن يعرف السبب ،، إن كل ما فعله بها لم يكن كافيا لتحطيمها .. كما تحطم هو .. كان يجد راحة مريضة بتحطيمها .. راحة تخبر نفسه المريضة أنه ليس ضعيفا، وأنه لم يكن يوماً ضعيفا ! لكنه الآن وهو يراها بهذا الشكل يدرك أنه فقدها ، برقت عيناه بجنون لا يحق لها أن تتركه أبدا...!!

أسرع الخطى خلفها بإصرار وهو يعيد السؤال يحمل صوته كل من يستطيع من سلطة وقوة وهدير " إلى أين تظنين نفسك ذاهبة..؟! " صرخت بقوة وعيناها تبرقان بضوء جديد لم يره من قبل رغم دموعها الجارية :-" أسر..أنا ذاهبة لأسر "

فزع وتوقف قلبه عن الخفقان أخيرا ستخبره ..ستتر..ر..ر..كه قال واجفا وقد شحب وجهه :- " ماذا..؟ "

صرخت، وهي تضربه بكل قوه وقهر وحزن..والدموع تتساقط كالشلال من عينيها " اتركني أيها الحقير .. يجب أن أذهب "

أخذت تضربه محاولة الخلاص منه .. إلا أنه بدا كصخرة ضخمة لا تتحرك .. أصابعه تحولت لقيد فولاذي ، أخذت تضربه بكل وجع وألم ، تضربه كما أرادت أن تفعل يومها تخمسه بوجهه وعينه .. أخيرا صرخت من عمق قلبها الموجوع :-" أخي يموت اتركني ! "

تراخت قبضته عن يدها فجأه بذهول، وهي لم تضيع الفرصة إذ فتحت الباب لتخرج مهرولة، بينما عبثت الرياح بردائها الطويل ،وهبت قشعريرة ببرودة الثلج علي وجهه " أسر... يموت...!! " "

\*\*\*\*\*

أقدام مهرولة وصوت باكٍ .. وجه مفزوع وقلب واجف ..التقيا صرخت  
شادن بحزن وهي ترتمي بصدرة :- " أبي "

احتضنها بضعف دون أن ينتبه لذلك الصامت الغامض بجوارها :- "  
هششششش حبيبي ..سيكون بخير ..هشششش "

ابتلع ريقه يسيطر على حزنه وتوتره :- " هل هو بخير ..!!? "

هزت رأسها بألم دون أن ترفع وجهها من حضن كتفه .. فقال محمود  
بصوته الرخيم وهدوئه المميز :- "لا نعرف بعد سيد بدر .. كنا في طريقنا  
إلى الاستعلامات "

نظر اليه بدر الدين بتقطيبيه ..للهجته المختلفة عن اللهجة المصرية .. قال  
بدر الدين وهو يحيط شادن بيده قائلاً بتساؤل :- " ومن أنت ؟؟ "

قال محمود بهدوء :- " عذرا لم أعرفك بنفسي .. محمود هاشم صديق  
أسر "

أكمل بقليل من أسى :- " كانت في منزلنا تذاكر مع اختي حين أتانا الخبر .."  
مد بدر الدين يده يسلم عليه ،وهو يقول بارتباك بسيط وحزن يخيم علي  
ملامحه :- عذرا أعصابي متوترة .."

قال محمود بتفهم :- " لا بأس سيدي .. تفضل من هنا "

أسرعا الخطوات إلى الاستقبال .. سأل بدر الدين بصوت قلق ووجه  
شاحب موظفة الاستقبال :- " عذرا أتت لديكم حالة من قليل .."

بلغ ريقه باضطراب يكمل :-" اصطدام .. حادث اصطدام .. باسم أسريدر  
الدين "

أجابت الموظفة قائلة بهدوء :- " نعم سيدي ..وصلت الحالة منذ ساعة"  
قال بقلق بالغ واضطراب وهو يضغط بدون وعي على كتف شادن  
المرتعبة :-" ما وضعه..؟!!!

" أه ثانية واحدة سيدي "

ألقت الممرضة نظرة على الجهاز أمامها ثم رفعت رأسها تقول بهدوء  
ومهنية :-" هو الآن بغرفة العمليات.."

فزعت شادن وهي تكتم شهقة في حين ضغط والدها على كتفها بشدة  
دون قدرة على المتابعة ، فقال محمود بقلق :-" عمليات لماذا ..؟

إلا أن بدر الدين قاطعه وهو يقول بعصبية وخوف :-" ولماذا لم نخبرونا  
!؟.. من أعطاكم الإذن بإدخاله حجرة العمليات !؟!"

قالت الممرضة بارتباك :-" عذرا سيدي لكن زوجته هي من أعطتنا الإذن"  
صعق الجميع زوجته ..!!

\*\*\*\*\*

أقلتُ لكُ

إنكُ مثل حزني .. قَدَرُ!

وإنكُ مثل ليلى .. سَهَرُ!

وإنكُ عُمُرُ ..!....

و العُمُرُ مرّةً .. بالعُمُرُ!"

أفاق مروان من صدمته وهو يسرع خلفها .. كان يقود كالمجنون محاولا اللحاق بها .. فهو لن يسمح لها أبدا بأن تتركه ,ترجلت من السيارة بارتباك وخوف تبحث بعينها عن مدخل الطوارئ أخيرا توقفت أمام الاستقبال تلهث بخوف:- " عذرا أنسة .."

أخذت عدة أنفاس وهي تسأل :- " أسر بدر الدين!..!"

نظرت لها الممرضة بكل هدوء رافعة حاجبها بعدم فهم فأكملت بنفاز صبر :- " مريض باسم أسر بدر الدين وصل منذ قليل بحادث اصطدام أين هو ..!!؟!"

نظرت الموظفة للشاشة أمامها وهي تفتش ببياناتها ..لثوانٍ بدت دهرا ..أخيرا رفعت رأسها قائلة ببرود :- " الدور الرابع قسم العمليات المصعد اتجهي شمالا"

أومات دون أن تسألها شيئا إضافيا وهي تفكر عمليات ..! اتجهت إلي المصعد وهي تهزول تقريبا ،وأخذت تضغط عليه بلهفة وهي تعدل من حاجبها .. أخيرا وصل المصعد للدور الأرضي ما إن خطت بداخله حتي تفاجأت بمن يسحبها من ذراعها بقسوة مؤلمة ارتعبت وانتفضت بقسوة ميزت تلك القبضة القاسية ..تعالى قهرها وهو يجرها بكل قسوة ساحبا إيأها خارج المصعد إلا أنها تشبثت بمسند الباب برعب، وهي تجذب يدها منه .. تصرخ رغم رعبها " اتركني .. أيها الحقير "

بدا وجهه شاحبا بقسوة وخشونة أنفاسه تعلو وتهبط بشدة بينما تجاهد هي لل فكك منه برعبها المعهود واشمئزازها الجلي ،هي لم تبق معه إلا لأنها خافت علي أخيها الحبيب من الحقيقة ..خافت إن عرف أسر بما فعله قد يقتله ..!فضلت الذل والهوان والقسوة وكل ما فعل بها حتى لا

تؤدي أذاها حتى لا يضيع مستقبله إن هو قتله, لم يكن بإمكانه أن يجعلها تضيع منه لا يستطيع تخيل ذلك فهي له ..! وهو لن يسمح لها الآن بأن تتركه, صور له جنونه أنه إن أخذها خارج المستشفى إن منعها من أن تتأكد من موت أسرستظل معه ..!! سيبقى الوضع على ما هو عليه..!! لكنه لم يتوقع أن تحاربه بتلك الضراوة .. أن تصرخ رغم الفزع المألوف بعينها لمرأة بدأ بعض الناس يتجمعون مما دعاه للاقترب منها هامساً بغضب وعيناه تنضحان شرا وجنوناً :-

" أين تعتقدين أنك تستطيعين الهرب مني ألم أقل لك إنك ملكي ..!! "

أخذت تبكي بخفوت وهي تدرك رعبها منه الذي يشلها عن الحركة .. تجاهل نظرات البعض المستنكرة وفتح الباب متجها لموقف السيارات إلا أنها رفعت عينها، وهي تقول بشراسة مرتعبة مهزوزة :- " لو حدث لأخي شيء لو مات..."

لم تستطع أن تكمل الجملة حين توقف فجأه بالموقف الخالي من البشر مبتسماً بشر :- " لو مات أسرحتي موته لن يأخذك مني ..أنت لي حتى موتي أو موتك أتفهمين "

رفعت يدها فجأة وهي تصفعه علي وجهه بعنف وقهر وغضب ورعب صارخة :- " حيوان.. "

إلا أن الصفعة عادت لها كأقوي ما يكون حتي شعرت أن رأسها ارتج وعينها خرجتا من محجريهما لم تر أمامها إلا لونا أحمرأ لدماها، نظرت بعينها في رعب يمنة ويسرة تبحث عن مخرج بأي طريقة ممكنة، بدون فائدة .. فالموقف شبه خالٍ مظلم, لم تكن ترى أمامها من الدماء النازفة بجبهتها سقوطاً على عينها ..لطالما كانت جبانة جبانة ..ولن تتحلى

بالشجاعه اليوم..كانت خائفة بل مرعوبة ومهانة تشعر بالإهانة تنخر عظامها إلا أنه قبض على كتفها كاد أن يكسرهما بين قبضتيه بقوة. وهو يسحب رأسها لأعلى لتتنظر في عينيه قائلاً :-" والآن ستأتي معي .. بدون أدني جلبه سنخرج من هنا معا .."

أصدرت أنينا مجروحا، وهي ترفع يدها تكتم بها شهقتها تومئ برأسها بالإيجاب ..لتتلاشي النظرة المتوحشة من عينيه ويحل محلها نظرة نصر خالص ،كانت الكدمة على وجهها بجانب شفها ممتده حتى عظمة وجنتها اليمنى وصولا لحاجبها الذي بدأ يقطر قطرات صغيرة من الدماء حثها علي السير مرة أخرى إلا أنها لم تكن تشعر بساقها .. تماوت فجأة أرضاً ليزأر بغضب، وهو يرفع يده لهوي بها على وجهها .. أغمضت عينها متوقعة الألم المبرح ، حين أتت تلك اللكمة لتجعلها تشهق برعب .وهي ترفع رأسها لتتفاجأ بتلك العينين ..عينين بلون شمس الصحاري الحارة يعترهما الغضب لدرجة رهيبة. بدا كأن النيران نشبت بهما، تسمرت نظراتهما عليها ومروان يسقط إلي جانبها مغمي عليه

اغضب

فالأرض تحزن حين ترتجف النسور

اغضب

فإن العار يسكننا

قالوا بأن الأرض شاخت ... أجدبت

نامت ولم تُنجب ولدا

اغضب

فإن بداية الأشياء .. أولها الغضب

ونهاية الأشياء .. آخرها الغضب

والأرض أولى بالغضب

( فاروق جويدة )

\*\*\*\*\*

الصمت التام هو ما خيم عليهما لبضع ثوان بعمر الزمن ومروان مكوم  
بجنيتها علي الأرض لكنها بدت كدهر لهدى, أحنت رأسها بألم وهي تتهاوى  
إلي الأرض رغم رغبتها في الهرب وبالاختفاء إلا أنها فقدت القدرة على  
القيام بذلك !! لم تكن تشعر سوى بالألم ..الألم والوجع .. والمهانة  
,انحنى نادر بطوله الفارع وقامته العريضة حتى أصبح مواجهاً لها ..  
جالسا علي ركبتيه أمامها :ولأنه أطول منها بكثير فقد أخفض رأسه ليلاقي  
عينها .. غضب .. كل ما كان يشعر به هو الغضب .. أراد تمزيق ذلك  
الحيوان شر تمزيق .. بدت عيناه مشتعلتان تحت الصفاء بدا بركان من  
النيران يشتعل ببطء وهدوء ,وهو يرى فعلته الشنعاء بها وبوجهها .. رغم  
أنها أخفته بين قدميها بوضع غريب للغاية ذكره بالأجنة برحم أمهاتهم  
عاوده الغضب الساحق تلك المرة من نفسه .. وهو يرى تقوقعها علي  
نفسها حتى الأنفاس بدا أنها تسللت هرباً منها .. ولم يتبق إلا أنينها  
الموجوع .. ود لو يعاود ضربه مرة أخرى حتى الموت .. لكنه كعادته كظم  
كل انفعال يملكه, وهو يتحكم به بإرادة حديدية لا يعلم مصدرها إلا  
الله أخطأ حين ابتعد قديماً .. لكنه لن يكرر نفس الخطأ مرتين !! قال  
بصوت حاول قدر استطاعته أن يخرج هادناً إلا أنه خرج خشناً يحوي  
شيئاً من بقايا غضب وإصرار:- " انهضي .. يجب العناية بجرحك "

لم ترفع رأسها إليه بدا أنها لا تسمعه ,حاول مرة أخرى بنفس النبذة  
الخشنة الشرسة المميزة لصوته :- " انهضي.."

لا تجيب يريد منها أن تجيبه حاول مرة أخرى مسيطرا على نفسه بقوة  
فولاذية خشية أن يفلت قهره من عقاله لذلك الوضع الذي بدأ يخرج  
عن السيطرة :- " إذا كان هناك ما يؤذيك ..هزي رأسك فقط إذا "

نادى بصوت خفيض هادئ ويأس :- " هدى .."

حينها فقط رفعت رأسها بتشوش .. حين ناداها باسمها هل يعرفها ..!!?  
تأملت ذلك الكيان الأسود أمامها بدا خطيرا شرسا يرتدي السواد ..ارتفع  
حاجبه وعيناه تلمع بنظره غريبة حين تواصلت نظراتهما هي نظرات  
جريحة ،وهو نظرات حادة واثقة كالصقر تاهت عيناها بتشوش بعيدا عن  
عينيه ليقعا علي حاجبه كان يبدو لو أن به جرح قديم بشق طولي لا يبلغ  
ثلاث بوصات .. أعطاه مظهرا خطيرا .. قال بلهجة غامضة يشوبها عزم  
وإرادة حديدية ومقدرة على تحقيق المستحيل :- " قولي لي ما تريد  
وسيتم الآن أقسم لك اعتبري ما تطلبين تم وانتهى "

عادت عيناها تتعلقان بتلك النيران الهادئة بعينيه نطقت بدون وعي  
وبأمل عميق وصوت بدا تظهر به نبره ما وبجه ما :- " أريده أن يختفي من  
حياتي ..هل تستطيع تحقيق ذلك ..!!? "

طيب ابتسامه لمعت علي الشفاه القاسية وهو ينطق بقوة وعزم وثقة :- "  
تم "

التفت بكتفيه العريضتين إلى ذلك المسجي على الأرض وسط ذهولها  
ونفس التشوش والارتباك اللذين سيطرا عليها .. وهو يجذبه من قميصه  
بقسوة صفعه على وجهه بقوة جعلته يفتح عينيه بألم .. تأوه مروان

ببطء، وهو يستعيد وعيه حين ثبت بصره على الوجه المائل أمامه ، ظهر  
الذهول والخوف علي وجهه.. دارت عيناه ينظر لهدى لتعود إلى نادر بشيء  
من الخوف والرهبة والمعرفة الأكيدة، هم بالكلام حين أتت كلمات نادر  
القاطعة الحازمة بصرامة وأمر وهو يقول :- " طلقها الآن .. "

صرخ مروان برعب :- " ماذا...؟! "

رفع نادر حاجبه بقوة وتهديد ، وهو يقول بصوته العميق ببحته الخشنة  
:- " لن أعيدها مرة أخرى مروان الآن طلق هدى "

مرت مشاعر وتعايير مختلفة على وجه مروان من خوف لصدمة .. لخوف  
.. لعدم استيعاب .. لذهول ليصرخ بغل وحقد وحنون " أيتها الحقيرة..؟! "

لكن نادر عاجله بلكمة أخرى وهو يصرخ بوحشية :- " إياك "

هزه بقوة وهو يعتدل وإياه لينهضا عن الأرض قائلا بصرامة أقسى وأشد  
:- " الآن .. "

كلمته أرعبت مروان لكنه أدرك شيئا واحدا فقط ؛ وهو أنه يجب أن  
ينفذ ذلك الأمر ..!! تحول جنونه إلى بكاء مثير للشفقة، وهو يقول :- " لا  
أستطيع أنا أحيا "

انتفضت هدي بعنف لوقع الكلمة الكريمة .. فشد نادر علي قميصه  
بقسوة، وهو يقول :- " الآن .. مروان "

الصمت هو ما سيطر عليهم لدقيقة كاملة الصمت سوي من أنفاس  
مروان المرتعبة .. وأنفاس هدى المذهولة .. المشتتة .. وأنفاس نادر الهادئة  
الواثقة حتى خرجت تلك الكلمة من فم مروان بضعف وخفوت :-  
" طالق "

شد نادر على قميصه بقسوة وتهديد .. ليتعالى صوت مروان مؤكدا على تلك الكلمة القاتلة له :- " أنت طالق هدى "

قال نادر وهو يريد التأكد من تحررها تماما .. فذاك أبسط شيء قد يفعله لها .. ليريح ضميره :- " بالثلاث "

بكي مروان بشدة بطريقة لا تليق برجل ، وهو يصرخ بالنفي :- " لا لا أرجوك .. أنت تقتلني "

وحين لم يجد أي رد فعل علي وجه نادر سوى الإصرار الشديد والقسوة والقوة التي يعرف أنه يملكها ، تهاوى رأسه بنحيب دفع بالاشمئزاز إلي وجه نادر .. والارتعاش والمقت إلي جسد هدى ، وهو يقول بانكسار :- " هدى أنت طالق بالثلاث "

تنفس نادر بعمق ، وهو يقول بنفس الصرامة والنبرة الخشنة :- " والآن اختفِ من أمامي وإلا لن أكون مسئولا عما قد يحدث لك "

ما إن اختفى مروان من أمامها بخطوات ذليلة متعثرة حتى التفت نادر ينظر إليها .. وشك يخامر .. كانت تبدو كما لو أنها لا تعرفه ..! أيعقل هذا إنها لا تتذكره ..!

صدمه ما كانت تشعر به ... صدمه هل طلقها مروان .. هل تحررت منه أخيرا ، ظلت تنظر له بصمت لتسقط دمعة يتيمة من عينيها ، وهي تهتف بصوت منخفض حزين :- لماذا ..!!

لم يدعي عدم الفهم فلقد أدرك مقصدها تهدي وهو يفكر ، إن هناك أشياء لا تقال في لحظة كتلك .. أشياء اختار بإرادته ألا يتفوه بها ..!! تصلب

دون أن يلتفت إليها معطيا إياها ظهره الفارع الطول، وهي لازالت مكانها  
" لأنني كنت موجودا ..! "

رفعت رأسها تنظر إليه وعيناها قد جفتا من الدموع لتجده ينظر إليها  
بغموض .. بللت لسانها لتهمس :- من أنت ..؟!

بنبرة غريبة همس :- وهل يهم ..؟!

هزت رأسها بالنفي .. وهي تقول ببرود :- لا لا يهم

رفعت رأسها بكل ما تستطيع من شموخ مهزوز ثم نهضت ببطء .. أخذت  
نفسا عميقا .. فهي أقوى مما تظن قاست الكثير ولازالت حية .. إذن فهي  
قوية حتى ولو لم تكن تدرك هذا بعد .. استندت لوهلة بينما ظل هو على  
نفس هدوئه وسكونه ، أخذت نفسا عميقا وهي تتخطاه للخارج لقد نجت  
.. تحررت أخيرا .. مروان طلقها ،

لم تلتفت لتراه، أرادت الالتفات .. أرادت التأكد من أن ما حدث ويحدث  
حقيقة، ألا يزال واقفا أم أنه رحل وقع نظرها علي النوافذ الزجاجية  
للمشفي حيث كان المطري ينهمر بغزارة، ها قد حل الشتاء ، وتلمع عيناها  
بقوة جديدة عليها .. فبعد اليوم لن يكون هناك مجال لأحد .. أي أحد..  
بأذيتها ..

\*\*\*\*\*

ترددت الكلمة برأسهم زوجته ...!! متى تزوج..؟! بمن تزوج وكيف تزوج  
..؟! كل تلك الأسئلة دارت ببالهم لكن لم يجرؤ أحدهم عن الإفصاح عنها  
فقد كان الاطمئنان عليه أهم ، توجهها بصمت إلي الدور الرابع وكل باله  
مشغول بشئ ما .. أخيرا توقف المصعد ليتجهوا بسرعة إلى ممر حجرة

العمليات وهناك رأتها شادن ، لم يكن هناك غيرها يجلس منتظرا وتوقفت شادن فجأة تنظر إليها ..كانت جميلة بل رائعة الجمال ..تجلس بأناقة ملوكية وإن كان مظهرها متعبا .. تعبت بفنجان ورقي ربما يحوي بعض القهوة .. تهز قدميها بتوتر ورأسها المنخفض يهتز ببكاء صامت ..تملصت من ذراع والدها الذي نظر لها بدهشة وهي تجري بشيء من اللمهة.. حتى جثت علي ركبتيها أمامها .. رفعت قاهرة عينها العقيقتين بقلق .. ولأزالت بضع دمعات عالقات بأهدابها الرائعة ابتسمت لها شادن ابتسامة مرتعشة تحوي مزيجا من حزن وأسى وترحيب وفمصاهما واحد ، أحتضنتها بذراعيها ارتعشت بخوف وشجن وهي تحتضنها في المقابل ، فمصاهما كان واحدا، وإن لم تدرك قاهرة معني ذلك تحديدا بقلبي المشوش.. فهي ورغم خوفها وفزعها ورغم إنكارها أن خوفها لا يتعدى خوفها علي أي إنسان بموقفه بكت شادن وهي تهمس لها بتساؤل :- " كيف هو الآن..!!؟ "

تنحنحت قاهرة وهي تقول بصوت أبح من شدة البكاء :- " لازل بغرفة العمليات.."

ما إن واجهتها شادن بعينيها الدامعتين حتى تساقطت تلك الدمعات وهي تهتف بحزن وتأنيب ضمير :- " أنا آسفة .. أنا السبب "

هزت شادن رأسها ، وقد بدت أكبر من سنها ، وهي تقول بحنان جعل محمود يبتعد دون إرادة منه بخطوات للخلف وتعبير غريب يلوح على وجهه. " لاتقولي هذا .. قدرالله وماشاء فعل "

تعانقت الفتاتان مرة أخرى حين أتت همهمة خافتة من خلفهم فاعتدلت شادن وهي تهض قائلة ،وعيناها تبحثان عن محمود الذي اختفى فجأة :- " هذا أبي "

ثم أكملت بابتسامة لازالت تحمل بعضا من الاستغراب الذي انتابها حين سمعت بزواج أسر:- "حموك "

ماذا...!!

صعقت قاهرة .. وقلبي ينتفض بخفقة غريبة .. لكنها تذكرت أنها أخبرت الطبيب بهذا .. بل ووقعت على أوراق رسمية بتلك الصفة .. ليقوم بإجراء تلك الجراحة لكن أن تفعل ذلك لسبب .. شيء .. وأن تستمر به دون مبرر شيء آخر ..! قالت بخجل وارتباك وكلمات متقطعة تنوي توضيح الوضع لهم :- " سيد بدر .. أنا.. "

إلا أن كلماتها قوطعت حين صرخت شادن صرخة صغيرة وعيناها تقعان على هدى القادمة نحوهم وشكلها يبدو كما لو أنها آتية من حادث بشع هي الأخرى.. تقدمت منها شادن بلهفة، وهي تضع يدها على قلبها بفرع .. في حين شحب وجه بدر الدين للغاية ومختلف المشاعر تتفاوت على وجهه .. تراجع للخلف بخجل .. نعم الخجل هو ما كان يغلب على مشاعره .. خجل الأب من ابنه لا تريده .. من ابنه لا يستحقها .. من ابنه يريد أن يتجنب ألم رفضها له .. هتفت شادن وهي تمسك بكتفها تتأمل وجهها والجرح الكبير به .. حجابها الممزق الكاشف قليلا لشعرها الأسود العاجي .. ودموعها :- " ماذا حدث لك .....؟! يا إلهي "

ترقرقت الدموع من عيني هدى، لكنها قالت بهدوء لا يشف عما يعمل بداخلها من براكين توشك على الثورة :- " لا شيء .. لم يحدث لي شيء "

ثم ثبتت عينيها على شادن قائلة برجفة :- " أسر .. هل هو ..!! "

لم تستطع أن تتم الجملة .. حين هزت شادن رأسها باعثة الأمل إلى عظامها المرتعشة، وهي تقول بخفوت :- " بحجرة العمليات لا نعرف شيئا عنه حاليا "

ثم قالت بهدوء وإيمان عميق لا يظهر إلا في وقت الشدة والمصائب :- " ادع له يا هدى "

سقطت دمعة وحيدة من هدى ،وهي تهز رأسها بصمت .. نادى شادن على قاهرة بمودة ما جعل هدى ترفع بصرها لها بفضول متعب .. فقالت شادن بابتسامة مترددة بين السعادة والحزن والقلق :- " هذه زوجة أخيك.. "

صدمة جديدة هزتها :- " ماذا..؟ "

بينما قاطعتها قاهرة بارتباك :- " لحظة فقط هناك ما أريد قوله "

كانت قاهرة تشعر بارتباك وقلق .. فقد تعقد الموضوع بشدة، وأصبحت تخشى أن تخبرهم الحقيقه.. اقتربت من هدى وهي تسلم عليها بهدوء قلق وإن لم تستطع إخفاءه جيدا فيداها كانتا ترتعشان بقسوة :- " ..أهلا ..أنا قاهرة السليماني "

شهقت هدى وهي تتذكرها ..تخرج من صدمتها وذ هولها قليلا ..سبحان الله كم أن العالم صغير حقا هتفت بتأمل ،وإن كانت بقايا ألم وحيرة لازالت علي وجهها الحزين المجروح :- " قاهرة .. قاهرة السليماني أخت شذى السليماني .. بالتأكيد أتذكرك "

اقتربت منها قاهرة بنية احتضانها مواسية كما فعلت شادن .. إلا أن هدى ناءت بنفسها عنها .. وهي تتراجع خطوة للخلف ترفض ذلك الاقتراب

والتلامس الجسدي .. ماله يدها للأمام بمصافحة جافة تناقض البسمة الشاحبة المتوترة على وجهها ، واكتفت بها قاهرة دون أن تمنع .. بدا الجو متوترا .. و الهواء يبدو كثيفا .. بينما هدى ألصقت وجهها بزجاج النافذة تتأمل المطر بصمت وهي تدعو في سرها .. وقاهرة رغم شعورها بالبرد لكن خوفها كان أعظم ..أخرجت هاتفها، وقد قررت الاتصال بوالدها ،فهي رغم شجاعتها إلا أنها أدركت أنها تحتاجه إلى جوارها .. أما بدر الدين فظل علي حاله كالغريب المنبوذ بين أبنائه .. لم يقطع صمتهم إلا صوت قاهرة، وهي تهتف بوجل وقد بدت سيطرتها الواهية علي نفسها تتلاشي .وهي تري أخيرا أباهما وزوج أختها توفيق آتين مسرعين بالممر الطويل، احتضنها والدها مطمئنا عليها بفرح .. فمكالمتها له كانت مشوشة .. متقطعة ..باكية . فلم يفهم منها سوى أنها تسببت بحادث لشخص ما ..وأن هذا الشخص هو أسر بدر الدين لم يكن أنانيا لكنه لم يستطع أن ينكر شعوره بالراحة حين وجد ابنته العزيزة سالمة احتضنها يطمئن أن كل شيء بها سالم .. يهدئ من بكاها الذي ارتفع بشكل يثير الشفقة عليها وهي تتمت بحزن :- " أبي ...أسر .. بغرفة العمليات .. أنا السبب .. لن أسامح نفسي .. قد .. قد يفقد .. "

ربت على كتفها وهو يزيد من احتضانها مطمئنا :- " هششششش كفى ابنتي .. كفى .. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا "

صمتت وهي تشفق بإيمان .. ربت توفيق على كتفها من الخلف لتستدير له وقد هدأت عاصفة بكائها قليلا أعطاها معطفا كبيرا ارتدته بهدوء وهي تشعر بالبرد الشديد الذي اعترها فجأة كما لو أنها في خضم خوفها كانت قد تجاهلته دون قصد ..أخذ جسدها يرتجف لإراديا فسحبا والدها يجلسها بهدوء همس لها قائلا :- " انتظري لحظة "

تشبثت بيده حين هم بالسير .. لكنه ربت عليها يطمأنها وهو يتركها متجها لبدر الدين توقف أمامه . وهو يقول باحترام وأسف بعدما ألقى عليه التحية وعرفه بنفسه :- " عذرا سيد بدر .. أدرك أن مصابكم جلل .. "

أخذ نفسا وهو يواجه الرجل الهادئ بعينين صارمتين :- لكن يجب أن نتكلم بموضوع مهم للغاية "

قال بدر الدين بقليل من الاندهاش إذ وجه له أحمد السليمانى الحوار ، وهو يظن أنه بالتأكيد يدرك وجود مشاكل بينه وبين أسر .. بما أنه لم يعرف بزواجهم ..!! فقال له وهو يجمع فضوله :- " تفضل .. خير إن شاء الله "

قال والد قاهرة بلباقة :- " أنا آسف للغاية لمصاب ولدك العزيز .. كما لا بد وأن تدرك أن قاهرة وأنا مستعدان لتحمل كافة الالتزامات المالية حتى نطمئن علي أسر بإذن الله .. "

صمت قليلا وهو يناشد الرجل برجاء :- " نحن نقبل بكل ما ترتضيه أنت وعائلتك "

ضاقت عيناه برجاء لرجل فخور لم يعتد رجاء أحد إلا الله وحده .. إلا أنه أجبر نفسه علي الاستمرار فذاك مستقبل ابنته .. حبيبته .. طفلته ، وإن توقف الأمر على الرجاء .. فلن يتوانى عن ذلك :- " لكنني أتمنى وأرجو منك قبول اعتذارنا عما حدث بالتأكيد أنت تدرك أنه قضاء وقدر .. ونرجوكم ألا يصل الأمر للقضاء "

ذهل بدر الدين .. فقال بدهشة واستغراب شديدين :- " سيد أحمد .. كيف تظن أنني قد أستطيع الزج بزوجة ابني إلى السجن !!؟ "

" م ما ماذا ..؟! "

قالها أحمد السليمانى بارتباك شديد .. التفت ينظر إلى قاهرة بذهول ونظرة صاعقة، لكنها لم تكن منتبهة له أعاد سؤاله بذهول لم يستطع إخفائه :- "زوجته"

قال بدر الدين بعتب :- " نعم رغم غضبي لزواجهما دون معرفتي أنا أو أختيه .. إلا أننا مستحيل أن نتسبب في شيء كهذا .. "

فقد السليمانى متابعة كلام الرجل من الوهلة الأولى .. وقد بدا وجهه شاحبا من الصدمة .. فقال بخفوت :- " عذرا لحظة "

قطع الممر بخطوتين وهو يقف أمامها .. نادى عليها بصوت غاضب :- " قاهرة "

هاقد حانت لحظة المواجهة .. رفعت بصرها له بارتباك وخوف ،وقد أتت اللحظة التي تخشاها أستمتر بخديعتها حتى تتأكد من حالة أسر الصحية أم تخبر والدها الحقيقة..؟ وهل سيصدقها والدها..!!؟ وإذا أخبرته الحقيقة .. ما سيكون موقفها من أهله حاليا ..؟! ربما يطلبون لها الشرطة.. لا.. لا تستطيع تحمل ذلك .. ليس خوفا من الشرطة أو السجن .. لكنها تريد الاطمئنان على أسر أولا ..! تريد أن تراه .. وأن تري عينيه مبصرتين مرة أخرى .. تنظران لها حتى وإن كان بكره أو حقد أو سخرية لا يهمها لكنها تريد أن تراه وتطمئن عليه أولا.. وبعدها .. رفعت رأسها وبإصرار جديد يشع بعينها قالت بهدوء يناقض عينها الباكيتين وصوتها المبحوح ويديها المرتعشتين :- " نعم أبي "

قال بلهجة قاطعة وحزم غاضب غير مصدق :- " هل صحيح .. هل صحيح ما يقول .. بدر الدين والد أسر "

قالت بصوت مرتعش لكن واثق :- " نعم أبي "

اهتزت الأرض تحت قدميه لوهلة .. بحث عن شيء يستند عليه .. فأسرع إليه توفيق الذي كان يراقب المشهد من بعيد بفضول .. نهضت قاهرة بسرعة تسند والدها إلا أنه أبعد يدها عنه بغضب .. قال بحشجة :- " متى؟! "

لم تجب نظر إليها ، وهو يقول بخيبة أمل وصدمة :- " لماذا قاهرة..؟! لماذا .. اعطني سببا واحدا يدعوك لفعل هذا؟! "

همست برجاء :- " أبي "

رفع يده يقاطعها بحزن وصرامة :- " كيف أتتك الجرأة لكسر قلبي بتلك الطريقة .. لماذا تزوجتما بالسردون علمي "

" أبي "

قالت بيبكاء غير قادرة علي التفسير أو الشرح .. ألمها حزن والدها .. ألمها انكسار قلبه ، والأكثر ألما هو فقدانه الثقة بها الذي لاح بعينه .. حاولت الاقتراب منه إلا أنه دفعها بعيدا عنه ، وهو يقول لها بخشونة وغضب :- انسي أن لك أب من هذا اليوم

نفض يدها عن ذراعه برفض .. وهو يسرع للخارج ورأسه مرفوع بكبرياء مكسور وشموخ قد اهتز قليلا .

\*\*\*\*\*

عاد محمود بهدوء يحمل بيد عدة أكواب من القهوة على مسند ورقي ، و هو يتحدث إلي شخص غريب نظرت له شادن بفضول ، كان يبدو وسيما

جذايا يرتدي السواد ويلف رقبتة بشال رجالي صوفي رمادي اللون نظرت له ثم لمحمود ..كانا متقاربي الطول , تساءلت ترى من يكون .. بينما انتفضت هدى بجوارها بتوتروهي ترى نادر يتقدم منهم بهدوء مع محمود .. لم تكن بحاله تسمح لها بالتفكير السوي إلا أنها كانت تشعر بالتعب من كل تلك الصدمات والمفاجآت بدا اليوم طويل للغاية بداية من البشع مروان صباحا ، ثم خبر حادث أسر .. وهجوم مروان عليها للمرة الثانية بنفس اليوم إنقاذ هذا الغريب لها وطلاقها المستحيل واكتشافها زواج أسر من قاهرة أخت شذى صديقتها التي لم ترها منذ سنوات، ووجود والدها المنزوي بعيدا شعرت بالدنيا تدور بها .. وجسدها أخذ يرتعش بهزات لا سيطرة لها عليها مهما حاولت كانت تشعر بالبرد الشديد

رفعت يدها تحتضن نفسها بقوة، وتلك العينان المضيئتان تنظران لها بغموضهما المألوف..هي لحظة تلاقت بهما العينان لتتهاوى قدماها إلي الفراغ بضعف مفاجئ، صرخت شادن بفزع وهي تسندها قبل أن تسقط أرضا في حين أسرع محمود إليها بينما تباطأت خطوات والدها بوجل و نادر باحترام لخصوصيتها ما هي إلا ثانية، وعادت تفتح عينها بضعف ليتحول إلي نفور وهي ترى والدها قريبا منها فتراجع للخلف بألم قاتل، أجلستها كل من شادن وقاهرة على المقعد المعدني المميز للمستشفيات، وهما يطمئنان على حالها اقترب محمود بخطواته الحاسمة وهو يتساءل :- "أأنت بخير .. أحتاجين رؤية طبيب ما"

أخفضت عينها ، وهي تومئ بالنفي وبتشوش قائلة :- أنا بخير إنه فقط الإرهاق "

أوما محمود بهدوء :- حسنا

اقترب نادر بخطواته منهم .. خطوات هادئة قوية حازمة .. قال لمحمود بصوته الرخيم :- " أحتاج لمساعدة..!؟ "

التفتت إليه محمود بهدوء ، وهو يقول :- كلا شكرا لك

وحين رأى النظرات الفضولية من شادن وقاهرة بينما كانت هدى تتحاشا النظر إليهم قال محمود :- عذرا نسيت تعريفكم .."

أشار إلي نادر ، وهو يقول :- السيد نادر صديق أسر يبدو أنه سمع بالحادث ، وكان آتيا للاطمئنان عليه تقابلنا عند المصعد، وهو يسأل عن غرفة أسر "

ألقي السلام عليهما بهدوء، ثم ابتعد مع محمود لركن آخر من الممر يتحدثان بصوت منخفض .. طال انتظارهما لتقرر شادن أخذ قاهرة إلي الحمام حتي تغسل وجهها علي الأقل، ذهب محمود لإحضار المزيد من أكواب القهوة ،بينما بقيت هدى ونادر في الممر الخالي باستثناء والدها الذي يبدو أن النوم قد غلبه .. وقفت هدى بارتباك ، وهي تقرر شيئا مخالفا لطبيعتها .. تقدمت خطوتين دون أن ترفع رأسها عن الأرض خجلة من منظر الجرح وخجلة من ملاقاته عينيه، وهو الشاهد الوحيد علي ذلها منذ قليل .. همست بخفوت :- " شكرا "

وعاودت المشي .. لم ترما ارتسم علي وجهه من تعبير .. فلورأته ما كانت تفوهت بتلك الكلمة أبدا .. قبض علي سلاميات أصابعه بشدة قبل أن يدسهما بجيب بنطاله بهدوء يحتوي غضبه وتوتره وقهره وأي إحساس آخر قد يعتريه .

التقينا بعد الأوان

افترقنا قبل الأوان

حتي موسم الهرب فات أوانه

نحن بموسم الحب المجنون

المرفوض من مواسم الشرائع

( غادة السمان )

obeikandi.com

الفصل الرابع  
ذاكرة .. انكسار

هُنالِكَ دائماً مستحيل ما يولد مع كل حب

بعد طول انتظار خرج الطبيب من غرفة العمليات ليتحلق حوله الكل بقلب واجف قلق نزع الكمامة عن وجهه ، وهو يبتسم باطمئنان قائلاً :- " الحمد لله العملية سارت على خير ما يرام .. استطعنا تخفيف حدة الورم على الفصوص الأمامية وزال الخطر عن حياته "

تنفس الجميع الصعداء مردداً :- " الحمد لله .. الحمد لله "

بينما سألت قاهرة بتردد :- " وكيف هي حالته ..؟! "

توقف الجميع عن الهمهمات .. وهم ينظرون لها بقلق .. ثم تنتقل نظراتهم للطبيب الذي مسح وجهه بيديه بإرهاق وهو يقول :- " ليس باستطاعتنا المعرفة الآن .. نحن بانتظار أن يفيق المريض .. لكن أتوقع بإذن الله نسبة الشفاء جيدة "

قالت بقلق أكبر ، وهي تفرك يديها بحثاً عن بعض الدفء :- " وما أخبرتي به سابقاً "

قال بهدوء :- " ما قلته سابقاً وارد الحدوث .. لكنني أيضاً أخبرتك أنه سيكون فقدان بصر مؤقت .. حتى يخف الضغط بالتدريج عن عينيه "

شهقت شادن وقد أدركت فحوى حوارهما ؛ أسر قد يصاب العمى !! تراجع بدر الدين بصدمة، وهو يعاود الجلوس بحيرة وعدم تصديق ، هدى لم يظهر علي وجهها أي رد فعل !! بينما بدا كل من محمود ونادر هادئين وإن اعتلت ملامحهما القلق ، سأل محمود بهدوء وخشونة :- " ومتى يفيق !!!?.. "

قال الطبيب بلهجة واثقة قاطعة :- " سيتم نقله الآن لغرفة العناية  
المركزة لمتابعة حاله حتى استقرارها "

أوما محمود بإيمان :- " الحمد لله "

هم الطبيب بالرحيل حين تقدمت قاهرة برجفة وهي تقول ما تلهف غيرها  
للتنطق به :- " هل لي أن أطمئن عليه أريد أن أراه ولو لبضع دقائق فقط "  
فكر الطبيب قليلا ثم قال بعملية :- " هو غير واعي كما قلت .. لكن أعتقد  
أنك تستطيعين رؤيته لخمس دقائق فقط "

شعرت بشيء من تأنيب الضمير فأهله أحق برؤيته لكنها لا تقوي علي منع  
لهفتها من الاطمئنان عليه ، ولو أصبحت أنانية قال الطبيب لها بهدوء :- "   
هيا بنا .. "

أومات بهدوء شاكر ، وهي تتبعه بقلب واجف بينما ارتمت شادن بحضن  
هدى ببكاء خافت

ما إن خطت إلي داخل الغرفة حتي أصابتها الرهبة، وهي تراه بجسده  
الفارح مسجي أمامها بلا حراك .. والشاش يلف رأسه وذراعه الأيسر،  
ويلتف على صدره العضلي العاري حتى الخصر .. دست خصلة من  
شعرها الغجري الثائر الهارب من عقاله خلف أذنها بتوتر مررت أناملها  
بأسى على ذلك الوجه الشاحب المترسم عليه شبه ابتسامة متهمكة ،  
التوت شفتاها الكرزيتان بشيح ابتسامه .. مازال يتقن أجمل صورة حتى  
وهو نائم توسطت أناملها الباردة باطن كفه البارد .. لتجهش فجأة بالبكاء  
بخفوت، وهي تهاوى علي المقعد المجاور له ، وضعت يدها على صدرها  
بشكل تلقائي تحاول أن تعتصر الوجد لعله يخرج من عروقها التي جفت  
منه! .. حاولت النهوض لكنها لم تستطع .. كأن قدميها فقدتا الإحساس

بالحركة، كأن روحها فارقتها لتتعلق بذلك المسحي أمامها.. لم كلما همت  
بالابتعاد عنه جميع خلايا جسدها تعلن العصيان..؟! لم تعتصر تلك  
الأوردة شوقا له وتأبى الروح الركون لأعتاب ذاك الشوق..؟

\*\*\*\*\*

فتح أسر عينيه بذهول وتشوش يبدو الظلام وشيكا والرؤية مشوشة  
للغاية .. صداع قاتل يجتاحه ورأسه يبدو كما لو أنه يحمل فوقه طن  
فولاذي، ذراعه اليسرى ثقيلة للغاية بينما اليمنى مخدرة .. ضلوعه تؤلمه  
بشدة .. صدرت عنه أنه ألم مكتومة، وهو يلتفت بعدما شعر بشيء بارد  
يلامس كفه ، لم يكن ليخطئها قاهرة رغم الظلام المحيط بالغرفة بشدة  
.. رغم تشوش الرؤية بطريقه أفلقتة .. لكنه عرفها .. نظر لها بتركيز شديد  
يدقق النظر المشوش بها .. وهي قريبة للغاية منه تلك الأهداب حقيقة!.  
كان كلما فكر بها يكاد يقسم بأنها غير حقيقة..؟ لكن اليوم .. أقسم ..  
ببرائتها من اتهامه ابتسم بدفع على تلك الواضعة رأسها على أطراف  
أنامله... ذلك سبب تخدر ذراعه إذن .. لاحظ تساقط تلك الخصل  
السوداء ومعانقتها لعنقها المرمرى وغرق بعض خصلها بلامستها لخدتها  
، وذلك الشيء المتوهج الساقط على وجنتها لأول مرة يتأمل شخصا يبكي  
.. تأمل تلك القاهرة.. حتى في نومها بدا كأنها كانت تبكي ، همس بصوت  
ممتلى بالتعب :- " قاهرة "

صوته لا يكاد يسمعه... ليحاول منهكاً أن يبتلع كمية من الهواء :- " قاهرة "

ارتفع رأسها وهي تسمع صوت كالهذيان لها.. اتسعت عينها بسعاده لا  
توصف... وهي تلتقط استفاقة لتنتفض من غفوتها .. وترتفع عينها له  
بفرح .. ليتساقط مرة أخرى ذاك الندي علي تلك الأهداب كوردة

استقبلت المطر بفرحة بعد طول غياب قالت بصوتها المبحوح بسعادة لا توصف ..أخيرا أفاق :- " أسر .. الحمد لله علي سلامتك .. بما تشعر أخبرني .. "

مدت يدها بلا تردد أو خجل تتلمس وجهه .. فابتسم رغم الألم الذي يعتريه ، وهو يقول بصوت ضعيف :- " هل لك أن تضيئي النور ..!!؟ " شهقت بفزع والأفكار السوداء تتلاعب بعقلها وتخفق نبضات قلبها " لماذا ..!!؟ "

اقتربت منه بتردد لتنسكب خصلاتها الحيرية الثائرة علي خده لشدة تحديقها بعينه :- " أسر هل تراني ..!!؟ " يا لها من بلهاء

ابتسم قليلا وهو يقول :- " بالطبع أراك .. لكن الرؤية مشوشة بشدة " أكمل بنبرة أمره ولهجة نافذة الصبر ، وقد بدأ يعود إلى طبيعته رويدا رويدا :- " أضيئي النور "

انتفض قلبها .. فالنور مضاء وضعت يدها علي قلبها تكتم ذاك الوجع به وقد بدا أن أسوأ مخاوفها يتحقق ابتعدت عنه بارتباك وهو تقول :- " سأنادي الطبيب لا تتحرك "

اعتدل صوته قليلا ببحة ساخرة وهو يقول :- " وكأنني أستطيع الذهاب إلى أي مكان "

ترددت خطوة بتشوش وارتباك وخوف .. لتعاود المسير ما إن فتحت الباب بصدمة وحزن يعتلي ملامحها المرمية .. ناسية أنها بضغطة زر كان فريق

التمريض يصل عندها حتي اقتربت منها شادن .. المنتظرة كعادتها بالشهرين الماضيين ، ووجهها كله أمل لكن اليوم لم تكن وحدها إذ أتى معها نائل وريم .. والده الصامت البعيد .. نادر الذي ويا للغرابه كان يأتي كل يوم ليطمئن عليه .. ويطمئن عليها دون معرفة سابقة ، هدى التي كانت تأتي بأغرب الأوقات وأغليها ليلا .. تقضي الليل بأكمله علي المقعد المتصلب بالخارج وهي تقراً له بصوتها الرخيم بالمصحف الشريف .. لتغادر مع انبلاج الفجر أصبحت قاهرة تعرفهم جيداً ، فشهرين مدة لا بأس بها .. لتتعرف قاهرة على عائلتها المستقبلية .. كما فكرت بحزن وسخرية مريرة ، شهران .. ووالدها يرفض الحديث معها .. شهران طابت بها معظم هنا مقيمة بجواره تدعو الله كل ليلة لشفائه .. شهران طابت بها معظم جروح جسده ما عد تلك الغيبوبة الطبية التي غرق بها أخبرها الأطباء أنها حاجة جسده بعد الصدمة للراحة والشفاء .. وحين يستعيد جسده قوته سيدستيظها وها هو استيقظ الآن .. وأن لتلك الممثلة أن تنتهي وتعود لها حياتها .. قرار لم تندم عليه لكنها تحملت تبعاته بقسوة .. تأملت قاهرة ملامحهم .. الممتلئة بالأمل والصبر والهدوء لتهمس بصوت مخنوق :- " لقد أفاق "

تدفق الجميع للداخل بينما تحركت هي بتعب من مكانها وبأقي برأسها شيء واحد فقط تفعله توجهت للاستقبال وهي تسأل الممرضة بشيء من الخجل المتعب :- " هل أجد من أستعير منها أسدال صلاة "

نظرت لها الممرضة بدفاء حيث لم يكن ذاك السؤال بغريب عنها .. فقد اعتادت رؤيتها بأروقة المستشفى لا تغادرها أبداً طيلة الشهرين المنصرمين فتحركت من مكانها ، وهي تقول لها :- " اتبعيني "

أخذتها لحجرة الممرضات وأعطتها عباءه للصلاة ابتسمت بود قائلة :- " تلك عباءتي .. إنها نظيفة تستطيعين الصلاة بها "

أشارت لدورة المياه " تستطيعين الوضوء هنا "

ابتسمت لها شاكرة بهدوء وتعب غسلت وجهها بشدة .. توضأت .. ارتدت الأسدال بهدوء وخشوع وهي تقف علي سجادة الصلاة تصلي ركعتين شكرا وحمدا لله

\*\*\*\*\*

لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة مضاد له في الاتجاه

قاعدة فيزيائية بسيطة

" ماذا..!!؟ "

بعدها أخرج الأطباء الجميع من الحجرة لإتمام فحوصاتهم

كشف الطبيب علي نظره أول شيء بعد التأكد من مؤشرات الحيوية .. لشكوى أسر من التشوش وضعف الرؤية الشديد خاصة بالعين اليسرى .. ليفاجئه الطبيب باحتمال فقد بصره في غضون أيام قليلة إلا في حالة إجراء جراحة ثانية لإزالة ضغط متبقي على شبكية العين اليسرى أجاب الطبيب ،وهو يسحب المقعد قريبا منه شارحا له الوضع بهدوء ،وكيف كانت حالته خطيرة، وتستدعي ذلك التدخل الجراحي العاجل ليختتم قوله ب :- " زوجتك وافقت على إجراء تلك الجراحة .. لأن حياتك كانت مهددة بالخطر .."

قال أسر بتشوش :- " زوجتي ..!!؟ "

أصابته حالة من الذهول .. هل أصيب بفقدان الذاكرة إلى جانب خطر إصابته المؤكد بفقدان النظر...!! لا يذكر أنه تزوج

قال بتشوش :- " زوجتي من ...؟! "

نظره الطبيب بقلق فذاك أمر لم يخطر له على بال ..!! سأله بقلق :- " هل تذكر اسمك ..؟! "

فكر أسر بسخرية مذهولة .. لا تناسب الموقف ..هل يعتقد أنه أحق تماما..! قال للطبيب والتعب لا يزال يعتري كل ملامح صوته :- " بالطبع أسر بدر الدين ..كابتن طيار ..أسكن بميدان لبنان بالمهندسين .."

أكمل بسخرية موجوعة :- " أتريد رقم الضمان الاجتماعي أيضا ..!! "

كان الطبيب محتارا من تلك الشخصية المتحفزة ..الشرسة ..فأثر الصمت وإتمام فحصه بدقة ..ما جعل أسر يعتريه القلق حتي وإن دأى ذلك القلق بالسخرية ..تهد بارتباك وملامح ضائعة لوهلة ليقول بضيق :-" لكنني لا أذكر أنني تزوجت بمرحلة ما من حياتي "

فكر الطبيب وأردف التفكير بالقول :- " ربما أنت مصاب بفقدان ذاكرة جزئي .. وهو أمر وارد من آثار الحادث لكنه لن يستمر طويلا .."

فقدان ذاكرة ..بدأ الصداع يتزايد ..سأل بفضول :- " ما اسمها ..؟! "

أكمل بارتباك :- " زوجتي أقصد ..!! "

همهم الطبيب وهو يراجع الأوراق أمامه قائلا :- " السيدة قاهرة السليماني "

" ماذا ...؟! "

خرجت تلك الكلمة الوحيدة حارة ملتهبة من فمه لتتردد بصدرة ، هو ليس مصابا بفقدان الذاكرة، هو متأكد من ذلك لا يزال يذكر أحداث الأمس بالتفصيل مصاب بمختلف أنحاء جسده ، وقد يفقد بصره أو ربما فقده ، لكن ليس فقدان ذاكرة تمالك أعصابه بكل ما أوتي من قوة، وهو يسأل الطبيب بصرامة مبسوطة :- " من أخبرك أنها زوجتي..؟! "

نظر له الطبيب بشك وحيرة من تلك الأسئلة الغريبة .. وهو يعيد إخباره بكل شيء منذ لحظة مجيئه حتى دخوله غرفة العمليات بعد موافقة زوجته المزعومة .. كان الطبيب يتحدث والغضب والاشتعال والاحتراق يتزايدان بالعينين الرماديتين بطريقة لا تبشر بخير أبدا

\*\*\*\*\*

أبعدت تطويق أصابعه لكتفها لتبتعد خطوات صامتا بخجل وتوتر شعرت فجأة باختناق لروحها من قربه، لمساته سيل من الكهرباء تصعق به من قمة رأسها لأخمص قدمها .. كسر الهدوء الذي حل فجأة كلمات أسر المفاجئة و الهامسة :- " اقتربي زوجتي العزيزة .. لم تبتعدين دعيني أضمك "

هو لا زال يعتقد أنها زوجته .. كل مدى و الوضع يصبح أصعب فأصعب .. ارتعش ووجف قلبها الخافق وهي تري تلك النظرات بعينيه ... ارتعشت بإحساس لا تدري كنهه ، وهي تري هذا الوجه الآخر لآسر يظنها زوجته لذا يعاملها بذلك الحب ارتفعت عينا قاهرة بتشوش .. و قلق لتلتقي بعيني آسر الرماديتين بذلك القرب الشديد...جذبها مرة أخرى ببطء إليه يريد أن يتقن دوره لأقصى حد .. استغلت غيبوبته واتخذت قرارا ليس لها أن تتخذه شعنت الأمواج الرمادية بالقسوة والغضب دون إرادة منه .. قست ذراعاه عليها دون قصد منه لكن ليس لتلك الدرجة لتلحظها فهو لا زال

ضعيفا ويده السليمة أيضا ضعيفة مالت عليه دون إرادة منها لينتثر شعرها للجبهة الأخرى..لتلامس خصلاته كتفه تشبه رائحة صباحية باردة مليئة بشوق ومغمسة بالولة.

ابتعدت عنه بخجل أصبح الوضع أصعب من أن تحاول الشرح ..كيف لها أن تقول له إنها ليست زوجته " بسهولة .."خاطبت نفسها بصرامة وقوة . بكل سهولة ..وبخت نفسها بقسوة ... يكفي قاهرة ..الموضوع لا يحتمل التأجيل يكفي والدك ستحتاجين للكثير من الوقت حتى تعود ثقته بك يكفي حين أتت شذي فجر ذاك اليوم من شهرين ، ومعها بعض الثياب لها لم تتحدث معها كثيرا وقفت صامته بذبول وهي تعطيها تلك الملابس في حقيبة صغيرة وبعينها ألف سؤال .

لامست يده خدها .. لتفريق من شرودها .. وضع يده بثقل رجولي على يدها ليترك برودة تلك الأصابع الرقيقة.. تتغلغل في وجع الكف..لتطفى القليل من الغليان الذي بصدرة.. ابتسم بهدوء رجولي موجع .. يخفي في طياته قسوة وحقد بدأ بالتعاظم .. شد تلك الأصابع المرتبكة لشفتيه ليغرقها بالقبلات المتقاربة .. جعلتها تتوتر بشدة وخافق يرتعش مما يفعل .. قائلا :- " لا تحزني ..سأجري الجراحة وسيعود لي بصري وذاكرتي "

نطقت بهمس متعثر حزنا :- " إن شاء الله ..أكيد ستسترد بصرك .."

قال بتأكيد وهو يراقب ردة فعلها بقسوة غير ملحوظة لا تلمع سوى بعينه :- " و ذاكرتي "

ابتعدت عنه بارتباك وانفجار بحواسها المشتتة :- "و...ذاكرتك أكيد "

من ثم رفع أصبعه عن شفتها.. ليسير بنغمة متأنية مع خصلة ملتفة بأصابعه.. حتى عانقت تلك الخصلة صدره و من ثم أطلقها بأريحية..

أرجع ظهره من جديد ليسترخ على الوسادة المخملية .. وهو يرفع عينيه لها قائلاً بنبرة أمره و حقد قاتل لم يستطع السيطرة عليه .. يكرهها .. لا يطيقها .. لكنه سيكون ملعونا إن لم ينتقم منها :- " حسنا دعيني أستريح الآن "

انتفضت .. يطردها .. حذرنا الطبيب من تقلباته المزاجية بالنسبة لحالته .. نهضت بألم ، وهي تقول بانكسار غير مألوف بالنسبة لها ولا له :- " هل تحتاج شيئاً قبل أن أخرج ..!!؟ "

ما جعل ابتسامه حاقدة صغيرة تتلوى علي شفثيه وهو يقول ممعنا بإحراجها وذلك :- " لا تذهبي أحتاج الذهاب لدورة المياه "

تلون وجهها بالاحمرار لكنها أومأت ، وهي تقترب منه أراد الإمعان بإحراجها .. تواعد بصمت وابتسامه خبيثة تتلاعب خفية على تلك الشفتين حين ينتهي منها ستتمنى لو فقد حياته وليس ذاكرته فقط .. أسندته بصمت ، كان ثقيل الوزن بالنسبة لها ببنيته العضلية القوية، وجسده الفارع الطول بدت حذرة للغاية، وهي تلامس خصره بإحراج شديد ، ووجهها يشتعل احمرارا .. وذهنها يشتعل كيف ستدخل معه دورة المياه .. المفروض أنها زوجته ماذا تفعل ..؟! إحراج ارتباك .. فزع .. خجل .. خوف . تساقطت دمعة على تلك الأهداب التي ذبحته دون سبب .. لم لتلك الأهداب ذلك التأثير عليه لم..؟! وصل للباب حتى قررت الاعتراف له وليحدث ما يحدث .. أساسا هي كانت تنوي الاعتراف له أول ما يفيق ، لكنها لم تتوقع أن يفقد ذاكرته .. قالت بتردد وجل وهمس :- "أسر "

أدرك ما تنوي عليه فقاطعها بقسوة ووحشية :- " اتركيني هنا "

تنفست الصعداء إلا أنها قالت بتردد :- " م ماذا ..!!؟ "

رفعت بصرها إليه لتلمع تلك القطرة العالقة بذلك الهدب الذي يثير جنونه ؛ ليصرخ بها بغضب بدأ يفلت من عقاله :- " قلت لك اتركيني .. لست عاجزا قد أكون على وشك العمي .. لكنني لست عاجزا .. اخرجي واطركيني .. "

أكمل ووجهه يشع بالبغض والاشمئزاز:- " اخرجي لا أريد رؤيتك بتلك الغرفة مرة ثانية .. "

تركته بتردد وألم .. محرجة بأكثر من طريقة .. سارت ببطء ورأسها محني بألم عميق .. حتي وصلت إلي الباب لتنتفض حين أتاها صفع لباب دورة المياه بشدة ارتجت لها الجدران .. تنفست ، ثم أغلقت الباب بهدوء أشد قوة من الضجيج ليعم السكون جناح أسر.. صوت قطرات الصنبور بدورة المياه أزعجه .. توقف يتنفس بغضب وألم بكل أنحاء جسده يصرخ بقوة ، تلك القطرات لا تنفك تزعجه تنساب بدوي هائل قطرة..قطرة.. مد يده السليمة بغضب جامح ليقف الصنبور بلكمة همجية منه ليطلق صرخة ألم خافتة من شدة الجرح.. ومن السخرية أن الصنبور لم يتوقف من القطرات..

\*\*\*\*\*

ضاق تنفس مروان ليصبح تنفسه يصاحبه سعالاً حاد جداً .. عادت إليه ذكريات حاول تناسيها لكنها كانت أقوى منه .. ذكريات تعذيب .. مهانة ..عجز .. اضطهاد سخرية .. بلاذنب وقع بين أيديهم .. بلا ذنب تخلي عنه أسر..و.. نادر، وكان يجب أن ينتقم وهدى انتقامه ولن يدعهما يسلبان انتقامه منه لن يستطيعا، لكن نادر لن يتركه .. نادر يستطيع أن يجده .. أن يعذبه مرة أخرى بعدما أصبح واحدا منهم بل ربما كان منهم منذ البداية ربما ...! أفاق من شروده وهو يتبعها بعينيه حين توجهت إلي

مرأب السيارات منذ تلك الليلة من شهرين .. وحين أجبره ذلك النادر علي تركها، ابتسم بسخرية قاسية ونيض موجوع .. تظن أنني لا أراها .. أنني لا أعرف أين تذهب ومتى تذهب ..؟! برقت عيناه رغم إنهاك جسده الواضح وتهالك أنفاسه الليلة يجب أن تعود له مرة أخرى .. وإن كان لأخر مرة .

\*\*\*\*\*

توجهت شادن للخارج .. بعدما اطمأنت على أسر .. رغم تلك الغصة في قلبها .. فهو لم يتذكرها جيدا .. لكن الطبيب طمأنهم أنها حالة مؤقتة لن تدوم ..

" شادن "

أتى النداء ليجعل قلبها يخفق بتواطئ غريب لم لم تنتبه لعطره الذي امتلأ به الممر .. الريحان .. منها لحضوره.....! اقترب بخطواته الطويلة الفارعة .. رفعت رأسها لتلتقي عينيه .. حادة كالصقر .. شعره الأسود الكثيف يغطي رقبتة ملامسا حدود كتفه بإهمال .. تلك الجاذبية الشرسة يعترها شيء من التوتر الغير مألوف .. وقف بشموخه الدائم .. وطلته الغربية .. هذا الغموض الذي يتشرب بصمت همساته وسكونه .. كل شيء .. يدل على عنفوان .. ورجولة. تهدت دون قصد منها " يا صبر الأرض..؟

حتى الأوكسجين في قربه .. و .. بوجوده .. يعلن انتحاره...!"

قالت بتوترها مس كما هي عادتها بوجوده :- " كيف حالك ..؟! "

تغاضى عن الإجابة بهزة من رأسه ..كأن ذلك سؤال ليس لديه إجابة عنه  
..فقال بدلا عنه :- " أريد محادثتك "

ابتلعت ريقها وقد جف فمها كالصحراء القاحلة العطشى لشربة ماء " ح  
حسنا "

ثم اتبعها بـ "... " أين ..!!؟ "

قال بتهور وهو يمد يده ليقبض على كفها بلمسة :-

"تعالى سأوصلك بسيارتى "

تقدمت معه خطوة بغيبوبة لتفاجأ بنائل ينادي عليها، وهو يتقدم من بعيد ترك محمود يدها ، وهو يتراجع لسيارته ..بصمت وشموخ وصل لهم نائل المبتسم ، وهو يرى محمود يستقل سيارته " أهلا محمود ..لم تخبرنا أنك قادم .."

همهم محمود بشيء ما بينما التفت نائل لشادن قائلا :- " هيا شادن فريم تنتظر بالسيارة "

وقفت شادن محتارة مرتبكة تجاهلت نائل لأول مرة ، وهي تنحني للنافذة تواجه محمود وبعينها إصرار لشيء تجهله :- " محمود ..كنت تريد أن تخبرني شيئا ما ..!!؟ "

نظر لها نظرة أخيرة محملة بذلك الغموض ، وذلك التعبير الذي جعل قلبها ينتفض ويفقد العدد الصحيح لخفقاته قال بصوته الرخيم وتلك الابتسامة المحتضرة على شفثيه :- " نعم جئت أودعك .. فأنا ذاهب لفلسطين "

هُنالِكَ زمن لم يُخْلَق للعشْق ..

هُنالِكَ عُشاق لم يخلقوا لهذا الزمن..

اتجهت هدى بهدوء كعادتها لممر السيارات بأسفل المستشفى .. كان الوقت يقارب الفجر .. طغت رائحة الهواء المشبعة بندى الصباح .. بدت غيمة من الأنفاس الباردة تخرج من فمها وأنفها نتيجة لبرودة الجو وحده التجمد .. لكنها لم تكن تعبر كل ذلك اهتمامها .. ولا تلك العينين المسلطتين عليها بالشر، وهي تمشي ببطء ورأسها غارق في دوامة لا يريد الخروج منها ، أفق أسمر من بضعة أيام .. تهتت .. وهي تتذكر ذلك اليوم .. حين دخلت عليه ألمها منظره .. رغم أنها اعتادت عليه .. فلمدة شهرين كانت تبقى مع قاهرة يومية .. تأتي ليلا وترحل فجرا .. بدا مظهره هزيلا بعض الشيء .. أغلب الكدمات اختفت ، ولم يبق إلا أثر شاحب على جلده البرونزي اللون .. لكن عينيه الزرقاوتين بدتا أكثر وضوحا .. أكثر قسوة بطريقة ما .. هالات سوداء ظللت عينيه .. وظيف بسمة قاسية لازمت فمه .. محملة بالجراح .. همست بحنان :- " كيف حالك ؟؟ "

استغرب رد فعلها قليلا لكنه لم يعلق فهدي كانت دوما متباعدة .. نظر لتلك الواجمة الصامتة المتصلبة على ذلك المقعد البعيد .. ليجيب بهدوء فهو لازال يدعي فقدان الذاكرة :- " بخير وأنت .. كيف حالك ؟؟ "

احتارت .. بماذا تجيب ..؟ أو مات وهي تهمهم :- " بخير "

لم تستطع ملامسته أو التريبت عليه ، شيء ما بداخلها أصبح يرفض ذلك .. وإن اكتسى صوتها بالحنان .. لكن ذلك هو كل ما تستطيع إظهاره من مشاعر بعد جهد مضني ومغالبة لنفسها الجافية .. غصّة تستحکم أوتارها الصوتية كلما أجبرت نفسها على حنان ، كان يخرج طبيعيا منها

سابقا ..ابتسمت بهدوء وهي تخبره :- " أخبرني الطبيب أنك ستخرج قريبا من المستشفى "

زفر بنفاذ صبر وهو يقول :- " أخيرا لقد مللت بشدة "

هزت برأسها ، وهي تنظر لقاهرة الصامته على غير عاداتها معها .. أمرهم غريب حقا إلا أنها أكملت بنفس الابتسامة الهادئة :- " وماذا أخبرك الطبيب عن العملية الجراحية وفقدان الذاكرة ذلك .. "

أكملت برجاء ألم قلبه وهي تناشده :- " ألا تتذكرنا حقا أسر..!!؟! "

هم بأن يجيب ، حين أتى طرق الباب ليعلن عن دخول زائرها التفتت بفضول .. لتصعق بصمت ، وهي تنكمش في مكانها أكثر وأكثر ، معانقة أصابعها عنقها المحمر تشعر بأن قلبها هرب فجأة في حين تهلتت ملامح أسر بفرحة حقيقية .. جعلت قاهرة المراقبة الصامته تتألم لا شعوريا هتف أسر باستغراب :- " نادر.. متى أتيت ..!!؟! "

تقدم نادر منه بخطوات صامته وابتسامة غامضة تلمع على الوجه المنحوت التفاصيل بوسامة رجولية صرفة .. وهو يقول بصوته الأجلح المميز دون أن يغفل عن انكماش تلك الصامته :- " من فترة .. أردت لقاءك .. "

صمت لتتغير نبرة صوته وهو يكمل ببحه :- " لكن الظروف منعتني "

صدمة ظهرت علي وجه قاهرة ..هل يعرفه ..تساؤل كبير جال بذهنها ..وفقدان الذاكرة ..أعادت له ذاكرته .. لكن أسر ولفرحته برؤية نادر، نسي ذلك الادعاء ليبتسم بأسي وهو يقول باستفسار غامض فهمه نادر :- "والآن اختفت تلك الظروف ..!!؟! "

رد نادر بوعد و تأكيد وثقة. جعل هدى ترتعش بصمت :- " الآن .. لن يمنعني عنك سوى الموت "

التوت شفتا أسر باطمئنان وهو يقول :- " طمئنني صديقي .. طمئنني "

نهضت هدى بتوتر وخوف دون أن تلاحظ ما حدث .. نهضت بتوتر، وهي تقول لأسر بصوت ضاعت تفاصيله :- " حسنا أخي .. أراك غدا .. "

ثم خرجت بسرعة دون أن تنتبه لنادر الشارد بها أو قاهرة الغارقة في التفكير.

\*\*\*\*\*

لاتدري كم ظلت تنتظره خارج جناح أسر بتوتر .. وذهنها يحاول أن يعمل بقوة .. للآن هي لم تخبر أيا من أهلها بما حدث لها .. ولا تريده أن يخبر أسر الآن .. لازال سر صداقته لأسر غامضا .. لاتذكر يوما أنها رأته في منزلهم إن رأته .. متأكدة أنها لم تكن لتنساه .. مرت ممرضة ما متجهة لجناح أسر حين استوقفتها هدى بأمل وهي تهمس لها :- " نايا "

توقفت الممرضة بابتسامة :- " أهلا هدى .. كيف حالك ..؟! ها اطمأنتت على أسر؟ "

أومأت هدة بوجل وهي ترجأها :- " نايا أريد منك خدمة "

ابتسمت نايا ببشاشة :- " من عيوني "

ترددت هدى لكنها أخذت نفسا عميقا ، وهي تخبرها :- " هناك ضيف بالداخل عند أسر .. أريدك أن تطلي منه الخروج بأي حجة .. كإعطاء أسر حقنة أو شيء ما "

اتسعت ابتسامة حنان وهي تغمز لها بخبث دفع بسمة خفيفة لشفتي هدى :- " فقط هكذا من عيوني .. أساسا أنا قادمة لهذا الهدف .. لا تقلقي "

دقيقه وخرج نادر .. ليجدها في انتظاره توقف صامتا لتقترب هي خطوة منه بتوتر قائلة بهمس :- " أريد محادثتك على انفراد "

التوى فمه بشبح ابتسامة جذابة زادته غموضا ، وهو يشير لها أن تتقدمه .. ووصلا إلى الكافيتريا بصمت متوتر ، وهي تحاول تمالك أعصابها .. ما إن وصلا لإحدى الطاولات المعدنية المميزة للمستشفى حتى جلست بتوتر .. حمدت ربها أن الكافيتريا كانت خالية تقريبا في ذلك الوقت من البشر .. جلست بارتباك دون أن تطلب منه الجلوس .. لم يفارق شفثيه ذلك الطيف الغامض لتلك الابتسامة .. كأن ما تفعله يبعث بسرور ما إلى نفسه ..! جلس بصمت ماذا قدمه الطويله بجوار الطاولة حتى اصطدمت بها .. تراجعت هي بعنف بمقعدها ليتمتم بهدوء وهو يسحب قدمه .. أخذت تفرك يدها .. بطرف فستانها بتوتر وعيناها حائرة بكل شيء إلا وجهه طال الصمت حتى أتى صوته الأبح بهدوء " أما زال لك ذلك الولاء للمطر؟ "

رفعت عينيها إليه بحيرة لتتسمر نظراتها العسلية على الشمس بعينيه .. لأول مرة.. تراه هكذا.. بذلك القرب الشديد . .. ملامحه..! يالله... عينيه الواسعة.. وجهه الأسمر وأنفه الشامخة .. شعره الحالك السواد بنعومة جذابة .. وذلك الجرح لازال بموضعه فوق حاجبه الأيسر.. لما يوحى إليها دائما أنه يعرفها .. لو كانت تعرفه لم تكن لتنساه.. حارت وأطرقت برأسها دون إجابة

" هدى .. أردت محادثتي "

قالت بدون شعور :-" ها "

للتسع تلك البسمة على فمه بصمت ،وبخت نفسها بعنف يجب أن تتمالكي نفسك يا هدى عود ثقاب اشتعل .. رائحة نفاذه خالطت خياشيمها رائحة السجائر تضايقها بعنف تذكرها ، هزت رأسها باضطراب لا ..لا لن تفكر بذلك..! أخذت نفسا عميقا لكن رائحة السجائر تغلغت بداخلها لتقف بتوتر فتعاود الجلوس، وهي تقول بغيظ :-" هل لك أن تطفئ تلك "

وأشارت بيدها بتوتر لتلك السيارة بيده، ابتسم وهو يرميها تحت قدمه ليسحقها ببطء" به قسوة.." هذا ما فكرت به في تلك اللحظة ،وهي تراه يسحق تلك السيارة بعنف تحت قدميه به قسوة مختبئة خلف سهامته قسوة وقوة! " هدى "

أتت تلك المرة نبرته نافذة الصبر قليلا رفعت عينيها إليه مره أخرى، وهي تقول بهدوء لا تشعر به :-" لا أريد لأسر أن يعرف بما حدث لي .. ليس الآن على الأقل ..حتى يشفي "

صمت وتفكير عميق يلوح على ملامحه الشامخة لينطق بعدها :-" لك هذا "

ترددت وهي تقول :-" ربما ..ربما حتى يشفى تماما "

قاطعها بهدوء :-" لا مجال لربما هنا ..كوني متأكدة مما تريدين "

نظرت له بذهول ارتبكت ويداها تعتصر أصابعها يريدتها أن تتخذ قرارا قاطعا ..وهي التي لم تأخذ في حياتها قرارا أبدا...!! لكنها أخذت نفسا

عميقا آخر وهي تمنع نفسها من الشك بصحة ما تقول :- " حسنا ..  
متأكدة .. "

نهضت فجأه تريد المغادرة ..فقد انتهي ما أرادت رؤيته من أجله .. فأتى  
صوته الأبح من خلفها يسألها :- " ألا تريدين شيئا آخر ..!!؟ "

تصلبت معطية ظهرها له .. وهي تهز رأسها بالنفي لم تره بعد تلك المرة ..لا  
يمنع ذلك أنه لم يفارق خيالها إلا أن برودة تكتنف ذلك الخافق  
بداخلها بطريقة غريبة جعلتها تتناساه .

هدوء يعترها ويتعدي كونه قناعا بل هو هدوء تغلغل بأعماقها شرود  
انفصال انعزال عن العالم الخارجي المحسوس ، حين ظهر ليخلصها من  
مأساتها بكلمة واحدة " تم "

لم تكن السعادة هي ما مرت به أحاسيسها ..ولا الذهول ..بل هو الغضب  
والحزن .. شخص غريب تماما كان سبب في إنقاذها من مصير قارب علي  
الجنون ..! شيء ما أو صوت ما جعلها تلتفت بفرع كان الظلام مخيما على  
ذلك الممر خاصة في تلك الساعة .. سوى من بضعة مصابيح دائرية  
بعيدة، استعادت بالله .. وهي تكمل سيرها لكن الصوت عاد مرة أخرى  
بشكل خافت سعال خفيض أزعجها .. ميزت الصوت .. وكيف لا تميزه وهي  
عاصرتة وعايشتة سنوات من عمرها تمننت لو تمحجها .. بدأت تسرع في  
خطواتها ، وهي تبحث عن المخرج الذي تاه عن ناظرها من الرعب مواء  
قطة وسقوط صندوق قمامة بصوت مرتفع جعلها تصرخ برعب لتسقط  
على الأرض بارتعاش ، وهي تبكي ..تناثرت أشياءها ..أخذت تلملم بها بيد  
ترتعش وقلب واجف وأنفاس متقطعة حين شعرت بسكون غريب عم  
حولها ..سكون مميت ..كانت تشعر به حولها .. بأنفاسه القذرة .. حولها  
وهي لا قدرة لديها على ذلك الرعب أغمضت عينها برجاء صامت

يا الله

كان ذلك سببها الوحيد لزيارة أسر في ذلك الوقت الغريب .. تأتي ليلا وترحل فجرا لتختفي ظنا منها أنه بهذا الشكل لن يعرف أين تسكن ..بعيدا عنه ..!!؟ كانت تدرك سخافة تفكيرها فمروان بالغ النفوذ .. وإن أراد الوصول إليها لن يعاني ... لكن أملها كان بالله أولا وبذلك النادر الذي يبدو أن مروان يخشاه لسبب ما ..هما ما أعطياها بعض الاطمئنان ،تهددت وهي تسيطر على أنفاسها المتلاشية تسحب نفسها لتنهض .. حين أتت تلك القبضة الباردة المرتعشة لتحيط برقبتها من الخلف بصمت .. لتجعل دموعها تتساقط بيأس وخوف، توقف قلبها عن النبض للحظة بإدراك موجه ..لذلك الشخص .. أتى همسه البارد علي عنقها ليؤكد لها إحساسها .. وهو يقول بطريقة مقبلة ترشح شرا :- " أهلا هدى ..هل نسيتني..!!؟ "

اجتاحها رعب شلها رعب أخرسها قال بوحشيه حين لم يجد منها استجابة :- " انهضي "

هزت رأسها ببط ترفض الاستجابة له .. جذبها من عنقها بقسوة لتنهض .. كانت تشعر بالموت .. الموت من لمستته .. أغمضت عينها برفض لذلك الواقع الذي تعيشه ، وهي تدعو " إلهي " " اللهم إنك كبير .. فارحم صغيرا "

همس بوحشية وقسوة وعيناه تلمعان بجنون :- " انظري لي .. افتحي عينيك "

زادت من إغماضهما ليصرخ بجنون :- " افتحي عينيك "



لتضربه بكل قوتها بحقيبتها ..تفاجأ وتراخت يده عنها .. لتهرول بفزع بعيدا عنه لم تلتفت خلفها ولو لثانية أخذت تركض وتركض وتركض

وهي تسمعه يصرخ وينادي خلفها حتى وصلت لمخبتها زاوية صغيرة بين سيارتين ..زاوية مظلمة خلف صندوق قمامة كبير والسيارتان أمامه هبطت للأرض ، وهي تضع يدها على قلبها ويدها الأخرى تكتم بها أنفاسها ولهاثها خوفا من أن يصل إليها لا تدري كم بقيت مكانها حين أتى صوت ينادي عليها صوت لم تسمعه من زمن صوت جعلها ترتعش وتنشج ببيكاء " هدى ..أين أنت ...؟! هدى اخرجي حبيبتي كل شيء علي ما يرام "

ارتعشت شفيتها بحاجة عمرها عمر الزمن :-" أبي " حاجة لأمان مفقود حاجة لجرح يريد أن يبرأ حاجة بالقلب منبعها والروح مصيها والوجدان كيائها ، نهضت من مخبتها بتهور وهي تنادي بارتعاش :-" أبي .. أنا هنا " ليظهر أمامها ..توقفت لوهله .. كيف تقترب منه ،وهو قاتلها كيف تأمن له وهو خائنها كيف ..؟! وضعت يدها على قلبها ونظرتها تتحجر اقترب منها وهو يقول برجاء :-" اخرجي حبيبتي .. هيا بنا قبل أن يأتي "

يأتي!! دار رأسها مروان كيف استطاعت أن تنسى؟! ذلك ليس أباه .. ذلك قاتلها ، ظهر مروان وبيده شيء يلمع وهو يقترب من بدر الدين من الخلف لتصرخ هدى برعب .. وهي ترى الجنون يستوطن مقلتيه "أبي "

لكن صرختها لم تصل ضربه مروان بشيء ما على رأسه ليخرأبها صامتا إلى الأرض ، اقترب منها مروان بسرعة لا تناسب هيئته المريضة .. قبل أن تفيق من صدمتها أو تشرع حتى بالهرب مرة أخرى شعرت بارتجاج في رأسها بعدما هطلت كفه القاسية على وجهها .. كما فعل المرة الأخرى لهيبط الظلام عليها بأسى

أأأه ..صداع يجتاحها ..يفتها.. يقتلع ..أضلعها من مخبئها أفاقت لتجد  
نفسها بغرفة صغيرة حاولت النهوض ..لتجد نفسها مقيدة ..مقيدة في  
سرير صغير .. مقيدة اليدين والقدمين وكمامة على فمها ألم اجتاح رأسها  
ألم هز جسدها ..ماذا فعل بها ..!؟

صرخ ذلك السؤال يبحث عن إجابة عاهدت نفسها ألا تفقد الوعي أبدا  
..لكنها لم تستطع .. أغمى عليها .. !!

\*\*\*\*\*

هُنالكَ حُبُ خَلقٍ لِلبِقاءِ ..

هُنالكَ حُبُ لا يَبقى على شَيْءٍ

لم ذلك القلب لا يهدأ ويشوش بذبذباته على وظيفة العقل في التفكير..!  
شعر بسم يجري في كل عروقه النابضة ... حرقة هذا السم .. تصل إلي  
قلبه .. فتشطره ...إلى شطرين...أوردته تمزقت من وقع الكلمتين .. أتاه  
الخبر اختطفها ضغط بقوة على هاتفه ..حتى أوشك أن يحطمه ..أنهى  
المكالمة، وهو ينطلق بسيارته بسرعة قصوى مخترقا عدة إشارات ضوئية  
بلامبالاة .. كان يعرف أين يجده .. فمروان تحت مراقبته المستمرة منذ  
أتى للقاهرة .. غضب هو كل ما يشعر به منذ أتى ..غضب وحقد و غضب  
لا يجد سوى الغضب يجيش بأعماقه

هدى يا طعنة بالقلب لا تهدأ ولا تبرا لم يفارقه طيفها لخمس سنوات ..  
حين رآها لأول مرة .. كان في مهمة خاصة تستدعي السرية كالعادة لازال  
يتذكر ذلك اليوم كما لو أنه حدث بالأمس .. اتصل بأسريخه أنه جريح  
ويحتاج لمكان يستريح به، كان يدرك أن أسريستطيع تدير ذلك المكان له  
..أعطاه عنوان منزلهم القديم في المنصورية .. فيلا جميلة لكن عتيقة

الطراز.. وسط الكثير من الأراضي الزراعية منعزلة ومظلمة .. أخبره أسر أنه في رحلة عمل لكن تلك الفيلا أمان لا يسكنها أحد منذ انتقالهم لـ 6 أكتوبر من عامين

وجد المفتاح حيث وصفه له أسر .. كان الوقت يتعدي منتصف الليل .. والهواء يعصف بالأشجار بطريقة تبشر بريح لا تهدأ ولا تستقر .. برودة تكتنف الجو رفع الشال الصوفي .. يخفي نصف وجهه بحيث لم يظهر منه سوى عينيه و خصلات شعره التي عبثت بها الرياح توجهه للداخل صاعدا للدور العلوي مباشرة حيث غرفة أسر لم ير شيئا من معالم الفيلا حيث الظلام مخيم أخرج قداحته يهدوء .. لتلقي ظلا شاحبا علي الدرج أمامه ، كان منهك والجرح بكتفه ينزف بغزارة، لكنه لا يستطيع الذهاب إلى طبيب .. ولقد تعود على ذلك الوضع .. رصاصة اخترقت اللحم .. وخرجت ..لابأس بها ..صر على أسنانه ، لو لم تخرج لكان وضعه سيئا للغاية .. التمع صف أسنانه اللؤلؤية بالظلام

( بركة دعا الوالدين) وصل لثالث حجرة شمال أول ممر صادفه كما وصف أسر..ضغط زر الإضاءة ..ليتضح له أن الإضاءة لا تعمل ..وصل لشباك دائري ضخم ..فتحه ليلقي بظلال من نور قادم من الخارج ..اكتفي بها ..وقف يستقبل هواء الليل البارد بوجهه الحار ..توقف لثانية، وهو يشعر يهدوء لذيذ..ثم اتجه للسريـر .. أخرج رباطا ضاغطا مطاطيا ومعقما أحضرهم من صيدلية في طريقه خلع جاكته والبلوفر الصوفي الأسود الذي يرتديه ليصبح عاري الصدر .. عالـج جرحه ثم ارتمى بتعب علي السريـر لينام وبداية حرارة هجمت عليه لا يدري متى شعر بحركة مريبة .. كان متعبا ..حاول أن يفتح عينيه لكن الصوت اختفى فعاد لينام مرة أخرى هسسة أو مواء أيقظه .. تلك المرة فتح عينيه على وسعهما ،وهو يري ذلك الخيال الأنتوي بالغ الرقة والجمال .. ظن أنه يهلوس .. أن

ما يراه أمامه خيالات .. حمى بعثتها حرارة تداعب خلايا رأسه .. لكنها كانت أروع من أروع طيف رآه في حياته ... صورتها الجميلة رسخت وتعمقت جذورها بخافقه .. لأنثى .. مليئة بجمال حتى ارتواء الوجع .. تأمل تفاصيلها الصغيرة.. خصلات شعرها الطويلة بلون العسل ..المهملة المنزلة دون عناية .. تحيط بوجهها ببراءة بالغة .. تلك الأهداب الرائعة المقوسة بالغة الطول تلامس خدها الزهري كأنها تحنو عليهما .. رداؤها الأبيض يهفو ويتطاير بفعل النافذة التي تركها مفتوحة .. خصلات شعرها حريرية تتطاير .. صدرت عنها ضحكة أسرته حين ارتفع طرف رداء نومها لتمسك به كأنها خجلة من ملامسة الهواء لجسدها .. خوفها ورجفتها...أنوثتها المتفجرة...سحرتها اتسعت ابتسامتها المرتعشة لتظهر صفيين من اللؤلؤ المنثور على شفيتين من الكرز المعتق ،وهي تغلق النافذة ..أخذت تصارع معها دون فائدة ..لم يتمالك نفسه ساعتها ،وهو يمس بصوت خرج خفيضا أجشا بفعل الحمى والتعب :-" أحتاجين مساعدة "!!؟..

خرج من ذكرياته على صوت نفير عالٍ لسيارة كاد يصطدم بها ...ضرب بقوة على مقود السيارة بقوة وغضب تفاجأ حين لم تعرفه في البداية ظن أنها تنكر معرفتها به لخدجها .. لكن ومع الوقت تأكد له أنها حقا لا تتذكره ..!كيف ذلك أراد أن يعرف .. ولم يضيع الوقت كان يدرك بحكم خبرته أن ذلك قد يحدث نتيجة صدمة نفسية حادة ومما رآه وعرفه عن الحيوان مروان ومعاملته لها .. أيقن أن ظنه صحيح أزمة نفسية حادة أدت إلى فقدان ذاكرة انتقائي اختارت بلاوعي أن تنساه هو فقط .. ترحل من سيارته بخطوات حاسمة متقدمة .. بدر الدين .. كان مسجى علي الأرض يحاول اثنين من رجاله معاونته على النهوض .. ما إن وقعت عيناه على نادر حتي همس برجاء :-" ابنتي .. سيقتلها ذلك المجنون "

الاشمئزاز هو ما كان يشعر به نادر نحوه ،كيف لأب أن يزوج ابنته من شخص مريض مجنون كمروان ..!! تركه وهو يستدير ..عنه أشعل سيجارة بيده أخذ يلهو بها دون شعور .. بطرفي سيابته والإبهام أشار لاثنين من رجاله أن يتبعاه .. حين نهض بدر الدين بخفة مناقضة لسنه وإصابته وهو يتبعه بلهفة :- " ستعيد لي ابنتي أليس كذلك ..!!؟!"

لم يجبه نادر يشعر بغضب يفقده القدرة على الكلام " أرجوك أعدها لي " حينها.. وحينها فقط التفت نادر له بعنف وقسوة وهو يقول بصوته الأجش الحازم :- " سأعيدها لي أتفهم لي أنا فقط "

obeikandi.com

obeikandi.com

الفصل الخامس  
ذاكرة .. قرار

وقف يراقبها .. تقدم بخطواته الطويلة للداخل ليقف على مقربة منها ..قطرات من العرق .. تتراقص على جبينها خصلات شعرها الطويلة بلون العسل ..المهملة المنزلة دون حجابها المألوف له تحيط بوجهها ببراءة بالغة.. كل شيء فيها كما يعهده إلا أن ما قطع أوردته وريدا وريدا .. ذاك الشرشف الملقى على كامل جسدها يالله .. هذه الصورة قتل له لامحالة! إزهاق روح..!

فتحت عينها ببطء ودوار لتراه قريبا منها للغاية هل استجاب الله دعائها أم هي تتخيل ..هو ذلك الغامض المتشح بالسواد دائما انصدمت تعرفت علي تفاصيله الغائبة الحاضرة... شعرت بصاعقة نزلت على رأسها شطرته لنصفين وجعلت منه آلاف القطع.. فوق رعيها وخوفها تسلل ألم يسري في عروقها... وجفاف لازم حلقها.. ليعتصرقلها المثقل بالوجع والمرالذي نافس العلقم تعلقت كل الدموع بين أهدابها.. وبين بكائها المر، أنفاسها تتصاعد عانت من غياب أنفاسها..انقطعت ,ثم عادت لها فجأة, وقربه الصارخ من روحها يدنوفي كل لحظة قرب , ارتفعت عينها له ثم غرقت في بكاء مرير.. أراد احتضانها ليدسها خلف أضلعه.. وجعل تلك الدموع تتوقف على صدره..لكنه بدلا من ذلك تقدم لأخرالسرير.. كان يفك قيود قدمها بصمت ..توقفت لوهلة وهي تسترق النظر لتلك الملامح القاسية التي لاتعرفها إلا بسرقة اللحظات .. فتقتلها تلك اللحظات..شرس جداً كماهو.. صامت جدا كما هو .. لكن بتلك اللحظة كان الأقرب لها .. التفتت بذهول لصوت والدها المتعب وهو يستند إلى الباب .. يراها مسجية أمامه بهذا الشكل أشاحت بنظرها عنه ،غصة تمنعها من مجرد رؤيته من ملاقة أعينها .. أو حتي احتمال تنفسه نفس ذلك الهواء الذي تنفسه كره شديد .. كره تشعر به نحوه كره لذلك الأب الذي لا يستحق تلك الكلمة.. نادى والدها ببحة:- " هدى "

لم تجب .. حين اقترب نادر بذلك الصمت يفك قيد يديها انتهت هدى له  
بذهول لازال يسيطر على حواسها حين انتهى ، مد يده لها قائلاً بصوت  
أجش غاضب حازم به بقايا إحساس ما لم تستوعبه :- " تعالي "

مدت يدها له يسندها لتنهض ارتعشت بصدمة لتتوقف يدها وتعود  
فتسحبها .. جذبت الشرشرف عليها بقسوة ما دعاه ليغمض عينيه بألم ،  
مد يده مرة ثانية .. تلك المرة ليحملها .. وحواسها تصرخ .. تصرخ بألم  
.. أُلقت برأسها على صدره بتعب وإنهاك تستمع لذلك الذي يدوي بعنف  
وقوة وبلا انتظام بين أضلعها ، الأمان هو ما شعرت به .. أمان حتى من  
نفسها...ومن كل ما يحيط بها .. من وجع وألم .. وخوف... اقترب والدها  
وهو يقول بغصّة :- " هدى تعالي معي "

نظرت له هدى بعينين متصلبتين لتعاود النظر لنادر بوجهه الغامض  
التعابير لتوميء من بين شهادتها بالنفي التام.. ليتراجع والدها بقهر  
، التقت عيناها وهو ينزل بها الدرج .. شعر بالوجع يدخل إلى حنايا روحه  
وينتزعها...على مهل...يتلذذ في انتزاع تلك الروح الميتة.. منذ زمن بعيد...  
والآن عادت لها الحياة...صورتها الجميلة عادت لترسخ من جديد وتعمق  
جذورها وترويهما بعد الجفاف.. ازدادت جمالا حتى ارتواء الوجع ... خوفها  
ورجفتها رغم كل ما هي فيه أغمض عينيه بأسى يستعيد أنفاسه...نطق  
والدها اسمها..بخوف...فأوجعه الاسم والنداء...لن يدعها تذهب حتى ،  
ولو أرادت إلا أنها أحيت روحه المندثرة حين التفتت له قائلة برجاء حار  
وتلك اللآلئ عاودت الانهمار برجاء قطع نياط قلبه ونثر أوردته وريدا وريدا  
تحت قدمها وفدا لدمعة لامست هدبا من أهداب عينها :- " خذني من  
هنا "

هناك في أعماقنا ركن لا يتوقف فيه المطر ..

أخذ يقطع ممر العيادة ذهاباً وإياباً .. لا يدري بأي قوة استطاع الوصول بها لتلك المستشفى .. كادت نبضاته تتوقف حين غابت عن الوعي مرة أخرى بعد خروجهم من ذلك المكان .. أغمض عينيه بأسى يستعيد أنفاسه.. وضعها برفق علي المقعد الخلفي للسيارة .. خلع معطفه الأسود مدثراً إياها به .. أزاح خصلة من شعرها للخلف ، وعدل حجابها ببطء وألم .. تأمل وجهها بحزن اعتدل ، وهو يغلق الباب بقوة كشفت عن عذابه الداخلي.. التفت ملقياً بعض الأوامر للرجال خلفه ، ثم انطلق بها .. هز رأسه بشجن وتلك الذكرى لاتفارقه .. ذكرى حاول على مدار خمس سنوات محوها من باله وإدراجها غياهب النسيان.. أسعد ذكرياته على الإطلاق

أسعدها وأكثرها جرحاً له ، هل يعقل أن تكون أسعد ذكرياتنا هي سبب عذابنا وشقائنا لأعوام لاحقة ..؟! طيف ابتسامه لاعتبت شفثيه حين انتفضت ردا علي سؤاله الأجهش المتعب :- " أحتاجين مساعدة..؟! "

تطايرت خصلات شعرها الطويلة بلون العسل مع التفاتتها بالظلام، وهي تذكر اسم الله بخوف .. جعله يبتسم مرة ثانية كان يظنها هلاوس حمى .. لكن رد فعلها ذلك بشري للغاية .. ابتسم للمرة العاشرة، وهو يتأمل خوفها وارتباكها وهي تتلفت حولها .. أتى صوتها ليسحره ، وهي تهمس بصوت أبح موسيقي جعل طعنات لا يدري مصدرها .. تتوالى على قلبه ، وهي تقول بخفوت وخوف :- " من هناك ..؟! هل هناك أحد ؟! "

بدا له أنها ترتعش من شدة الخوف .. رأف بحالها فارتفع صوته الأجهش المنهك قليلاً وهو غير قادر علي النهوض من مكانه :- " لا تخافي أنا ... "

إلا أنها قاطعته بصرخة مرعوبة، وهي تهول خارج الغرفة في الظلام اتسعت ابتسامته المنهكة .. لتتحول لتكشيرة حين سمع صرختها

واصطدامها بشيء ما .. ثم اختفى صوتها نهائيا .. تنهد ليعاود رمى رأسه على الوسادة بإرهاق

ليستيقظ مرة أخرى علي شيء بارد حاد يلامس عنقه .. فتح عينيه بسرعة بديهية وتيقظ وحذر ليجد عينين بلون العسل تحدقان في وجهه .. عينان أعطاهما الظلام عمقا مربكا .. خصلات شعرها الحريرية .. تحيط بوجهها ببرائة بالغة ... خوفها وشجاعتهما المزيفة .. أسرتاه .. همست ويدها المثبتة علي عنقه بسكين بارد " أنت لص ..!! "

كانت سذاجتها منعشة .. لكنها أيضا جعلته حانقا .. لما عليها أن تكون بتلك البراءة ... خمن طبعاً أنها إحدى أخوات أسر .. كيف أتت أو لما أتت وكيف لم ينميه أسر لوجودها .. أسئلة لم يكن وقتها الإجابة عليها .. ضيق عينيه بتفكير .. دفعها لتضغط على السكين بغيظ ومزيد من الخوف .. دفع ببسمة لا إراديه إلى شفثيه القاسيتين أجابها بالامبالاة خطرة ولكنة بدوية جذابة :-

" ما تلك السذاجة .. لو كنت لصا .. فماذا أفعل في الفراش ..؟! "

ارتبكت لم تكن تتوقع منه ذلك .. تلك السخرية .. والصلابة واللامبالاة .. توقعته أن يرتعب أن يترجاها لتتركه وفي النهاية تدعه يخرج من الفيلا دون أذى وقد أخافته ..!! لكن إجابته اللامبالية المتهمكة أغضبته فضغطت على النصل بحدة أكبر، كانت يدها ترتعش رغم ذلك .. فكر لثانية واحدة .. إن ترك تلك السكين بيدها قد تنتهي بإصابة نفسها لشدة خوفها، تحرك بسرعة شديدة .. سحبا بقوة فجائية بحيث تماوت على صدره والسكين لازالت بيدها .. مرفوعة فوق رأسهما .. وهو يضغط عليها بجسده محاصرا إياها تحت صدره شهقت بخوف وذعر وحدة .. أخذت تحاربه بقسوة وعنق تحاول جذب ذراعها منه .. حتى ارتفع

السكين لوجهه ليخرج جهته فوق عينيه مباشرة .. ممزقا جزءا من حاجبه .. صرخ بغضب .. لكنها ازدادت رعبا ومقاومة رغم وضعها الضعيف .. لتجرح خده مرة ثانية .. ابتعد بوجهه وصدره قليلا عنها لتشهق بقوة بحثا عن بعض الهواء لتعاود الهجوم .. إلا أنه كبلها بيديه وهو يقول بصوته الأجش الهامس بغضب :- " اهدئي .. "

لكنها ظلت تقاوم بضراوة وشعرها يخفي نصف وجهها شهقت بعنف ، وهي تحول مسار نصل السكين من صدره لصدرها .. ضاغطة بقوة .. تريد إنهاء حياتها.. إلا أنه أوقفها بيدين فولاذيتين ، وهو يسيطر علي اندفاع السكين تجاه صدرها .. نخزه ذراعها بقوة لكنه تجاهل الألم ببرود .. أخذ يتنفس بعنف .. أخيرا سيطر عليها، وإن كانت السكين لازالت بيدها لكن قبضته كانت تمسك تلك اليد بقوة مانعة حركتها .. تلك المجنونة .. بدأت قطرات من الدماء تتساقط من حاجبه على وجهها .. لتتابع انزلاقها تجاه صدرها الذي كان يعلو وينخفض بأنفاس ثائرة متحشجة وخوف وغضب مكتومين .. تسمر مبهورا بجمال اللحظة، اغمضت عينها بشده .. تأمل تلك الأهداب الرائعة المقوسة عالقة بها ندى عينها .. تاه بصره على قطرات من عرق .. تراقصت على جبينها.. لتصل عيناه بذهول ساحر على خصلات شعرها الطويله بلون العسل .. المتناثرة .. الثائرة في كل مكان .. ليحبس أنفاسه بانهار عند شفيتها .. يتأمل ضغطها على شفيتها بقوة .. ثم مدهما للأمام برفض بين لحظة وأخرى .. سحرته .. في تلك اللحظة .. أدرك أنه فقد قلبه وأصبح لها ..! أخذت تنشج بهدوء وقد استسلمت مقاومتها .. حين أتى صوته منخفضا ، ببحه عميقة .. فيها لمحة قسوة بسيطة وهو يقول :- " والآن .. بما نفعتك تلك .. "

وجذب منها السكين الصغير بقوة راميا إياها على أرضية الغرفة ليكمل بقسوة :- " إذا أردت إيذاءك فلن يمنعني شيء كتلك "

حدقت به برعب لتلتمع تلك الأهداب فجأة بلأئى ليتساقط ....رذاذها على ورود وجنتها.. لتدخل بداخل ذلك الصدر.. رماح من حكاية رموش بلون الحلكة.. زادت ضربات قلبه بجنون.. وهو يشتم بصخب رائحة عطرها.. القريب.. والقريب جدا... من أنفاسه ...كأنها أعطته أنفاسها ليتنشقها بعبق رجولته وثقله الدائم .. زادت عيناه غموضا ..ضعيفة هي... (لكنها كمائة فارسٍ أو يزيدون بتلك الأهداب ...!... انخفضت عينها لمستوى صدره...ليستل ذلك الهدب المبلول...شيء ما بأخر نبضه... ناداه ذلك الهدب لمعانقته...لبي النداء ببساطة.. بطبعه قبلة على أهدابها بكل جرأة...جزء من ملوحة الدمع سكنت شفثيه وبللتها بملوحة...ليبلل شفثيه بأطراف لسانه... فيحاول ابتلاع جزء صغير جداً من طعم الملوحة التي أذاقها لها..)

تهمد ليفيق نت شروده الدائم بها عندما خرجت الطبيبه من عندها ووجهها متحفز قليلا ..سألت بصرامة :- " أنت زوجها..!!؟ "

انتابته غصبة استحكمت مشاعره وحزن عميق .. وهو يفيق من شروده ببحر الذكريات .. أوما بلا ظهر الارتباب علي وجهها.. فقاطعها بصوت أجش ، وقد استطاع التحكم بأعصابه ونبضاته بسيطرة فولاذية :-" كيف حالها الآن ..!؟! "

ارتدت الطبيبة لنبرتها العملية وإن تشبعت تلك النبرة بتعاطف واضح وشك أوضح :-" المريضة مصابة بانهيار عصبي حاد ..أعطيتها مهدئا .. ويجب أن تمضي الليلة بالمستشفى تحت المتابعة "

يجب أن يعرف ..:- "هل هناك شيء آخرها...!!؟! "

تمهدت الطبيبة قائلة بهدوء وتساؤل :- " يجب أن تخبرني بما تسأل عنه بصراحة .. لأستطيع إجابتك بصراحة مماثلة "

تمهد وقبضت يده تعصر أعصابه حتى توقفت الدماء عن الوصول إليهما أنزل عينيه عن عيني الطبيبه بألم قائلا بصوت أبح خافت كأن لسانه يرفض التفوه بتلك الكلمات المسمومة :- " هل تم الاعتداء عليها..؟! " "

بهتت الطبيبة وهي تنظر إليه..سألت بصرامة :- " وهل هناك شك بإمكانية حدوث ذلك ؟!! " "

أوما بالإيجاب بحزن ، هزت رأسها بألم وهي تأخذ نفسا عميقا قائلة بصرامة ومهنية :-

" يجب مراجعتها عن طريق طبيب نسائي لتحديد ذلك ..ويجب إبلاغ الشرطة في حالة الشك بذلك كما ينص القانون "

قاطعها بصرامة وهو يقول :- " أنا شرطي .. معك الرائد نادر فهمي بالحاج "

نظرت له الطبيبة الشابة بشك .. فتمهد وهو يخرج البطاقة المدون بها الوظيفة هزت رأسها ، وهي تقول بلهجة عملية :- " سأرسل الطبيب النسائي الآن للكشف عليها "

نظر لها بقوة، وهو يقول بأمر تلك المرة :- " طبيبة "

توقفت عن السير وهي تسأله :- ماذا ..؟! " "

قال بنبرة لا تقبل الجدل :- " طبيبة نسائية "

أومات بالإيجاب .. أعطائها ظهره وهي تغادر، ما إن غادرت .. ضرب  
الجدار بيده بقسوة وألم جلس علي المقعد بنفاذ صبر ونار تشب  
بصدره

\*\*\*\*\*

تنشقت قاهرة بألم وأسندت رأسها على الجدار القريب .. وبيدها  
ضغطت علي الجوال أغمضت عينها..كانت بحاجة لتلك الفسحة بعيدا  
عن أسر ..مرارة ؟؟ وضعف ؟؟ يخترقها كخنجر مسموم ... فتحت عيونها  
بضعف ..وحاولت تجاهل كل شيء فهي قاهرة القوية الشامخة  
الصامدة إلا أنها لم تستطع ،يرفض والدها رؤيتها أو محادثتها وذلك يؤلمها  
.. يقتلها .. يجردها من قوتها وشموخها عادت بخطوات ثقيلة باتجاه  
القسم الذي يمر من عند البوابة الداخلية للمستشفى، وذلك الكائن  
انتابها الغيظ والحق الشديد..استغل صدمتها وتشوشها ..وتبعثرها  
ليخدعها التوت شفيتها بشبه تهكم من نفسها، خدعها ادعائه فقدان  
الذاكرة خدعها، تباطأت خطواتها في الممر قبل الوصول لجناحه " ربما  
لديه تبرير منطقي...!! "ابتسمت بسخرية " أو حتى غير منطقي "

ليبرر ماذا ...؟؟ يبرر خداعا ..! وكذبا ..! ونفاقا..! رفعت رأسها بشموخ  
غاب عنها لفته ..لم يعد الأمر يعنىها كثيرا فتحت الباب بحزم ،وقد  
اتخذت قرارها .. سواء كان فقدان الذاكرة هذا صحيحا أو لا فهي أرضت  
ضميرها بقيت بجواره حتى شفي .. ولا يوجد بيدها ما تقدمه له أكثر من  
هذا ..!! برقت عيناها بإصرار اليوم ستذهب لوالدها .. سواء رفض  
والدها لقاءها أو لا .. لكنها ستجبره أن يستمع لها تفضنت جبهتها المرمرية  
بالقلق والأمل يجب أن يستمع لها ..!! تنهدت بصمت وهي ترفع رأسها  
لتلقي نظرة عليه .. لتتوقف بذهول وتبعثر لا تدري له معني ، توقفت في

صمت ككل مرة تتأمل محياه الرجولي الموجه .. غريب .. لم تعتقد في يوم من الأيام .. بوجود وسامة موجعة وغريبة .. لشخص قليل التهذيب .. نائم بأدب أمامها كما الآن ...!! تداركت تأملها الغريب من صوت الممرضة :- " لقد أعطيته المسكن .. يحتاج للراحة بشدة حتى وإن أنكرها "

تأملته الممرضة هي الأخرى باستغراب قائلة :- " لم أر في حياتي مريضاً مثله .. شرس حتى في مرضه "

التوت شفتا قاهرة بابتسامة شجية .. شرس .. قالت ونسيت ماكر كما الثعالب .. ألقى عليه نظرة أخيرة، وهي تسحب حقيبة يدها بهدوء .. لترحل وقد عزمتم أمرها

\*\*\*\*\*

كوني ....قربي

هذه جل أمنياتي فقط

وضعها على السرير ببطء وحنان مددها بهدوء ولحفها .. جلس علي المقعد بجوارها .. وهو يتهدد .. حبيبته الصغيرة عانت الكثير ..الكثير في غيابه لكنها لن تعاني بعد الآن ..!! طالما به نفس يتنفسه يدرك أن المشوار بعيد وصعب للغاية .. لتعود صغيرته كما كانت يوما .. وكما رآها يوما .. نهض من جوارها ببطء وهدوء ..فهي الآن في أمان ،وهو لن يتخلي عنها أبدا ..أما ذلك الحقيير ... فحسابه سيكون عسيرا للغاية ..وهو يعرف كيف يحطمه ..!! كانت لديه حقائق سابقاً .. لكن الآن لديه الرغبة أيضاً الرغبة في تحطيمه ومحوه عن الوجود نظر لقبضته بهدوء، وقد بدء لونها يتحول للأزرق المحمر .. حاول فرد وثني أصابعه لكنها ألمته .. تنهد بصبر، وهو يتجاهلها ذهب لدورة المياه ليتوضأ .. صلي ركعتين شكرا لله ..

لسلامتها .. لم يستطع ذلك الحقيِر نيل مبتغاه منها ... كأن ماء باردا  
أطفأ نيران صدره .. قبل أن يشب الحريق مدمرا الأخضر واليابس من  
أوردته .. حين طمأنته الطبيبه " إنها سألته.." أنهى صلاته ورفع يديه  
بدعاء وشكر صامت لله

\*\*\*\*\*

فتح عينيه ببطاء صامت .. هدهوء...لاصوتٍ هنا..قطب حاجبيه بقسوة .. "  
أين ذهبت ..!؟"

التوت شفتاه بسخرية مريرة وعيناه تبحثن عن أثرها في الغرفة المظلمة  
نسبياً انتابه الغضب والضيق وهو يشعر بتلك الغمامة التي تشوش  
الرؤية عليه .. زفر بضيق يجب أن يبدأ بإجراءات سفره سريعا فهو لا  
يطيق حالة العجز أو شبه العجز تلك .. لا يستطيع أن يكون عاجزا عن  
فعل شيء ما فما باله بأهم شيء عينيه قطب حاجبيه بحيرة وغضب ..  
حين مر الوقت وهي لم تأت بعد .. " أين ذهبت ..؟ "

زم شفتيه الغليظتين بحنق .. كان يضغط بقسوة عليها حيناً و بمكر  
أحيانا .. عاوده صداع ،بدأ يصبح سمة مميزة لألم عينيه ..اعتدل بنفاز  
صبر لا يقوي علي عدم الحركة يشعر بجسده يشتعل من الضيق ..كان  
يشعر بالنيران تشب في صدره، كلما فكر بخداعها له .. لم يشف غليله  
منها تلاعبه بأعصابها بكل شراسة ومكر .. ما بين رقة وحب وقسوة طيلة  
الشهر الماضي منذ أفاق من غيبوبته وإقامته الجبرية بالمستشفى ...التوت  
شفتاه بقسوة وسخرية، هو يعترف لنفسه بأن أكثر ما يغضبه أنه  
اكتشف أنها حطمت اعتقاده بأنه يأتي أولا ومن بعده الطوفان .. إن أكثر  
ما يغضبه أنه أدرك أنها مهمة لديه .. لايدري متى أصبحت بتلك الأهميه،  
وهذا ما يغضبه أنها تتسلل تحت دفاعاته بسهولة !!! ضغط على الزر

المجاور للسرير، أتت الممرضة التي ابتسمت له بأفتتان لم يخف عليه .. لكنه تجاهله فقد كان بمزاج عكرا لا يحتمل الهزر حاليا .. ليسألها ببرود يناقض البراكين الثائرة بداخله :- " أين قاهرة ..!!؟ "

حين تأخرت في الإجابة لثانية .. رفع لها حاجبه ببرود ونفاذ صبر .. منتظرا إجابتها احمرت وجنتا الممرضة، وهي تقول بارتباك .. فقد تعودت ممازحته لها دائما " السيدة قاهرة .. غادرت المستشفى "

صرخ بغضب أخاف الممرضة الصغيرة :- " ماذا ..!!؟ "

ارتبكت الممرضة :- " لقد طلبت مني أن أخبرك أنها ذهبت لمنزل والدها ولن تعود "

لم يدعها تنهي جملتها ، نهض بعنف من السرير بقدميه الفارعتي الطول، ووجهه الشاحب قليلا نزع المصل المغذي من يده بقوة .. وهو يأمرها بصوت أجش :- " اعطيني قميصا ما "

تقدمت لداخل الغرفة تسأل بتوتر :- " إلي أين تظن نفسك ذاهب سيد أسر ..!!؟ "

لم يجيبها التفت ببطء يبحث عن ملابسه .. جذب بنطلون جينز وهو يتجه للحمام .. صرخ عليها :- " اعطيني قميصا ما ..!!؟ "

تجاهلته وهي تضغط على زر استدعاء الطبيب خرج عاري الصدر يبحث عن قميص بنفاذ صبر وعصبية، وهي تحاول أن تثنيه عما يفعل لكنه كان قد سحب قميصه بقوة وارتداه، سأل بصوت أجش وغضب مكتوم :- " أين أشيائي الخاصة ..!!؟ "

لم تجد الممرضة بد من الرضوخ لتلك النبرة المرعبة ... أشارت علي الدرج الصغير بجوار السرير فتحه بعنف أدى إلي تطاير أغلب الأشياء به إلى الخارج .. انحنى يلتقط المفاتيح والهاتف .. حين شعر بدوار مفاجئ جعله يأخذ نفسا عميقا لينهض بعدها ، وكأن لا شيء به اتجه للخارج حين استوقفه الطبيب القادم بذهول :- "إلي أين تظن نفسك ذاهب ..؟! "

أبعده أسر بغضب ، وهو يقول بسخرية :- " كما ترى ..عائد لمنزلي " همس الطبيب بنبرة حائرة، وقد وصل إلى جواره محاولا مجازات خطواته السريعة ..في محاولة أخيرة أملاها عليه ضميره المهني :- " وتقرير الطبيب النهائي ..؟! "

أتاه الرد مع اختفاء أسرفي المصعد :- " لاجابة لي به "

\*\*\*\*\*

توقفت سيارة الأجرة أمام المنزل لتترجل قاهرة بصمت وحنين للبيت ومن فيه اشتاقت لعبق وجوده " أبي "

اتجهت للداخل ورأسها مرفوع بكبرياء وثقة بأنها تستطيع إصلاح الوضع لم تر أحدا بالهو .. خطت للداخل لتتجه مباشرة إلي حجرة مكتبه العريقة ملاذه الدائم طرقت الباب بأدب وصمتت بشوق .. في انتظار أن يأتيها صوته الرخيم كعادته يدعوها للدخول ومشاركته ما يقرأ أو يكتب في أغلب الأحيان لكن طال انتظارها تنهدت بأسى وهي تفتح المكتب لتراه خاويا منه .. لكنه ممتلئ بكل أثر له ، بخطي وئيدة .. تلمست مقعده الجلدي بحب .. أدارت المقعد لها .. لتجلس بيضاء تستشعر دفئه وحنانه ...فتح الباب بهدوء وأصوات مرحة متناثرة تأتي من خلفه لترفع هي رأسها بأمل لم يدم سوى وهلة واحدة.. ليخبو ذلك الأمل بألم وهي تري شذي

تخطو لغرفة المكتب والمفاجأة تتجلي علي محياها الجميل .. وأحمد الذي تسمر خلفها بذهول وغضب ،التوت شفاتها بأسى والفكرة تراودها بحزن " حتى أنت يا أحمد .. حتى أنت أسأت الظن بي "

تقدمت شذي للداخل بنظرة متوترة قائلة بهدوء يخفي خلفه الكثير من المشاعر المتفاوتة :- " ماذا تفعلين هنا قاهرة ..!!؟ "

ردت قاهرة بثمك خفيف :- " لا يزال بيتي أنا الأخرى شذي حسب ما تأكدت آخر مرة ..!! "

تقدمت شذي للداخل وهي تقول بإحراج :- " بالتأكيد بيتك قاهرة "

أكملت بلوم خفيف :- " أنت تعلمين أني لم أكن أقصد هذا "

تقدم أحمد للداخل دون قدرة على التماسك أكثر فقد كان الغضب يجيش بأعماقه ..متى تزوجتیه ..!!؟ "

ذلك اليوم كانا سويا ولم تذكر له شيئا .. علي مدار الأعوام كانا أقرب الأصدقاء .. من جهتها أصدقاء ومن جهته هو أحياء ..!! الكل يعلم ب حبه لها ،صحيح أنها لم تشجعه يوما ،لكنه كان يظن أنه خجل الأنثى الطبيعي .. جن حين سمع بذلك الخبر .. تقدم منها قانلا بغضب واحتقار :- " وأين زوجك المصون ..!!؟ "

ارتبكت قاهرة إلا أنها قالت بصرامة :- " أحمد أنا لا أسمح لك بمحادثتي هكذا "

إلا أنه أكمل بتساؤل حاقد يخفي أمل وترقب :- " أم أنه اكتفى منك وطرده ..!!؟ "

نهضت قاهرة قائلة بكبرياء مجروح وطعنه لم تتوقعها تتغلغل بثنايا قلبها  
:-" اخرس ..لا يحق لك محادثتي هكذا .."

صرخ بغضب شوه ملامحه اللطيفة :-" وكيف تريدني أن أحادثك ..!!؟"  
رفعت رأسها بشموخ وكبرياء تداري حزنها لسوء ظنه بها وتجريحه إياها ..  
تلمس له الأعذار ..قائلا :-" لست مضطرة للتبرير لك أو لغيرك "

انسحبت شذى بهدوء للخارج تستدعي والدها .. حين رأت الوضع بينهم  
يخرج عن السيطرة، جذبها أحمد من ذراعها بعنف وهو يهمس بألم  
وغضب :-" لمن تبررين إذن ...!!؟ ألا تظنين أن ذلك التبرير حق لي !!؟ "

رفعت رأسها له بقوة قائلة بصرامة :-" من أين لك ذلك الحق ..؟! من  
أعطاه لك..؟! لا أعتقد أنني أعطيته لك يوما ما..؟! "

ابتعد عنها بألم خطوة واحدة ..ألم دخل إلى أضلاع صدره ..قالت " ليس  
لك حق " ليعود وقد أعماه الحقد والغضب والألم ليرفع يده ويهوي بها  
علي وجهها ..!

\*\*\*\*\*

دخل لسيارته صفق الباب بقسوة شديدة رمى الهاتف بلامبالاة غاضبة  
.. بحث عن علبة سجائره .. ليشعل سيجارة .. كما لو لم يكن ما زال بطور  
النقاهاة أخذ نفسا عميقا من السيجارة اللعينة .. يحاول السيطرة على  
غضبه ..لا يدري ما يغضبه لتلك الدرجة ... لكنه كان يدرك أن غضبه ..  
موجه لها .. تريد الهروب من أسره و لم يستحکم حصاره حولها بعد  
!!!..لم يكن وقت تحليل المشاعر بالنسبة له لكنه لم يستطع منع نفسه ..  
ففي لم تخطئ كثيرا .. !!

بل وضعت نفسها بموقف صعب ووافقت على إجراء العملية له وإنقاذ حياته .وإن حدث له شيء .هو متأكد أن الوضع كان سيتحول لعقوبة وربما سجن ..! إذاً هي لم تخطئ سوى بالاستهانة به ! ولذلك انتقم لنفسه منه بتعذيبها شهراً كاملاً حين أفاق ..وانتظارها بجواره عدة أشهر حتى يفيق من غيبوبته إذ لماذا يشعر بالغضب الآن .. لماذا يسعى خلفها..! همس صوت صغير بداخله " لأنك لا تستطيع تركها تذهب .. أنت تحتاجها"

زفرو هو يقود السيارة ببطء بسبب تشوش الرؤية .. أغضبه أكثر وأكثر .. بدا أن كل ما حوله يحفزه علي الغضب حتي أوشك علي الانفجار .. لو يستطيع فقط إظهار مشاعره , لكانت أحرقت الأخضر واليابس .. يشعر أنه ضيرر..عاجز .. فاقد القدرة على التحكم بما حوله ، وذلك يثير جنونه وهي السبب.. هي السبب

أخرجه زنين الهاتف من بعثرة مشاعره القاسية المشتعلة الغاضبة تجاهله أول الأمر .. إلا أنه كان يرن بإلحاح مزعج رمي السيجارة من نافذة سيارته .. تهتد وهو يجيب .. أتى صوته أجشاً مبوحاً من شدة الغضب :-  
" نعم "

ليأتيه صوت نادر الغامض قائلاً بحزم وقوة :- " أسر .. سأزوج هدى اليوم "  
تشوش ذهنه وقطب حاجبه بحيرة .. ماذا يقول ذلك المجنون؟! تهتد أسروهو يكافح غضبه الذي يتزايد :- " نادر أمستيقظ أنت ..!?"

أتاه صمت من الجهة الأخرى .. لم يدم طويلا إذ قطعه نادر بقوله : " حدث الكثير بفترة مرضك .. سأزورك لنتحدث .. لكنني فقط أردت إبلاغك "

أغلق نادر الهاتف بعد مكالمته المقتضبة الغامضة ... التي لم تزد أسر إلا غضبا يبدو أن ثلاثة شهور ما بين غيبوبة وتعافٍ ..نزل بخطوات قوية حاسمة ولا يوجد بذهنه شيء محدد عن أسباب مجيئه ..! فتحت له الخادمة .. دخل بلطف قدر ما يسمح به غضبه سائلا عن قاهرة تقدم عدة خطوات للداخل حين أته صرختها المكتومة اشتعلت عيناه بالغضب توقف خطوة ليميز من أين أتى صوتها ..لينطلق بعدها بتصميم ..فتح الباب بقوة ليجد قاهرة الذاهلة، ويدها علي وجنتها و أحمد أمامها مصدوم مما فعل ،هي نظرة واحدة دفعت بمزيد من الغضب لعروقه إن أمكن ذلك .. لكن تلك المرة كان الغضب مختلفا، كان غضبا لها وليس عليها اتجه إلى أحمد بقسوة وشراسة وتحفز أربع أحمد وأذهل قاهرة الدامعة العينين، ارتفعت وتيرة صوت أسر ..وهو يمسك أحمد بياقته موجه له لكمة صارخا بهدير غاضب :- " أيها الحقير "

أعطاه لكمة ثانية ..غامت بها الرؤية عند أحمد ..ضربها ..كان نائرا بشكل خطير ..رفع يده ينوي بها السقوط على فكه ..حين أوقفت يده الممتدة .. يد ناعمة أحاطت بمعصمه لتسحبه بقوة...! بينما خلص أحمد نفسه منه بصعوبة .. ارتفع بصره ليتوقف على نظرات العيون القاتلة الموجهة من قاهرة... وبوتيرة حادة أنهت الموقف ... قاتلة بصرامة وشموخ وكبرياء :- "غير مسموح لك التدخل بشيء لا يعينك!...!...وغير مسموح لك أن تقلل من احترام هذا المنزل وأصحابه..وغير مسموح لك بأشياء كثيرة تجاوزتها!...."

" وسط معمعة أريد أو لا أريد "

.. ضاعت أجديات ..

( أنا أريد وأنت تريد و"الله" يفعل ما يريد )

حالة من الصمت..لفت المكان... حتى الشبابيك المفتوحة..الهواء الذي كان يحرك الستائر... هو أيضاً...أعلن السكون...! تراجع للخلف بخطوتين صغيرتين ..من تغير موقف الهجوم .. لموقف دفاع..وهو ينتبه ليدها الرقيقة .. تدفع صدره للخلف.. ليتراجع فقط من تأثير الصدمة...؟ ألجمته نظرات عيونها قبل كلماتها لم تلك العيون تبعثره..تشتته .. تفقده صوابه..؟ لم تلك الرموش كما سيوف تتفنن في قتله.. وهي مسلطة عليه بنظرة صعب ترجمتها...أسر بارتباك لحظي وهو يخفي صدمته :-". كان يصفك ..!!"

قاهرة بشموخ " وبأي صفة تتدخل...!!!"

هدر قائلاً بتحدي :- " بأي صفة أتسأليني بأي صفة؟!أتفنع تلك الصفة زوجك "

عم الصمت المكان إلا من أنفاسهما ..بينما تقابلت العيون الغاضبة الهادرة المتحدية سحبت نفسا عميقا .. تعض شفها السفلى غيظا .. وغضبا ..دون قدرة على مواصلة قتال العيون بينهما .. لتخفص هي عينها باستسلام استدارت بصمت تبغي الابتعاد قليلا..لتتنفس ..لتفكر ..لتعيد شحذ همتها ..لترد عليه رد مفحم .. لكن وجود أحمد الغاضب المتفرج منعها ، فهمست بصوت شاحب وهي لا تستطيع النظر إليه : أحمد هلا خرجت وتركتنا بمفردنا

اهتز جسدها قليلا على أثر صفع الباب .. حاولت الابتعاد قليلا عن أسر .وهي تأخذ نفسا عميقا لكنه منعها بقبضة حريية الملمس فولاذية النوايا صوته الحاد والجاف أزعجها... وخشونتته ضربتها بالصميم... " لم تجيبي ..أتفجع تلك الصفة؟! "

ارتفع رأسها بقوة كاذبة وكبرياء .. قائلة :- " ومن أخبرك أنني زوجتك ..إنها خدعة .. "

ارتفعت صوت ضحكته القاسية لتصدمها وعيناه تتألقان بمكر وقسوة :-  
" خدعة "

تحولت لهجته إلى القسوة والشراسة :-" خدعة .. وتظنين أنك ستفلتين منها بتلك البساطة .. "

همس بحقد :-" بتلك السهولة .. "

انطلق غضبه من عقاله .وهو يقترب منها بذبذبات عنيفة صرخت بها كل خلايا جسده حتى أخافتها ، وجعلت رعشة تسري بعمودها الفقري .. اقترب حتى أصبحت ترى مسام وجهه وعينيه اللتين اشتدت زرقتهما .وهو يقول بفحيح هامس :-" تلك الخدعة أعرف بها منذ البداية .. "

برقت عيناه وهو يراقب شفتيها الكرزييتين اللتين ارتعشتا بخوف وصدمة .. جعله يشعر بنشوة خفية .. استطرد :-" لكنك وقعت بشر أعمالك .. انقلب السحر على الساحر "

هزت رأسها بارتباك :-" ماذا لا أفهم قصدك ..؟! "

اقترب بأنفاسه حتى أصبحتا تمران على صفحة وجهها .. بدأت نبضاتها تتسارع لا تدري بخوف أم اشمئزاز أم ....ترقب .. أتت همسته صاعقة :-

" لأوضح لك أكثر .. تلك الخدعة زوجتي العزيزة .. لن تكون مجرد خدعة بل ستتحوّل إلى أمر واقع ... فأنت أمام الجميع زوجتي .. وسيبقى الوضع على ما هو عليه "

أخذ نفسا عميقا، وهو يجاهد تغلغل رائحة عطرها الساحر بمسامه :-  
حتى أقول أنا خلاف ذلك "

قالت بذهول وعدم تصديق وذلك الخافق لايفك عن الخفقان داخل محاجر أضلاعها :- " ماذا .. أأنت مجنون ..؟! لن يحدث هذا على جثتي "

ابتسم ساخرا وهو يقترب منها أكثر .. حتى اصطدمت بالحائط خلفها .. فمد يديه يجلسها داخلهما ... ضاقت أنفاسها بصدرها .. ورغم أنها طويلة إلا أنها اضطرت لرفع رأسها حتى تتلاقى نظراتهما .. حاولت أن تشيح بصرها يمنة أو يسرة .. لكنها لم تستطع الفكك من أسر.. من عينيه .. بدا كأنهما محجوبان خلف جزء من الستائر الكثيفة بالغرفة .. خيم الصمت والهدوء المكان سوى من أنفاسها الخائفة المرتبكة بوجل .. ومن أنفاسه الخشنة الجافة المحملة بالغضب البارد والقوة البدائية التي تشع منه .. قال بتهديد بارد حاقد: " أخطأتي ..!!"

نظرت له بتساؤل خائف .. فأكمل بثقة وتهديد :- " لن يكون على جثتك أنت ... بل على جثة والدك "

كان التهديد مباشرا رغم أنها لم تفهم الصلة فاضطرت للتساؤل بغباء أكثر، وهي حانقة على ذهنها المتوقف عن العمل :- " ماذا .. ما صلة والدي ..؟! "

قال بنفس الهمس الشرس :- " والدك ..الذي أتيت اليوم لتفسير الحقيقة له .. لم يفق بعد من صدمة ادعائك زواجنا بالسر .. لتصدميه اليوم بنفيك ذلك الزواج "

أكمل ببسمة شريرة حين رأى شحوب وجهها :- " تخيلي معي ..صدمته حين يعرف مني أنك كنت عشيقتي ..ولست زوجتي "

شهقت باستنكار وغضب وإحراج لكلماته الجارحة المهينة :- " لن يصدقك ..والدي يثق في "

اتسعت ابتسامته بحقد وهو يرد عليها :- " ربما كان يثق بك سابقا .. لكن ليس بعد كذبتك تلك .. وبذلك الشأن .. ثم ما مبرك لبقائك معي لثلاثة أشهر بالمستشفى إن لم تكوني زوجتي أو عشيقتي ..!!؟ "

قالت بتردد وارتباك وهي مصدومة من تفكيره القذر بذهن غائب :- " أردت الاطمئنان عليك .. "

لمع شيء ما بأعماق عينيه الا انه سخر ببرود رافضا تفسيرها :- " ذلك التبرير لا يقنع طفلة .. فما بالك برجل مثل والدك ..؟! وإن افترضنا أنه صدقك فلماذا بقيت معي بعدما أفقت ..؟! ولم لم تخبريه الحقيقة منذ البداية ..؟! لا أعتقد أنه كان ليمنع أن تأتي لتطمئني علي مريضك .. "

صمت لوهلة ليعود بهكم بارد :- " ترضية لإحساسك بالذنب "

لم تعرف ما تقول له .. كيف تشرح لذلك الجلف البارد المغرور التافه أن خوفها عليه فاق خوفها من غضب والدها لها ..!! أن خوفها من تركه كان أكبر من خوفها من ترك والدها لتلك المدة ..!لمعت عينها بضعف لحظي لينخفض رأسها بحزن و..أنين تشتتت...و..ارتباك مشاعر وتخبط

في بئر من الحيرة.. بعثته كلماته والمعنى المراد بها وأن يظن والدها بها تلك  
الظنون همست بتحدٍ ضعيف بيأس .. ورأسها لازال على انخفاضته :- "   
لن تستطيع فعل هذا بي .. لن تستطيع..!!"

أمال أنامله الباردة على عنقها بانسياب متحديا لها، وهي ترتعش كورق  
هبت نسيمات باردة عليه.. فجعلته يرتعش ! الاحمرار عانق كل أركانها  
ليدفع بابتسامة خبيثة لترتسم ببطء على شفثيه رفع وجهها إليه بلمسة  
بسيطة منه :- " انتبهي لكلامك ولاتقفي أمامي بتحدٍ لأنك بهزة خفيفة  
تخسرين..!!"

صمتت وأعجبه خضوعها .. انحني بجراً وتهور .. هم بتقبيل عنقها  
العاري.. حين أتت طرقة على الباب خلفهم ..للتنفذ مبتعدة عنه هامسة  
بصدمة :- " حقير .. لن تجرؤ ..!!"

فهمس بحقد وبرود :- " راقبيني وأنا أفعل ؟؟ "

ليظهر والدها

\*\*\*\*\*

فتحت عينها ببطء كانت دافئة محاطة برائحة لطيفة أدخلت أنفها مرة  
أخرى بين الوسائد تستنشق بعمق وشعور بالحنين يجتاحها حنين  
مجهول أخذت نفساً عميقاً وهي تتمطي .. تشعر بصداع رهيب .. يا الله  
ياله من كابوس رهيب !!

ذلك الكابوس كان أغرب من الخيال .. نادر أنقذها مرة أخرى .. ابتسمت  
نصف ابتسامه بأسى .. حتي في أحلامها ينقذها .. فتحت عينها على  
اتساعها ، أحلامها انتفضت وهي تعدل بالفراش لينتثر شعرها العسلي

بلا انتظام حول وجهها البريء ، وهي تتأمل الغرفة .. تلك ليست غرفتها  
،ليست غرفة أسر التي قضت بها الأشهر الفائتة .. تلك الغرفة ،أخذت  
نبضات قلبها تتعالى، وضعت يدها على صدرها تسكن ذلك الوجد .. لم  
يكن كابوسا كان حقيقة، الأمس كان حقيقة كذلك .. توقفت الكلمات  
على طرف روحها المهشمة ونادر .. أفيها .. إنقاذه لها .. أغمضت عينها  
بحزن ..بأسى ..بصدمة خجل .. طلبها .. رجاءها له أن يأخذها معه  
حقيقة .

أتت طرقة خافتة لكن حازمة علي الباب لتجعلها تنتفض مرة أخرى ..  
حارت عينها في المكان بفرع لتأتي طرقة أخرى بصوت أعلى يرافقها  
صوته الأجلش :- " أسمحين لي بالدخول؟!!!"

حاولت الإجابة تنحنحت تبحث عن صوتها لترفض .. لتعترض .. لكنها لم  
تجده .. كانت تشعر بالتعب والإرهاك ،بالذعر والمفاجأة ،بالنشوش لتجيب  
بصوت أبح :- " لحظة ..."

تلفتت مرة أخرى حولها .. تسحب حجابها الملقى بجوارها على الوسادة  
وتضعه على رأسها كيفما كان .. همست بصوت مرتجف :-" ادخل "

ارتبكت ويداها تعتصر أصابعها حالما رأت هيئته السوداء الغامضة ..  
لحيته نابثة بعض الشيء .. ووجهه القوي يبدو عليه قليل من تعب  
،غريب هذا الشخص...!! يرسم بعيق أنفاسه حضوره المهيب يجبر من  
يحيط به أو من يتواجد بمكان هو فيه أن تعلق عيناه به ويلتزم الصمت  
والصمت فقط...!! وكأن شموخه يملك المكان بأسره الغريب ، بلعت ريقها  
وهي تخفض عينها بتشتت تبعثره علي الغطاء أمامها حين أتى صوته  
الهادئ الرجولي الرخيم مستفسرا:- " أفضل حالا الآن ..؟!"

ابتلعت ريقها المغموس بشيء يشبه العلقم... هل ذقتم ذلك المرار...! أفضل حالا من متى؟!.. لم تكن يوما بحال أفضل لتكون أفضل منه فيما بعد.. تشعر بأشواك.. أشواك تخزها وتحرق جلدھا.. السرير يؤلمھا.. ملابسھا تكويھا.. أرادت أن تخرج روحھا من جسدها عليها ترتاح.. حتى جسدها يؤلمھا.. في النهاية أمأت بصمت بالإيجاب

تهند وهو يسحب مقعده ليجلس بجوار السرير مواجهها لها يشرف عليها من علو بسبب طوله الفارع إلا أنها لم ترفع عينها إليه , أصبحت كل مشاعرها محصورة بالخجل والإهانة!! لم هو, لم كتب عليها أن لا يراها دوما بأسوأ حالاتها إلا هو؟! ناداها ببيحة:- " هدى

دوما اسمها بين شفثيه يجعل رأسها يرتفع لعينيه باستجابة لا شعورية.. كأن مناداته لها باسمها شيء لا إرادة لها للسيطرة عليه.. تسمرت عينها بأشعة الشمس بعينيه دون إرادة بحيرة وانهار و.....حزن فقال دون تردد دون مواربة دون ربما , دون إحساس بشعورها وعيناه تلمعان برغبة عمرها عمر الزمن :- " تزوجيني..؟"

ماء بارد انسكب على جسدها واشتعل بذات الوقت , شعرت بأنها توقفت تماماً ولم تعد تنبض

أوان قلبها خرج من مكانه ,هرب من قفصها الصدري, أي كلمة ألقاها..نادر...؟!أي وجع..نثر عليه الملح؟! ملامحها المصدومة وعيونها الجاحظة, وجهها الذي انقلب للون آخر قريب من الشحوب.. وصورته الضبابية تعود لها من جديد , وهو يحملها في وضعها الممين بالأمس ,تترجاه مترنحة بجرحها متوسلة له أن يبتعد بها , حاولت التنفس بعمق لكن شحب وجهها واختفي الهواء من حولها أكثر.. ذلك الجرح مازال طرياً ندياً.. كيف له أن يعيد إحياء شيء لم يميت بعد .. كيف يجروء على

غرس النصل بالجرح أكثر من ذلك .. كيف له أن يطلب شيئاً كهذا ؟ من يكون هو ..؟! سيغى عليها , سيغى عليها .. تشبثت بالغطاء بشدة. وهي تحاول تمالك نفسها .. حين أتى صوته يحمل رنة متوترة أمره :- " اسمعيني "

هزت رأسها برفض لاتريد أن تسمع .. لا تريد قال يهدوء قدر إمكانه وإن ظهر العناد بصوته واشتعلت عيناه بألف شمس :- " يجب أن نتزوج إن أردت أن يبتعد عنك نهائياً .. أن يفقد أي أمل بك ألا يعود لمهاجمتك يجب أن نتزوج وأنا كفيل بإبعاده .. "

كانت تهز رأسها برفض يقارب الهستيريا, إلا أن صوته كان يخترق ضباب عقلها بقوة .. حين لم يجد منها رد فعل يشير لتجاوبها مع كلماته نادها بحنين حزين :- " هدى "

توقف رأسها عن الحركة لوهلة بحيرة داخلية .. لم ..؟! لم يناديها دوما بتلك الطريقة ..؟! كأنه يعرفها .. !! لم يناديها بتلك الطريقة التي تعبت بشرايينها وأوردتها بنبضها ..!

هبط بجسده مجاورا السرير علي ركبتيه أمامها ليصل لعينيها المزروعتين بالغطاء .. مد يده بتردد يلمس يدها إلا أنه تراجع بألم حين انكشمت بقوة وعنف قال بصوت أجش وإصرار وقوة :- " سأحميك , أعدك إنني لن أسمح لمخلوق بأذيتك مرة أخرى .. "

توقف لوهلة لتستوعب كلماته . ثم أكمل بيأس غريب عليه :- " لكن ساعديني لأفعل هذا "

تساقطت دمعة فأخرى .. فأخرى بدأت تبكي بخفوت , بخفوت أول الأمر ليتعالى صوت بكائها رويدا رويدا ليمزق أضلعه .. ضلع .. ضلع ونبضة

..نبضة أراد احتضانها بشدة ليزرعها بأقصى أضلعه .. يريد احتضانها ودسها خلف أضلعه لتهدأ روحها هناك .. يكره بكاءها .. فيضان من الوجد ينحر روحه .. لمعت عيناه .. يجب أن تتخذ قرارها .. ويجب أن يكون قرارها بالإيجاب .. لن يسمح لها بغير ذلك .. نهض ببطء ، وهو يقول في محاولة أخيرة :- " أدرك صدمتك وتشوشك .. أدرك كل ذلك , لكن ثقي أن ما أطلبه هو لمصلحتك أنت أولا وقبل أي شيء .."

أعطاه ظهره قائلا بهدوء لا يعبر عما يجيش بداخله أبدا :- " في انتظار قرارك "

اتجه للخارج بثقة وقوة لا تكشف عن عذابه الداخلي وصل للباب حين أتته همستها الناعمة :- " أريد أسر .."

رفع رأسه بصمت وهو يقبض بيده علي الباب الخشبي :- " سيكون عندك اليوم .. لكنني في انتظار قرارك مهما كان "

خرج صافقا الباب بقوة لم يستطع السيطرة عليها ويدها ترتعش من تلك التيارات اللعينة التي تنحر أوردته : تيارات تموج بجسده ، تتناول كل خلية في جسده على حدة لتوغل في وجعه ماعادت .. تلك الطفلة المبتسم لها بذكريات بل أصبحت امرأة محملة بالآهات بخطوات واسعة قاربت للتعثر ألما وصل حتى النافذة الضخمة المطلة على القاهرة الشامخة فتح النافذة يأخذ نفسا عميقا ، سحب الهواء لصدره ثم زفره كرر العملية عدة مرات يحاول أن يهدأ فقد فعل كل ما يستطيع فعله .. طرأت بباله محاولة أخيرة لمعت عيناه بإصرار فلقد طلبت أسر إذن فليأت لها أسر

\*\*\*\*\*

ابتعد أسرع عنها خطوة بعدما رمى كلمته المدمرة لها .. لم يكن هناك وقت لتفكر لكنها أدركت وجوب حماية والدها من مزيد من الألم، مدت يدها بهور تشد قبضة أسر القوية الدافئة، توقفه عما أراد أن يفعل ؛ تكهيب جسده للمستها وشيء آخر أشاع الاضطراب بروحه حين التفت ينظر إليها، وهو يرى تلك النظرة في عينها مستعدة لفعل أي شيء وتقبل أي شيء .. إلا أذية والدها .. !! شعر بالغيرة .. بالغيرة اللامنطقية من والدها .. من يكون ذلك الرجل الذي تحبه تلك القاهرة لذلك الحد .. همس به صوت خافت .. إنه والدها .. لكن مشاعره لم تساعده في تلك اللحظة لتبرير رد فعله العنيف هذا .. تجاه حبهما لوالدها رفع حاجبه بصمت وانتظار وشراسة لتأتي همستها الأجشة، وهي تقول وعيناها تلمعان :- " موافقة، موافقة على ما تريد أرجوك .. إلا أبي "

للأسف لم يشعر بالانتصار فقط بالغيرة، تنهد كل مرة يقابلها يحصل شيء...وهي أوهو.. في مرحلة هجوم على الثاني...! إلا تلك المرة .. فهي تطلب منه العون .. !! حاول أن يتحكم في نبرة صوته لكنه لم يستطع فأوماً لها بصمت ، وهو يلتفت على صوت والدها المتوتر الأجدش وهو يسأل :-" ماذا تفعلان هنا ...؟! "

حاولت القاهرة سحب يدها من أسر والتقدم من والدها .. إلا أن أسر منعها بضغطة على يدها الرقيقة بين أصابعه الفولاذية بقوة .. فهمست القاهرة بحنين :-" أبي "

أشاح والدها بوجهه ، وهو يقول بشموخ أخفى ألمه :-" اخرجنا من منزلي .. فأنتما غير مرحب بكما هنا "

شهقت القاهرة ولمعت عيناها بالدموع .. ألجمتها كلماته الموجعة لصدرها.. لهمس برجاء :-" أبي أرجوك "

تقدم أسر وهو يضع ذراعه على كتف قاهرة بحماية .. ودعم مزيف  
تقززت منه وحاولت الابتعاد عنه إلا أنه منعها بقبضته الفولاذية .. قائلاً  
بهدهوء :- " سيد أحمد .. أعلم أنك غاضب وبشدة .. ويحق لك ذلك "

أخذ نفساً عميقاً وهو ينظر له يدرس رد فعله :- " لكن إن كان هناك من  
أخطأ فهو أنا .. أما قاهرة .. "

اشتدت لهجته وإن كانت لاتزال مشبعة بالاحترام :- " فأنا لا أسمح لأحد  
بإهانتها أو جرحها "

آلتها كلماته الموجهة لصدرها والمدافعة بنفس الوقت عنها .. انخفض  
رأسها بألم ليختبئ وجهها الساحر خلف غيمة من العقيق الأسود .. كيف  
يجتمع الضد؟ كيف يجتمع الوجد ومحبة ذلك الوجد!! ارتفعت عينا  
السليمانى لتقابل عيني أسر ينظر فيهما يبحث عن شيء ما بحكمة .. !!  
فقابلتهما عينا أسر الرماديتان بعزم وقوة وتصميم وحماية لتلك القاهرة  
أكمل أسر حين رأى والدها صامتاً :- " قاهرة يستحيل أن تفعل ما  
يؤذيك ويجرحك وأنت أدري بذلك "

همس والدها والغصة تملؤه :- " لكنها فعلت "

هزت قاهرة رأسها برفض دون قدرة على الكلام ، وهي ترى الألم يتجلى  
بعيني والدها حياً موجعاً ، لكن أسر كان هو من تكلم قائلاً :- " كلا لم  
تفعل ربما أخطأت ، لكنها لم تفعل ما هو خاطئ "

نظر السليمانى له باستغراب وحيرة كانت إجابته محيرة .. " ربما أخطأت  
لكنها لم تفعل ما هو خاطئ "

لانت نبرة أسر وهو يستخدم كلمات قاهرة نفسها وإن أصبغ عليها كذبة أو اثنتين لأداء الغرض منهما :- " كما ترى سيدي .. أنا وقاهرة نحب بعضنا .. "

ألقى قنبلته بهدوء وثبات :- " لكننا لم نتزوج ...!! "

ظهرت الصدمة على وجه السليمانى ، وشحب وجه قاهرة وحاولت الإفلات منه إلا أن قبضته اشتدت على كتفها تؤلمها وتأمرها بالثبات، وهو يكمل بنفس النبرة الهادئة :-

" لم نتزوج .. لكنها اضطرت للكذب في المستشفى لأنني كنت في حالة حرجة، ولم يكن هناك أحد من أهلي للموافقة على إجراء جراحة عاجلة لإنقاذ حياتي وبعدها... "

صمت بأسى مفتعل .. فكرت قاهرة أنه يستحق عليه الأوسكار لبراعة تمثيله :- " اضطرت إلى الاستمرار في تلك الكذبة .. لأن قلبي لم يطاوعها على تركي في الغيبوبة "

أجاب والدها دون إرادة منه جعلت أسر يتهدد بارتياح خفي فقد انطلى عليه الكلام :- " لم أكن لأمنعها عنك إن أخبرتني .. وإن كان غرضك شريفا "

ابتسم أسر بهدوء وهو يشعر بالنصر فقد بدأ يكسب أول معركة له تجاهها :- " أعلم سيدي .. وأخبرتها هذا ، لكن ما حدث كان بالغ السرعة، ولم يعطها وقتا لتفكر... "

ازدادت ابتسامته قوة وحبا .. وتمثيلا :- " وأنا أحمد ربي كل يوم على أنه أكرمني بحب ابنة كابنتك .. عذرا إن كنت وقحا أو جريئا .. لكنني أحبها .. "

وقد أتيت اليوم للاعتذار لك .. لسوء الفهم الذي حدث .. ولأتقدم رسمياً لخطبتها كما تقتضي الأصول .. "

كانت قاهرة مذهولة ببراعته ونذالته وتلاعبه .. حين أرادت هي التفوه بالحقيقة .. أخافها منها والآن حين خرجت من شفثيه ككذبة بدت منطقية للغاية، وحازت على قبول والدها كما تظن..لم تكن متأكدة، لكن من طريقة تساؤل والدها أدركت أنه على وشك القبول بما قاله أسر .. طغى الصمت لدقيقة أو اثنتان أو أكثر حتى أتى صوت والدها حنوناً قويا شامخاً كما اعتادته ينادي لها :- "قاهرة"

رفعت عينها بلهفة وحزن وهي تبتعد عن أسر بسرعة لتلقي بنفسها بين أحضان والدها المفتوحة لها و... بكت بكت لم تعباً بأن أسر يشاهدها تبكي .. لكنها اشتاقت لوالدها اشتاقت لأحضانها .. وحنانه وتفهمه، همست بين أحضانها حين ضمها إليه بحب :- "أنا أسفة أبي "

وقف أسر مذهولاً أمام تلك الدموع .. يشعر بشيء ينحر أوردته حين يرى تلك الأهداب ندية يشعر بالحيرة لمشاعره تجاهها يريد الانتقام منها، يبغضها ولا يريد أن تصغر في أعين الجميع؛ وإن حاك الأكاذيب من أجل أن تخرج بأقل الخسائر تغيرت ملامحه لأخرى حاول أن يكتم الفضول الذي تسرب من صدره ، شيء ما يجذبه نحوها فضول يود استكشافه يحيط بها.. فضول ..!!! غيمة مرت بعينيه الرماديتين .. حين أدرك أنه يريدتها .. !!

يقول شكسبير:

تحبني أو تكرهني جميعها مفضلة لدي

إذا كنت تحبني سأكون دائما في قلبك ♥ وإذا كنت تكرهني سأكون دائما على بالك!..

\*\*\*\*\*

ارتفع هاتف أسر بالرنين.. تجاهله أول الأمر فهو لازال مسحورا بذلك المشهد لقاهرة في أحضان والدها: لكنه اضطر أن يجيب حين اتضح له إلحاح المتصل رفع الهاتف لأذنه بشيء من نفاذ الصبر، وهو ينأى بعيدا عن ذلك المشهد الأسر تكلم بهدوء وصوت خفيض :- " نعم "

" أسر تعال حالا !.. "

صدم أسر وهو يتعرف علي صوت نادر .. كيف له أن ينسى القنبلة التي ألقتها نادر في وجهه منذ قليل !.. يا الله يبدو كما لو أن دهرا مر وليس بضعة ساعات فقط نظر أسر بغموض لتلك القاهرة التي أخذت تبتسم .وهي تكفكف دمعها بقميص والدها بطفولية سحرته ليجيب بغصة لا يدري مصدرها :- " حسنا إعطى نصف ساعة وأكون عندك.. "

أتى صوت نادر بهدوء :- " أسر أحتاج مساعدتك .. "

لم يكن لدي أسر وقت للتفكير .. فحين يطلب نادر مساعدته فهذا يدل على أنه شيء مهول فكر بقلق وهو شيء يتعلق بأخته .. هدى .. يبدو أنه أهمل أختيه كثيرا .. لم يشفع لنفسه إن كان هذا دون إرادة منه .. ضغط على الهاتف بقهر، وهو يقول بصوت قاطع :- " أنا في طريقى إليك "

هم بإغلاق الهاتف حين سأله أسر بسرعة :- " نادر .. في المكان المعتاد...؟! "

" نعم "

تردد أسرع على غير العادة :- " هدى معك "

صمت نادر لوهلة ارتفع بها نبض أسر بقلق لكن نادر أجابه بهدوء وعزم :-  
" نعم "

فقط تلك الكلمة القاطعة كعادته تهدد أسر، وهو يقول بقلق لم يستطع إخفاءه :- " أنا في طريقى إليك "

أغلق الهاتف، وهو يتجه للسليمانى ونظراته لا تفارق تلك التى عاد إليها رونقها ولمعت عيناها ببريق القوة الذى يعرفه .. شيء بنيضه اختل للحظة، وهو يشعر بسرور خفى لكبريائها .. مشاعره كانت تحيره بشدة وقسوة تهدد وهو يرى نظرة السليمانى المتسائلة له اقترب منهما بخطوات هادئة متحفزة جعلت قاهرة تتوتر .. وهي تلتصق بأضلع والدها بدون شعور حين أتى صوته الهادئ :- " عمى .. "

رفع السليمانى حاجبه استجابة للنداء بقليل من استنكار وشموخ . فقال أسر بقلب بدأ يشعر به مثقل بالهموم :- " أتسمح لى بمناداتك عمى "

خفض السليمانى عينيه لقاهرة التى ترفض أن تبعد عنه أو ترفع بصرها لذلك الأسر الذى سبب لها اضطرابا لا مبرر بنبضات قلبها لتلك النبذة التى تحدث بها .. تشعر أن هناك شيئا ما علي غير مايرام .. قلبها يشعر بهذا .. وبخت نفسها .. أيتها الحمقاء .. انتفض قلبك لنبذة صوته بينما هو ....توقف تفكيرها حين أوماً له السليمانى، وهو لا زال يشعر ببعض التحفز بشأنه رغم كل المبررات التى ساقها ورغم منطقية أغلبها إلا أنه لم يكن ساذجا ليدرك أن هناك شيئا ما لا زال يخفي عليه ، أكمل أسر وعيناه مع تلك المتشاغلة عنه بزر قميص والدها وهي تختبئ أكثر وأكثر بضلع والدها .. التوت شفتاه ببسمة .. فأين قد تختبئ منه بعد..؟

قال بهدوء :- " أنا مضطر للمغادرة ..لكننى سأعود ليلا إذا سمحت لي ..  
هناك الكثير أريد قوله .. وأيضاً للاتفاق على ميعاد الزفاف وخلافه "

ارتفعت عيناها له بصدمة .. جاهاها بسخرية وتحدي غضبت بصرها بقلق في  
حين أوما السليمانى بالموافقة :- " حسنا نحن في انتظارك .."

وشدد علي بقية جملته :- " أنت والعائلة علي العشاء "

توترت نظرات أسر لكن لم يهتز له رمش وهو يجيب :- " بالطبع "

نظر لقاهرة ثم للسليمانى ليقول بود يخفي خلفه إرادة حديدية :- " عمي  
..هل تأذن لي بالبقاء قليلا مع قاهرة "

حين رأى الاعتراض على وجهه قال بسرعة :- " فقط خمس دقائق "

نظر السليمانى له برفض إلا أنه تنهد بحكمة وهو يجيب :- " فقط خمس  
دقائق أسر "

أوما أسر بهدوء ،والسليمانى يبتعد عن قاهرة المتشبهة به بطفولية  
ليخرج ..عم الصمت المكان .. كان يشعر بالتعب والقلق يشعر بمزيج  
مخيف من المشاعر لا يستطيع تركها بعيدا عنه .. !! أيا كانت أسبابه  
ومبرراته انتقام ..عناد ..رغبة فليكن!! ستبقى معه .. إلى أن يمل منها  
..يشك كثيرا أن يمل ،لكن سخر من نفسه وصمت لن يحاول اليوم دونا  
عن كل الأيام تحليل تناقضاته ..! فهو يشعر بالإرهاك ..والتعب .. ناداها  
بصوت هادئ جعلها ترفع رأسها بتوجس التقت العينان لتقطب حاجبها  
باستغراب ..يببدو حارت بإيجاد التعبير الملائم ..يببدو .. !! يبدو هادئا  
مسالما على غير العادة حزينا قليلا ..!رقت ملامحها بلهفة مؤلمة إلا أنها  
حين تذكرت تهديده لها .. وابتزازه ..لمعت عيناها بالنفور منه التوت

شفتاه بسخرية..فهو يدرك أنها تبغضه ..وربما بعد اليوم فاق بغضها له  
أضعافا مضاعفة نغزه قلبه بإحساس مجهول .. تجاهله .. قال بصوت  
صارم يحمل التهديد بين طياته :- " مضطر للمغادرة لكنني لا أريد لك أن  
تنسي اتفاقنا .. فمازال بإمكانى بكلمة أو اثنتين أن أدمر والدك وسمعته  
وحبه لك "

اقترب منها بشكل خطر ،وهي تحدق بعينه بثبات وحقده..لفحت أنفاسه  
وجهبها وهو يهمس بهدوء أشد وقعا من عاصفة:- " تذكرى هذا جيدا "  
لمع الكره بالعينين العقيقتين وهي تنطق بنفس الهمس :- " حقير "

كان يوشك على المغادرة حين أتته همستها .. فعاد لها بخطواته الفارعة  
بغفلة منها..! و تيقظ دائم منه..! ليحكم قبضته على أناملها.. فتتألم  
بشدة.. ليقول بتهكم :- " لا تستفزني صغيرتي ..فأنت بحاجة لدهور  
لمجرد مجاراتى إن أردت تحطيمك "

رفع أناملها له.. وهو يضغط عليهم بقسوة ..يريد ترك أثرا دائما بها حتى لا  
تنسى أنه مر بحياتها يوما ..كانت تخرج أسوأ ما به وأجمل ما به ..تثير  
غيطه وحنقه همست قاهرة بألم :- " اترك أصابعى ستكسرهما .."

رفع أناملها حتى وصلت لشفتيه .. قبلها ...وبنبرة هادئة لكن مشتعلة  
أكمل وعيناه بعينها :- " حاولي إهانتى مرة أخرى بهذا الشكل وسترين ما  
سأفعل ..!"

من ثم تركها وخرج.

\*\*\*\*\*

تهددت بعمق وهي تستنشق رائحة الريحان التي ملأت الغرفة .. تهدت بصبر كعادتها .. تبحث عن أنفاسها .. لم تدر ما دفعها لدخول غرفته ..؟! لكنه شيء أقوى منها .. مر الشتاء .. وأتى الربيع .. وهو لم يعد بعد ..؟! لا تستطيع أن تنسى ذلك اليوم .. مر عليه شهر ..!! عينيه .. تلك الغابة السوداء .. كان بها غموض .. وأشياء أخرى لم تفهمها !! كانت الحجرة صامتة ساكنة .. يغمرها الظلام سوى من شعاع ضوء يأتي من أسفل الباب .. لكنها كانت تشعر بإحساس غريب أنها مألوفة لها .. مألوفة لها رائحتها .. عبق أنفاسه بها .. منفضة بها بقايا رماد وعقب سيجارة محترقة .. ذلك السرير الصغير نسبيا .. الطاولة بجواره المرصوفة كتب .. زجاجة مياه وحذاء عالي الرقبة ملقى بإهمال بجوار الباب .. غرفة رجولية بحثة .. لا شيء فيها يشير للمسة أنثوية .. تقدمت بوجل تجلس على السرير .. ويدها تتلمسان الغطاء الصوفي بدفء ولاوعي .. ليخالطها إحساس غريب .. كأنها تنتهك شيئا ما ... كأنها تأثم .. رفعت يدها ببطء ورجفة .. تعيد خصلة شعر وهمية للخلف .. نظرت للأباجورة الصغيرة بجوارها .. ومدت يدها بشروود تنيرها .. تأملت عينها الغرفة بحنين لشيء مجهول .. , بالله!! كيف لهذا الحنين أن يصمت .. ولدقات القلب أن تهدأ .. باتت بين حين وآخر .. كقرع طبول .. هي دقاته .. حتماً .. سيسمعها!! من ينصت ..!! لم دخلت غرفته .. لم ..؟! سؤال كان يطالبها بإجابة لم تكن تملكها .. لم ..؟! دوما تشعر بذلك الاندفاع الغامض له .. والحنين .. رحل .. كما علمت من نائل .. رحل .. كما أخبرها .. رحل ولن يعود ..!! استشاطت غضبا منه .. كيف ..؟! كيف له أن يرحل ..؟! كيف له أن يترك أمه وأخواته .. كيف له أن يتركها ..؟! انتفضت بعنف .. ماذا ..؟! كلا .. كلا من تكون هي ليتها ..؟! بل من يكون هو ليتها ..؟! نهضت من مكانها فجأة بذعر وهي تتجه للخروج من الغرفة قبل أن تظن لها ريم إلا أن بصرها وقع على مفكرته السوداء .. وانتابها الفضول .. كعادتها تجاهه .. لمستها

بشيء من التردد والفضول تجولت أصابعها عليها بارتعاشة قلب .. لتبتعد  
أصابعها بذعر كأنها كانت تلامسه هو ..! وجف قلبها..وجف ..تلامسه هو  
..تلامس وجهه وعينيه ذقنه النامية .. وشعره الحالك السواد .. تتوه  
عينها بملامحه القاسية ..الغامضة ... مدت يدها مرة أخرى لا شعوريا  
تختطف المفكرة .. بلهفة .. لتعود للجلوس علي السرير الوثير تغوص بين  
حنايا الريحان .. تنهل منها .. وهي تفتح الصفحات البيضاء بعمق بفضول  
.. بأسى .. كأنها تدخل إلى عالمه السري الغامض الذي أحاط نفسه به  
بعيدا عنها .. كانت أولى الصفحات بيضاء لا اسم هناك مكتوب .. ولا  
شيء يدل علي صاحبها .. فقط تلك الجملة

" من المؤلم أن نمضي كثيرا من الوقت في محاولة فهم الآخر، في الوقت  
الذي ننسى فيه فهم أنفسنا! "

ابتسمت بشجن .. حتي مفكرته غامضة مثله .. ترفض أن تكون صريحة  
.. أو واضحة .. أو بسيطة كصاحبها أصابتها قشعريرة .. تركت المفكرة  
كالمسوعة وهربت خارجة من الغرفة وهي تدفع بشعرها للخلف .. بتوتر ..  
ليقابلها نائل المبتسم بود وألفه لها .. قائلا :- " أه .. أين كنت ..فقد بحثت  
عنك في كل مكان .. "

لم تجبه سوى بإطراق رأسها بارتباك ..تفكر في شيء ما لقوله .. لكنه  
صرف نظر عن السؤال بخلو بال قائلا :- " هيا بنا لقد إعدت ريم  
السفرة"

ابتسمت بارتباك وهي تتجه معه لغرفة المعيشة متممة بعذرها ...كانت  
صداقتها لريم ..قد تعمقت كثيرا وقرب نائل منها زاد كثيرا.. خاصة بعد  
رحيل محمود .. إذ أصبح نائل أكثر تواجدا بالمنزل بحكم تواجد ريم  
بمفردها أغلب الوقت ..فكان نائل يخرج ويعود في أوقات معروفة .. لا

يتعدى السهر خارجاً التاسعة مساءً وأغلب الأوقات كان يعود ليجد شادن تذاكر مع ريم .. كان يولمها الكثير من الاهتمام والعناية .. وكانت شادن فرحة بذلك للغاية .. حاولت أن تطرد الجنون اللحظي الذي سيطر عليها منذ قليل ودفعها لاقترام عرين الأسد .. لم تع سوى على صرخة ريم بحبور :- " محمود "

شحب وجهها وانتفضت ووجف قلبها كأنها ضببت متلبسة بجرم ما ..؟ لم لم تنتبه للريحان الذي طغى على المكان ..!!؟؟ نهض نائل مرحبا بينما .. هي لم تستطع السيطرة على ركبتيها المرتجفتين أخذت تهمس لنفسها ما بك يا حمقاء ..! انهضى يا حمقاء!! لكن لم تجد في نفسها القدرة على النهوض أو رفع رأسها حتى .. صمت .. طغي الصمت على المكان بتوتر بعد زوبعة التحايا بينه وبين أخوته!! ما اضطرها لرفع بصرها للأعلى.. ليس للأعلى كثيرا فقط لترى تلك القامة المديدة المتشحة بالسواد ، أين ذهب كل من ريم ونائل .. ألم يكونا هنا منذ قليل ..!! هل تاهت أفكارها بحيث لم تدر متي غادرا الغرفة، كأن القدر يأبى إلا أن ينفردا .. على غير رغبة منهما ..! لم تسمح لعينيها بالتجول علي ملامحه.. بل تعدته تبحث عن نائل أوري م ..! لكنها لم تجدهما أصغت السمع إلى هرجهما بالمطبخ .. يجب أن تقول شيئا .. يجب أن تنهض .. أن ترحب به .. لكنها لم تفعل .. فقط ظلت صامتة أتى صوته بالصمت المطبق :- " كيف حالك شادن ..!؟! "

يا الله كم افتقدت تلك النبرة .. مضطرة أن تنظر لعينيها، ابتسمت وعيناها تتوهان بملامح وجهه دون تركيز ترفض اصطدام نظراتهما لا تدرى لم ..؟؟!! همست بصوت أبح :- " بخير "

بدا أنه استقر علي المقعد العريض أمامها عادت ريم لتتعلق بعنقه كطفلة صغيرة عاد أביها بعد طول سفر .. عاد نائل أيضا .. وهو ينظر

لشادن بتعبير غريب في عينيه .. لكنها لم تكن تعي نظراته .. عاد الحديث إلى طبيعته .. لكنها كانت تشعر بعزلة عنهم .. طنين بأذنها .. طنين لا تميز منه سوى إجاباته المختصرة المقتضبة التي يلقيها على ريم .. بينما خرج نائل بسرعة استجابة لطلب محمود لجلب شيء ما من الخارج ، بضع دقائق أو ساعات أو ثوان لاتدرى عددها .. ونهضت ريم هي الأخرى لجلب شيء ما لا تدري أيضا ماهو ..!! صمت وهدوء .. يطغى علي المكان سوى من أنفاس هادئة .. وفجأة انطفأت الأنوار .. انتفضت ببطء حين أتى صوت ريم من المطبخ :-" يبدو أن الكهرباء انقطعت عن المنطقة كلها..!!"

كان هناك شيء ما خاطئ في صوت ريم ..رنة خبيثة مرحة لم تعيرها انتباها .. ! عاودت الجلوس بمقعدها بينما لم تبدر أى حركة من ذلك الساكن أمامها .. كان يصلها صوت ريم وهي تدندن بالمطبخ أغنية ما .. مالت للخلف بهدوء تريح رأسها مغمضة عينها بحزن ، اليوم عيد ميلادها، دمعة طفرت من عينها بأسي على حالها بدأ صوت ريم يخفت ..والهدوء والسكينة يطفغان على حواسها ..رائحة الريحان جعلتها تبتسم بسمة بسيطة ..يبدو أنها أدمنت الريحان ..طغى الصمت مرة أخرى .. صوت اشتعال عود كبريت .. جعلها تنتفض لترفع عينها فجأة لتؤسر داخل الغابة المظلمة المسماة عينيه.. بدا كأن سحرا ما لفهما ..وعود الكبريت استحال إلى رماد ليسقط عند قدميه بلامبالاة..الأنفاس ضاقت ..اختفت ..هربت منها .. نهض ببطء .. ليقترب منها فهضت بتوتر .. بدا على وجهه التعب .. الظلال السوداء دائما تحيط بعينه .. لكن بهاء بريقهما يطغى على أي شيء وكل شيء، توقف على بعد خطوة منها ..أسير لشيء ما ..نظر لشعرها الذي عاد لطبيعته الثائرة .. والتوت شفتاه بابتسامة غريبة جعلتها تنسى نبضات قلبها ودقاته.. شعرت بدفء أنفاسه يبعثر غرتها عن جبينها .. ووجهه يدنو أكثر .. دائرة من السحر تلقهما ..

لتنظر إليه فاقدة القدرة على النطق .. وكأن الهواء قد ولى هاربا .. تاركا لها أنفاسه .. لتستنشقها بذهول وجوده ..! صوته كان أجسا و عيناه تلمعان .. فيما همس :- " اشتقت لك ..؟! "

\*\*\*\*\*

..الحنن..

هو أن تجبرني الصدمات على الصمت... فأصمت ... ويبقى الألم ينهش ما تبقى من روجي المعلقة !!

وصل أسر بعدما تخطى الحرس المحاطين لبيت عائلته القديم والذي أصر نادر علي شرائه .. حين عرضه والده للبيع بحجة عدم الحاجة إليه بعدما انتقلا لفيلا أحدث .. كان يدرك سبب تعلق نادر بذلك البيت وفي أعماقه شكره لأنه هو من اشتراه وأبقى عليه .. ذلك البيت هو المكان الوحيد الذي كان يشعر فيه بعقب العائلة الذي ضاع مع وفاة والدته وزواج هدى ، طرق الباب ليفتح بعد ثاني طرقة، وقف الصديقان ينظر كل منهما للأخر نظرات تحمل الكثير .. تعانق الصديقان بود وحب وجدية، قال أسر بجديّة وقلق :- " أين هي ماذا حدث ..؟! "

لم يكن هناك الكثير من الأسرار بينهما أجاب نادر بهدوء :- " نائمة "

توترت نظرة أسر بقلق واستغراب ، إنه يثق في نادر بروحه لكن ما يحدث حوله أكبر من استيعابه هتف أسر بجدة وتساؤل :- " نادر..؟! "

خفض نادر رأسه بهم لوهلة فقط .. لترتفع عيناه بثقة وإصرار وهو يقول له :- " تعال معي .. هناك الكثير الذي تحتاج معرفته "

وجف قلب أسر .. نبرة نادر لا تبشر بالخير أبدا .. توجهها لحجرة المكتب بهدوء، صب له نادر فنجان قهوة فورية، وهو يجلس بجواره نظر لعينيه وهو يتحدث بهدوء ولهجة قاطعة :- " أسر أريد منك أن تقنع هدى بالزواج مني "

انفعل أسر بضيق :- " نادر .. أجننت يا رجل أنت تعلم أنها على ذمة رجل ثاني "

قال نادر بكلمات قاطعة :- " لم تعد "

همس بذهول :- " ماذا...؟؟ متى ...كيف ..؟؟ "

بدأ الحديث بهدوء وثقل .. :- وأنت بالمستشفى أثناء غيابتك .. "

انفعل نادر بغضب وهو يسأل بإصرار :- لم .. لم أسر لم أخبرتي أنها سعيدة ..؟! لم حين سألتك عنها أخبرتي أنها سعيدة ..؟! مروان الوغد كان يضربها "

ارتعش أسر والصدمة تتجلى على وجهه بينما همس بشحوب :- ماذا ..؟ هي لم تقل شيئا أبدا .. أنت تعلم مثلي أنني لم أفهم أبدا سر زواجها منه .. تعلم أنني غضبت وثرث .. وتركت المنزل .. لكنني في النهاية وصلت لقناعة أنه اختيارها الشخصي فصمت "

شحب وجه نادر عند سماعه ذلك ، شدد من قبضته علي مسند المقعد يخفي غضبه وحزنه .. اختارت مروان وتركته .. كيف تفعل ذلك كيف ..؟! سأل أسر بصوت متحشرج أجش من قوة الغضب والأسى والحزن والقهر :- أتدرك أنها لا تتذكرني ..؟! "

تلون صوت نادر بالمرارة وهو يكمل :- لا تعرف من أنا ..؟! "

شحب وجه أسر بذهول وهو همس :- كيف ؟؟

أجاب نادر بواقعية :- فقدان ذاكرة انتقائي نتيجة لصدمة نفسية شديدة  
كانت الصدمات تتوالى على أسر الذي قال بعدم استيعاب :- ماذا ..  
فقدان ذاكرة انتقائي ..!

كانت النظرة على وجه نادر تخبره أن الموضوع لازال يحمل بجعبته أكثر  
من هذا .. همس بتحشج " أين هي ..؟ "

قال نادر بهدوء :- في الأعلى

نهض أسر يصعد الدرج درجتين درجتين بسرعة قصوى .. حتى وصل  
لغرفتها.. توقف قليلا بتردد .. أخيرا تجرأ ومد يدا ترتعش ليفتح الباب  
بهدوء ، كانت نائمة بكل براءة ووداعة علي السرير .. وجهها يبدو ذابلا  
وشعرها منتثر حول وجهها .. طفرت دمعة من عينيه .. وهو يتقدم للداخل  
وقف نادر علي الباب لوهلة بسيطة بعدما لحق بأسر وحين اقترب أسر  
من السرير أغلق الباب خلفه بهدوء وأسى انحنى بجوار سريرها عند يديها  
يقبلها ، أخته منذ متى وهي تعاني مع ذلك المخبول ..؟! منذ متى ..؟! دعا  
بصمت وقهر فليسامحك الله يا أبى ..لم يجرؤ بالدعوة عليه .. فدعا له  
بحرقه فليسامحه الله على ما فعل بهم ..! حزن لا يستطيع الفكك منه.

منذ متى وهي تعاني ..؟ أسند رأسه بألم والصداع يجتاحه بقوة، عيناه  
تؤلمه بقسوة، وكل ذلك الضغط العصبي يؤثر عليه..أغمض عينيه  
يضغط بجبهته على يدها بألم وقهر، فتحت عينها على ذلك الجالس  
علي ركبتيه عند يدها ..لتظفر عينها بالدموع في صمت حتى شعرت أنها  
على وشك الاختناق فشهقت بألم لم تعد تستطيع كبحه لينهض جاذبا  
إياها إلي أحضانه

نطق بها لسانه .. بعدما مرت علي قلبه المشتعل لتفتته .. نار بصدرة .. نار  
تشب بين أضلعه .. لا يعلم السبيل لإطفائها " أأأأأأأأأأأأ يا هدى "

أخذ بكأؤها يتعالى للوجع بصوته دفنت وجهها في صدره وهي تصرخ بكل  
الألم الذي اختزنته سنين عمرها كله غرس أسر رأسها في صدره أكثر،  
والدموع تملأ عينيه وهو يقسم بوحشية :- " أقسم لك .. أقسم أن أفنيه  
بيدي هاتين أقسم "

ازداد نשיجها وبكأؤها .. حتى وصل لذلك المتوتر خارج الغرفة .. كان قلقه  
عليها يعبث بأوردته .. أراد إخراج أسر من عندها .. أراد أن يكون هو من  
يحتضنها .. من يواسيها .. من يتشرب جسده دموعها .. لكنه وقف بدون  
حيلة خارجا !! قبل أن يتهد ويبتعد ليترك لهما الخلوة التي يحتاجان  
إليها ، احتضنها أسر بشدة ليدفنها في أقصى أضلعه وزاد بكأؤها .. لو تحكى  
له .. فقط لو تخبره .. بكل نبضة وجع عانت منه بكل ونة ألم مرت بها ..  
بكل !! توقفت عن التفكير بألمها فلن تكفي مفردات اللغة لتعبر له عن  
ألمها ووجعها مهانتها وحزنها ، ربت بيده علي شعرها وهو يقول بصوت  
أجش يحاول أن يداري غضبه عنها .. وتوتره .. ورغبته في القتل .. حتي لا  
يخيفها :- " احكي لي .. أريد أن أعرف كل شيء .. "

خانه صوته .. وهو يكمل بقسوة :- " كل شيء يا هدى .. لا تخفى عني  
شيئا .. !"

هزت رأسها بالرفض وهي تخفى وجهها بصدرة أكثر وأكثر ماذا تحكي له !!  
تحكي له عن اغتصابها .. عن هوانها وذلها .. عن سجنها وحبسها وتعذيبها  
عن ... صممت إلا أنه رفع رأسها له .. ثبت عينيه بعينها وهو يقول لها

بصرامة حنونة :- " لاسبيل أمامك للرفض يجب أن أعلم كل شيء ,كل شيء وأهم شيء كيف ..كيف وافقتي من البداية على الزواج منه ..؟! " شدد على حروفه وهو يضغط بدون شعور على وجهها بين أنامله :- " منذ البداية هدى .."

عاودت البكاء وهي تبعد عينيها عن عينيه..ماذا تخبره؟!شدت علي قميصه..وهي تهمس بوجع :- " لا أستطيع ..أسر لا تجبرني أرجوك .."

بدأت تعاودها الهستيريا وصوتها يعلو :- " لا أستطيع ..!"

همس بثقة وعيناه تلمعان بقطرات علقت بأهدابه ترفض الهبوط :- " أدرك أن والدي أجبرك ..لكن كيف ..!؟"

هدى أقسم إن لم تخبريني لن أكون مسئولاً عن تصرفاتي .. سأخرج من هنا لأقتله "

شبهت وهي تنظر له بفرح كل ما حدث لها .. كل ما تحملته كان حتى لا يصل أسر لتلك النقطة كل ذلك العذاب مستعدة لتحمله أضعاف مضاعفة وأسريظل بخير شدد علي قميصه بفرح وهي تصرخ بهستيريا :- " كلا .. كلا أرجوك "

نفذ يدها بشراسة عن قميصه وفكرة واحدة برأسه ألا وهي قتل ذلك الحقير مروان صرخ بتوتر :- " إذن إخباري .."

أخذ بكاؤها يشتد وهي تصرخ دون وعي :- " بما يفيد إخبارك .. فما سأخبرك به لن يؤدي إلا لضیاع مستقبلك "

صرخت بحرقه " لم أتحمل كل ما تحملت لتأتى أنت في النهاية وتصل  
لنفس الطريق الذي أردت إبعادك عنه ..تحملت كل ما فعلاه..هو وأب.."

صرخت وهي تقبض بيديها الصغيرتين علي موضع قلبها بألم :- " أتريدنى  
أن أخبرك ..!؟

لم تكن بوعمها .. وصلت لمرحلة الهذيان وأسر تسمر في مكانه .. " أتريدنى  
أن أخبرك .. "

صرخت مرة أخرى :- " أخبرك بماذا ..!؟ أخبرك باغتصابه لى ،ذلك الذي  
لم يشفع لى عنده أنني ابنة عمه ..أخبرك عن أبي حين...

كانت الكلمات تخرج منها متقطعة لاهثة متألمة :- " عاد و.. و...جدنى ...  
بين الحياة ....و ... الموت وكان رد فعله .. آااه ...رفض حتى أن يأخذنى  
للمستشفى خوفاً من الفضيحة "

انخفض صوتها قليلا بإنهاك وإن لم تختف منه نبرة الهستيريا :-

" أخبرك أن أبي طلب مني أن أصمت .. وأقبل بتلك الزيجة ذات المنافع  
الكثيرة .. فأنا تدمرت على أية حال ، ومن الأفضل أن نستفيد مما حصل  
.. أخبرك بهديده لي أنني سأكون السبب في تدمير مستقبلك إن علمت بما  
حدث لى ،أخبرك أن والدى أجبرني على الصمت..أن أمي ماتت قهرا على  
ابنتها ..بتعذيبه لي كل ليلة بهوسه .. بجبسي .. بخوفي حتى من الدمعة..  
ومن الذكرى.. من الألم أو السعادة من التعبير .. حتى لا يشعر هو أنني  
حية فيغتالني.. أخبرك بماذا ...!؟أسر "

وانهارت ببكاء عنيف ..تبكى ..حياتها..وأمرها وأبيها تبكي ذكرى ما يؤلم قلبها  
أنها لا تتذكرها ..! الصمت كان سيد الموقف لكنه لم يدم كثيرا ..خرج من

الغرفة كالاعصار..وقد طار كل تعقل كان لديه يوما ..لم يكن يرى أمامه من القهر والألم والحزن .. فتح الباب بعنف وهدف واحد أمامه أن يقتل مروان ، أسرع خلفه بفرع تغالب دوارها لا تعي بمظهرها ..وهي ترتدي بيجامة ما وشعرها منتثر حول وجهها :- "أسر ... أرجوك "

وصلت له لتتشبث بيديه بأقصى ما تستطيع من قوة متهالكة تهتف برجاء حار:- " أخي ..لاأريدك أن تضيع مني ... أرجوك "

لكن أسرا كانت أذنه صماء ..نار تشب بصدرة ...نار ستحرق الأخضر واليابس .. وقعت عيناها علي نادر ..الصامت ..رغم اسوداد وجهه ، وتلك النظرة المنطفئة في عينيه ..كما لو أن الشمس تحولت بهما إلى رماد .. نظرت له وهي تفكر بجنون

هو

هو حاميا .. منقذها.. هو فقط من يستطيع دوما تحقيق المستحيل همست له برجاء وقلبيها في عينها :- " أرجوك ... أوقفه أرجوك "

obeikandi.com

obeikandi.com

الفصل السادس  
ذاكره من... رصاص

هناك جروحٌ كقلم " الرصاص "

... نمحيها و كأنها لم تكنْ !!

وهناك جروحٌ كَ " الرصاص "

تمحينا و كأننا لم نكنْ .....!!

صرخ نادر بأسر المندفع يحاول أن يوقفه بعدما وصل للسيارة :- " توقف أيها المتهور إلى أين تذهب ؟!! "

جذبه نادر ليووقفه، لكن أسر رفض النظر إليه وبداخله يشتعل ..فهتف نادر بحنق :- " أظن أنك ستجده ينتظرك في بيته مثلا ..! "

دفع أسريدي نادر القويتين ، وهو يصرخ بحقد و غضب يضربان النيران بصدره :- " اتركني يجب أن أقتله .. "

صرخ نادر وهو يقف أمامه بطوله الفارع ، والنيران تشتعل بشمس عينيه ،ونيران تشب بمعدته من شدة ما يحاول ادعاء الهدوء :- " كلا لن أتركك ..توقف "

أقلت منه أسر .. حاول نادر إمساكه مرة ثانية إلا أن أسر عاجله بلكمة قوية على فكه محملة بالغضب والقهر .. ذهل لها نادر للحظة لكنه تجاهلها ..فإن كان أسر يشعر بهذا الغضب والحزن ويريد تفرغه به فهو أهلا لها .. لكمه أسر لكمة أخرى ببطنه دون وعي منه يفرغ غضبه وقهره بنادر الصامد الساكن المتلقي لضربات أسر بقوة جلد وصبر وحزن حتي خارت قواه تقريبا .. ليصرخ بحزن صرخة خرجت من أعماق روحه المجروحة .. وهو يتهاوى أرضا بضعف ويأس تهد نادر بأسى لحاله وحال صديقه .. ظل صامتا لدقيقه .. ثم اقترب منه مطوقا يديه الاثنتين

بذراعيه الصلبيتين ..حاول أسر دفع نادر بعيدا رافضا لتلك المواساة ..رافضا الاعتراف بضعفه ..وفشله لكنه لم يستطع بأي حال أخرى ، كان أسر لا يستطيع الفكك بسهولة، لكنه كان لا يزال يعاني الضعف الشديد بعد خروجه المبكر من المستشفى ما مكن نادر من السيطرة عليه بسهولة، همس نادر بصوته الأبح الأجش وقهر الكون يعتمل بكلماته :- " اهدأ أسراقسم لك لأجعله يتمنى الموت كل لحظه يحيا بها على ما فعله بها ..!!!"

دفعه أسر بعيدا عنه بغضب .. همس بفحيح قاسٍ :- " ومن تكون أنت!!"

طعنة أصابت نادر، محاولاته باءت بالفشل وهو يسرق هدوء المعتاد..لتنفجر بغضب وهو يلكمه علي كتفه بعدما تهاوى إلى جواره مفترشا الأرض يسند ظهره بحزن إلى السيارة ممدا قدميه الطويلتين أمامه :- " تبا...عليك اللعنة..."

نظر له أسر بالم وهو يقول :- " عليّ اللعنة فعلا ..بئس الأخ أنا "

تنفس نادر بعمق يجبر أعصابه الثائرة على الهدوء وعقله على العمل قائلا بيقين ودون تردد " بل ونعم الأخ أسر إن كنت أنت نسيت فأنا لم ولن أنسى أبداً "

حارت النظرات بينهما لتتم عن نظرة مشتركة فهمها أسر دون كلمة ..كلا لم ولن ينسى وكيف له أن ينسى

ذلك العام غيرهما كثيرا ..كثيراً

حين اعتقل أسر ومروان، وتم اقتيادهما للسجن ما بين تعذيب وترهيب .. ستة أشهر مرت علي أسر ومروان في عذاب .. حتى ذلك اليوم الذي

استطاع فيه نادر أخيرا من استغلال كل نفوذه ومعارفه بالمخبرات العامة لإخراجهما .. حاول إخراج مروان .. صدقاً حاول لكن التعليمات كانت واضحة .. يمكنك إنقاذ شخص واحد فقط

وبالطبع اختار نادر صديق عمره .. أسر

تلك الفترة غيرت أسر بشدة حتى وإن كان يرفض الاعتراف بهذا .. بعدها بفترة أفرج عن مروان، تقريبا بعد عام آخر .. كان مروان قد تغير .. بدا أن هناك شيئا ما تغير به لم يضع أسر يديه عليه أبدا .. بدا غريبا باردا أحيانا .. عنيفا .. شرسا أحيانا أخرى .. لأم أسر نفسه بشدة .. لم يدرك أبدا حجم الأذى النفسي الذي تعرض له مروان في المعتقل .. لم يعرف ما به ..؟! ولم يسأل فحتى هو تغير بعد ذلك العام أصبح الماضي لا ينفك يطارده .. كما أدرك أنه لا غد بدون ماضي ولا حاضر بدون أمس ، وعليه اليوم تحمل تبعات ذلك الماضي بكل قسوته ، التفت لنادر وهو يتساءل بتشوش :- أتظن أنه ينتقم منا ..؟!

تحاشى نادر النظر لعيني أسر فنفس التفكير كان يراوده منذ فترة فما فعله يهدى كانت الطريقة الوحيدة لينتقم بها من نادر وأسر

همس أسر بتوحش :- " يجب أن أجده نادر .. يجب أن أجده "

أوماً نادر يهدوء أصبح سمة ظاهرية له :- " لا تقلق سنجده. "

أخذ نفسا عميقا وهو يربت علي كتف نادر الصامت كعادته قائلا :- " هيا بنا "

التفت إليه نادر يهدوء لا يظهر ما يجيش في أعماقه ولا معدته التي أصبحت تؤلمه بشكل غير طبيعي أكثر وأكثر :- " إلى أين ..؟ "

نهض أسرو وهو يشعر ببعض الدوار، والصداع يفتك بعينه :- " إلى الأعلى .. إلى هدى يجب أن أتحدث معها..؟! "

برقت عيناه بالتصميم هو يكمل :- " ثم لكل حديث بقية !! "

\*\*\*\*\*

" اشتقت لك ..؟! "

" سنة حلوة يا جميل ..سنة حلوة يا شادن ..سنة حلوة.. سنة حلوة..  
سنة حلوة يا جميل "

تهادى صوت ريم ونائل بتلك الأغنية خلفهم في الظلام ليقطع أسر عينها بين ظلال الغابة السوداء بعينه .. انتفضت لتراجع للخلف بذهول ، كانت وجنتها تشتعلان حرارة ونظراته لا زالت تأسر عينها .. رفعت يدها لوجنتها بذهول عل برودة أصابعها تخفف من وهج وجنتها الفاضح ..بسمة لاعبت طرف شفثيه .. وريم تحتضنها بحب مهنئة بعيد ميلادها  
قائلة بمرح :- " أظننت أننا نسينا عيد ميلادك صديقتي .. "

همهمت بشيء ما وهي تخفي وجهها بكتف ريم المحتضنة إياها بحب .. بدأت الدموع تتساقط من عينها ، وحمدت ريم أن لديها عذرا لذلك .. عيد ميلادها .

رفعت وجهها لريم التي تاهت نظرتها في عيني شادن بإدراك لطالما أخافها ..بدت ريم تشبه ذلك الغامض المتشح السواد ..بشدة .. التفتت بتبعد عنها بهمة، حاولت أن تكون مرحة .. التفتت لتجد نائل لازال يحمل قالب الحلوى ..وبسمة عريضة تزين وجهه الوسيم . ما دعاها للابتسام فجأة .. لطالما كان نائل بوجهه المطمئن يدفعها للابتسام .. خرجت

ضحكتها متوترة مهزوزة مرتبكة سعيدة. وهي تهتف في أسى :- " قالب  
حلوى بالفروالة "

انطلقت ضاحكة تحاول السيطرة على مشاعرها وتحديد كتبها دون  
جدوى ..طوفان من مشاعر يجتاح داخلها كالإعصار ..طوفان من حيرة  
وتشوش وخوف ...نعم خوف !! رفعت أصبعها تلحقة بعدما غمسته  
بالكريمة والفروالة لتضحك مرة أخرى بكثير من دموع في عينها آااه  
تصاعدت من قلبها لعينها حين وقعت عينها علي محمود .. كانت نظراته  
قد خفت حدتها بل عادت عادية وأضيئت الغابة في عينيه بأنوار قالب  
الحلوى .. رفعت طرف كمها كعادتها لتمسح الدموع العالقة بأهدابها في  
سعادة .. فريم ومحمود ونائل ..عوضاها عن ابتعاد أسرتها ..أعطوها  
الجو الأسري الذي حرمت منه منذ وفاة والدتها وهي سعيدة للغاية  
بأسرتها الجديدة ارتعشت شفثاها بأسى سعيدة للغاية !!

هتفت بهم وقد بدأت الشموع تخفت معلنة بدء انتهاء رحلتها القصيرة  
بالحياة :- " هيا ..هيا بنا .. هيا لنأكل قالب الحلوى اللذيذ هذا .. "

ابتسمت ريم بينما ضحك نائل، وهو يتقدم للطاولة المستديرة ..أخذت  
نفسا عميقا وهي تلتفت لمحمود قائلة بهدوء وابتسامة صادقة علي  
شفثها :- " حمدا لله علي سلامتكم "

عبر طيف ما بعينيه لكنه أوما برأسه قائلا :- " كل عام وأنت بخير شادن "

\*\*\*\*\*

التفتت شادن لريم بعدما أنهيا غسيل الأطباق ، وهي تقول بهدوء لا  
يشف عما بداخلها :- " يجب أن أذهب فقد تأخر الوقت "

قالت ريم برجاء :- " فلتبقي هنا الليلة .. "

نظرت لها شادن برفض ..أمجنونة هي !! كيف لها هذا ..؟! هي تريد الهرب ..تريد تنظيم أفكارها ..وإدراك كنه مشاعرها ،هزت رأسها بالنفي وهي تجيب ريم بخفوت :- " كلا .. يجب أن أغادر "

جذبت حقيبتها حين قالت ريم بصوت أعلى قليلا:- " إذاً دعي محمود أو نائل يوصلك علي الأقل .. لا تذهبي وحدك هكذا ..الوقت متأخر "

كان إصرارها تلك المرة للرفض أشد فهي لا تستطيع التعامل مع محمود الآن .. لا تستطيع يجب أن تفكر!! قالت بصوت قاطع لا يقبل الجدل أو النقاش :- " كلا سأذهب وحدي "

ما إن خطت خارج المطبخ حتى توقفت ،وهي تري محمود جالسا على الطاولة يتسور الصمت .. ويدهاه تعبت بمفكرتها .. شعرت بفرح .. بشيء غامض غير معروف ..كأنه يقرأها..هي .. ككتاب مفتوح ..أرادت الاعتراض وسحب مفكرتها منه بقوة وقسوة ..حين تذكرت أنها فعلت نفس الشيء سابقاً ..حين اقتحمت خصوصية غرفته ومفكرته ، فلم أعطت نفسها ذلك الحق ،أخذت نفسا عميقا وحسمت أمرها ..تقدمت خطوتين ..ثم جلست مقابلة له بهدوء .. لترتفع عيناه ..بتلك النظرة الغامضة بهما كأن الظلام يرفض إلا أن يحيرها بعينيه وهو يقول بصوته ذي البحة :- " لا أفهم من أين لك القدرة على مواصلة الكتابة وكأن شيئاً لا يحدث...!!"

ارتعشت أوردتها لسماع صوته بذلك الهدوء .. خلعت الغرفة إلا منهما كالعادة الغربية التي تجمعهما دائما ..أين ذهب نائل سؤال مر بخاطرها سريعا نفته من أفكارها وهي تسأله بفضول :- " ماذا تقصد ..؟! "

أكمل هو ببعض المرارة :- " لا هذه الأرض التي تتحرك تحت قدميك ولا هذا الدمار الذي ينتظر أمة بأكملها .. منعك عن الكتابة .. أجذك رومانسية ..خيالية ..جدا .. توقفي ..تألمي ..ما يحدث حولك ثم أعيدي الكتابة .. "

أجابت مدافعة عن نفسها :- " أنا لست رومانسية لكنني متفائلة ..متفائلة بغد أفضل ..ألا تؤمن أنت بهذا ..!!؟ "

حين لم يجب أكملت بهدوء:- أو من بوجود أمل .. بأن الغد يجب أن يكون أفضل وبإذن الله سيكون أفضل

طفحت المرارة علي وجهه وهو يبتسم بسخرية :- أي أمل .. أنتم لازلتم في البداية .. لاتدركون أن ما ينتظركم أخطر وأفظع من مجرد ثورة .. ظننتم أنكم حققتم ما تصبون إليه لكن كلا ..

اتسعت ابتسامته المريرة وهو يكمل :- أنتم لا تعون شيئاً.. لن أتحدث عن نظريات مؤامرة متعددة الأطراف لأنها حقيقة لكن أنتم من تجعلونها بتلك القوة أي أمل تتحدثين عنه .. هاااا

اندفعت دون وعي تريد محو تلك المرارة من وجهه وصوته لتهمس :- " الأمل .. أجده بك أنت .. "

تسمرت نظراته عليها ..تلك الطفلة .. التي تتفنن دون إرادة منها باللعب بأوردة قلبه ..بكلمات سخيفة حاملة .. إلا أنها تحرك شيئاً ما بداخله. أصعب شيء أن القلب الذي قرر ألا يخفق عمره كله ..يتغابي ويخفق ..دون إرادته من صاحبه حينها تحل الكارثة .. ولهذا كان عليه أن يتعد كثيرا ..كثيرا .. استغرق لحظات..ليتمالك نفسه...فيتحكم بزمam نفسه..ظاهرياً...وانفلتت منه كطفل تائه باطنياً " الأزلت هنا ..!!؟"

أتى صوت ريم من المطبخ ليجعلها تقفز فزعة، وهي تغمغم بارتباك :- " كنت راحلة الآن "

نهض محمود بطوله المهيب ،وقد عادت عيناه لظلامهما وصوته لغموضه مرة أخرى قائلاً بهدوء :- " هيا شادن أنا سأوصلك .. "

نظرت لريم برعب جعل بسمة تظهر على شفتي ريم ،وهي تقول :- " ها قد حسم الأمر محمود سيوصلك "

حاولت شادن الرفض بارتباك :- " لكن ا..!! "

إلا أن محمود كان قد سبقها للخارج تاركا إياها تتبعه بصمت وقلب واجف

\*\*\*\*\*

" أحببته قاهرة...؟!!"

أتى السؤال المفاجئ لينتشلها من استغراقها باعترافها لنفسها بتلك الحقيقة.. متزامنا مع ذلك الألم الذي أعادها للواقع المر..! رفعت عينها بارتباك لشذى المجابهة لها قالت شذى بتساؤل وبلهجة تحمل الكثير من غضب :-

" أجيبيني ..هل أحببته ..؟!!"

ارتبكت وبدأت تعصر أصابعها بقوة لكنها قالت بشموخ أخفي توترها :- " اسمعيني شذى "

وكان شذى كانت تنتظر فقط سماع صوتها لتنفجر :- " كلا لن أسمعك .. بل اسمعيني أنت "

اقتربت منها بخطي مترنحة قليلا وحقد قديم ينبعث من عينيها :- " أنسيت ما فعل بي .. أنسيت .. "

انخفض صوتها بألم :- " أنسيت كم أحببته..! "

أنسيت كيف سخر مني .. واستهزأ بحبي .. وكم من الليالي التي قضيتها باكية ... أنسيت ماذا قلت لي أنت ..؟! ماذا قالت لي أختي الصغرى حين تقدم توفيق للزواج مني ..؟!؟! "

كانت قد وصلت إليها وتوقفت أمامها مباشرة .. أمسكت كتفها تهز قاهرة قليلا :- " أخبريني .. أنسيت ...؟!! "

أنت همسة قاهرة شاحبة خافتة، وكأنها عادت طفلة صغيرة مرة أخرى .. فتاة علي أعتاب نضج وسني مراهقة .. وهي تقول :- " كلال لم أنس .. "

ارتخت يد شذى عن كتفي قاهرة .. وهي تقول :- " إذا لماذا ؟؟ "

عاد صوت شذى ينخفض بألم :- " أخبريني لماذا ..؟ "

رفعت قاهرة عينيها لعيني شذى بألم وهي تقول :- " لا أدري .. أنا فقط لا أدري "

اقتربت منها شذى حتي تلامست جبهتهما، وهي تهمس لها :- " إذا احذري لئلا يفعل بك ما فعل بي .. "

حدقت بعينيها وهي تقول بثقة مجروحة :- " وهذا ما سيفعله .. "

ابتعدت شذى بخطوات قوية مليئة بالمرارة .. دون أن ترى كتفي قاهرة اللذين انخفضا بألم كمن لا يقوي علي الشموخ في حضرة ذلك الضيف المهيب الماضي

" ما بك شذى ..؟! "

هتفت قاهرة حين دخلت غرفة أختها الكبرى .. لتجدها تبكي بشدة وحرقة .. اقتربت فزعة وهي تلتصق بها تهزكتفيها ..-: " شذى ما بك .. ماذا حدث .. هل حدث شيء ما ..؟! "

هزت شذى رأسها بالنفي بينما تعالي نسيجها الذي تحاول أن تكتمه بالوسادة .. لكن قاهرة، ورغم صغرسنها إذ كانت تبلغ آنذاك السادسة عشرة .. أدارت وجه شذى لها بقوة وإصرار، وهي تحدثها بصرامة حنونة :- " لا تخبريني أن لا شيء حدث .. بينما أنت تبكين كل ذلك البكاء .. أخبريني أنا لم أعد صغيرة حتي تخفي عني أي شيء ..!! "

لمعت عينا شذي ببقايا دموع علقت بأهدابها ،وهي تقرر أتخبرها أم لا لكنها في تلك المرحلة كانت تحتاج لإخبار أي أحد .. لمشاركة أي أحد لقرارها.. لصدمتها .. همست من بين دموعها :- " توفيق ..!! "

وصمتت كأن ذلك يكفي لتفهم قاهرة منه كل شيء ..! قالت قاهرة بصبر :- " ما به ..؟! "

ارتفع صوت شذى تلك المرة بالبكاء :- " تقدم لخطبتي "

اتسعت أسارير قاهرة بالفرحة الحقيقية وهي تهتف :- " حقاً .. ألف مبروك "

ثم صمتت حين رأت عبوس وجه شذى.. لتسألها بقلق :- " أنت لست موافقة ..؟! "

أجابها الصمت أيضا ..! فهتفت قاهرة بثقة :- " إذن أخبرني والدي .. لا أعتقد أن والدي سيجبرك علي شيء لا تريدينه .. كوني واثقة من هذا "

قالت شذى بتردد :- " ليس هذا هو الأمر .."

كانت محتارة .. تريد أسر .. لكنه يتجاهلها تماما ولا تريد أن يضيع توفيق من يديها .. فتكون خاسرة .. فتوفيق به كل المميزات التي ترغبها .. لكن أسر حلم كل فتاة بوسامته ومستقبله المهر حتى ولو كان مغرورا !!  
تساءلت قاهرة في حيرة :- " إذا أخبريني ماذا هناك شذى ..؟! قد أستطيع مساعدتك ..!"

هتفت شذى ببطء ويأس كإقرار أمر واقع :- " أنا أحب أسر بدر الدين .. أخو هدى صديقتي "

وكان قاهرة بحاجة لتعريفه .. وكأنها لا تعرف من هو أسر بدر الدين .. حتي في تلك السن الصغيرة .. وكأنها لم تجعله فارس أحلامها كل ليلة تحلم به يأتي علي حصانه الأبيض لينتشلها من قصر أبيها لعالم سحري تبقي هي وهو به فقط .. صدمة أصابت قاهرة فحتى هي كانت قد علقت بشباك جاذبيته .. التوت شفاتها بسخرية مبطنة بالذات .. إذا كانت شذى الكبيرة العاقلة تبكي حبه .. إذن يحق لها هي الصغرى أن تنهر به .. لكنها لن تدع أختها تضيع فرصة سعادتها مع شاب رائع مثل توفيق لمجرد وهم ، فسألتها بهدوء شديد وبعض حنان :- " أخبريني شذي هل يحبك .. أسر أقصد ..!!!"

أجابت شذى بان دفاع :- " بالتأكيد "

لكن حين واجهت عيني قاهرة الصريحتين ترددت ، وهي تقول :- " أعتقد ذلك .. لم أسأله .. لم يخبرني .. لم يسبق لنا الحديث .. أووووه لا أدري ..!"

قالت قاهرة بثقة :- " اسأليه .. يجب أن تسأليه لتعرفي .. قبل أن تتخذي أي قرار بشأن توفيق .."

قالت شذى بتردد :- " أتظنين هذا ..؟ "

أومأت قاهرة بالإيجاب :- " نعم أنا واثقة "

اختفت الدموع من عيني شذى في لمح البصر، وهي تهض بلهفة إلى هاتفها المحمول تجذبه إليها قائلة في تسرع :- " إذن اتصلي أنت به قاهرة اسأليه..؟ "

صعقت قاهرة :- " ماذا ...؟! أجننت أنت كيف لي أن أسأله ..؟! أنا .. هو لا يعرفني ..؟ "

قالت شذى بترجي :- " أرجوك .. أرجوك قاهرة .. أنا لا أستطيع سؤاله .. سأرتعش وأتوتر "

ثم أكملت بلهفة وقد خطرت لها فكرة :- " ادعي أنك أنا .. وتحديثي معه .. أخبريه أنني أحبه وأنتي أستطيع انتظاره حتى يعود من سفره .. أخبريه حتى ولو أراد سأنظره عمري كله ..!!!"

لم تمهلها شذى لترفض مرة أخرى إذ ضغطت علي زر الاتصال .. وهي تلصق الهاتف بأذن قاهرة .. ليصاح صوت أسر بنعاس شديد مجيباً :- " ألو "

توترت قاهرة وهي تهض فجأة من على السرير تبتعد لا إرادياً عن شذى قليلاً .. لعقت شفيتها الجافتين وهي تهمس :- " ألو "

صمت وجهها لثانية ليأتي صوت أسر ببحة ناعسة :- " نعم من معي..؟! "

تلعثمت قاهرة بتوتر :- " أأ أنا "

" نعم يا حلوة ..؟ "

بدأت تظهر في صوته نبرة ناعمة مغوية حين تعرف علي الصوت النسائي .. جعلتها تعاود الجلوس علي السرير بعدما نهضت .. تبحث عن داعم لركبتها المتخلخلتين ، أكمل هو بنفس البحة وأثر النوم بدأ يتلاشي قليلا :- "ألن تتحدثي .. أريد أن أحصل علي بعض النوم "

هتفت قاهرة بتوتر قبل أن تخونها شجاعتها :- " أنا شذى .. "

لم يجب فهتفت :- " أسر الأزلت معي .. هل نمت..؟! "

ضحكة أجشة رقاقة دغدغت أعصابها ، وهو يقول بنعاس :- " معك .. وتعرفين اسمي أيضا شذى ..؟! "

كان يبدو واضحا أن لا فكرة لديه بتاتا من تكون شذى كما اتضح لقاهرة فهمست قاهرة ببطء :- " أنا شذى السليمانى ..؟! "

تحولت نبرته للجد وقد بدا أنه اعتدل في سيره :- " شذى.. ماذا هناك ... هل هناك خطب ما ... هل هدى بخير ..؟! "

سارعت بالنفي :- " كلا .. كلا .. كل شيء علي مايرام لكن أه لكنني ..أمممم ..علمت أنك ستسافر قريبا.. لمدة طويلة نسبيا وأنا "

صمتت .. لا تجرؤ علي التفوه بتلك الكلمة .. نسيت شذى المنتظرة .. نسيت الموقف والمراد منه .. تراءت لها صورته الضاحكة الباسمة .. عيناه الزرقاوان اللتان زارتهما في أحلامها طويلا وكثيرا .. عطفه عليها .. ونظرتة الغامضة لها أحيانا حين يمر .. أفاقت من أحلامها حين أتى لها صوته باسم كعادته .. كأنه يدرك سرها .. كأنه عرف أن ذلك هو صوتها هي قاهرة وليست شذى .. تهادت إليها نغمته التي يحادثها بها كلما رآها

كطفلة .. صغيرة بضعفائر .. يعطف عليها ويمثل دور الأخ الأكبر لها :- " نعم .. ماذا هناك هل تريدن أن أجلي لك شينا ما معي ..!!؟ "

أجاب بسخط بدا طبيعيا للغاية، وقد نسيت أنها تدعي أنها شذى :- " كلا .. أسر "

أصاها نفاذ صبر وهي تهمس :- " اسمعني أرجوك ... أنا أحبك "

لا شيء .. لا صوت واحد .. ولا نفس .. حتى شذى لم تعد تسمع لها صوت .. حتى أتى صوت أسر، وقد اختفى كل أثر للنوم به :- " اسمعني شذى أنت مثل أختي .. وأنا .. لا أفكر فيك أبدا بتلك الطريقة ..!! "

ارتياح أصاها في البدء لا تنكر أن جزءا صغيرا للغاية منها كان يخش أن تكون تلك المشاعر متبادلة لم تكن لتتحيا .. إن كان يحب أختها .. كانت ستفرح لها بلاشك .. لكن لن تستطيع العيش معهم مرة ثانية ..!! إلا أن ارتياحها سرعان ما تحول لصدمة وإحراج وكره .. حين تلونت نبرته بالصرامة وشيء من الاحتقار الخفي والتهديد وهو يقول :-

" وأنا لم أكن أعرف أن لك مثل تلك الألاعيب والتصرفات .. أنا أثق بهدى أختي .. لكنني لم أظن يوما أن صديقتها المفضلة في الكون كله .. لها مثل تلك الحيل والألاعيب .. فتاة تحادث الشباب بالهاتف .. "

انمحي كل لون من وجه قاهرة، وكان الإهانة موجهة لها شخصيا ... وكان ذلك الاحتقار موجه لها هي .. وممن؟! من شخص معروف عنه تلاعبه بالبنات في كل مكان .. يأتي الآن، ويمثل دور القديس، لم تكن تستوعب باقي كلماته التي بدا أنها مهينة للغاية فقد أغلقت الهاتف .. ليسود الصمت القاتل الغرفة .. لم تدر كم بقيت هي وشذى على ذلك الوضع

حتى التفتت هي إلى شذى التي بدأت الدموع تترقرق مرة أخرى من عينيها  
وهي تقول بإصرار وقسوة وصرامة تفوق سنها بمراحل :-

" أعتقد الآن يا شذى أنه قد حسم الأمر .. يجب أن توافقني على توفيق ..  
لن تجدي خير منه يحبك منذ الصغر ..

ولتثبتي لذلك الأحمق أنك أفضل مما كان يتمنى أن يحصل عليه في  
حياته كلها ..!!"

\*\*\*\*\*

توقف أسر ما إن صعد للأعلى توقع أي شيء إلا هذا المنظر ..! خفض  
رأسه بتهيده ارتياح .. وهو يرى هدى مسجاة علي سجادة الصلاة ..  
بخشوع ووجهها يطفح بدموع .. لطالما كانت هدى قوية ..قوية حتى ولو  
لم تدرك هذا ..تراجع بنفس الصمت ينظر لنادر ، ووجهه يشع قليل من  
ارتياح .. وطمأنينة، قال له بهدوء :- "إنها تصلي .."

أوما نادر بصمت ... أفلتت نظراته لها لأول مرة منذ دخل ، وشعر بحرقه  
في عيونه منظرها ، وهي تصلي رافعة يديها كأنما لتصل عنان السماء ..  
سحره يجب أن يبعد عينيها عنها .. يجب عليه ذلك .. لكن بدا أن عينيها لا  
تطيعانه .. أخيرا قرر أن يبعد عيونه .. لكنه ثبتها أكثر حين رأى دمعها  
التي نزلت من طرف عينيها اليسرى لتفتت بقايا قوة يتمسك بها .. شعر  
بوجع في قلبه .. ونار تزداد اشتعالا بمعدته .. مد يده يمسك معدته عل  
الألم يخفو :لكنه كان يزداد اشتعالا تمنى أخذها لأي مكان وجعلها تفقد  
ذاكرتها .. لايريدها أن تتذكر شيء من وجعها ، ليت كل هذا الوجع يصير  
به .. وترتاح هي .. ولو قليلاً فقط !!تراجع بأسى يجبر نفسه على الصبر  
والقوة ، بينما انتظر أسر مستندا على الباب يتأملها لا ينكر كمية الراحة



شبح ابتسامة واثقة لاح على فمه ،وبرقت عيناه الرماديتان وهو يقول:- " أنا متأكد من ذلك "

أخذ نفسا عميقا، وهو يقرر الإقدام على الخطوة التالية .. أمسك بوجهها بين أصابعه يمسح بقايا دموع علقته بأهدابها وهو يقول بحنان يطوي داخله حزم وإصرار شديدين :- " أريد منك طلبا وعديني أن تنفذه"

ارتبكت ويدها تعتصر أصابعها ..تسأله قلقة، وهي شبه متأكدة ما هو طلبه :- " ماهو..؟! "

قال بهدوء :- " عديني قبلا "

ظهرت الحيرة في عينها ..كان يدرك أنه لا يلعب لعبة عادلة لكن ما يفعله في النهاية لمصلحتها ... وقد حان الوقت لهمتم بمصلحتها قليلا ..قالت ببطء وثقة به :- " أعدك "

برقت عيناه برقة، وهو يقول ببحة علت قليلا عن الهمس :- " تزوجي نادر "

سحبت يدها من بين أصابعه بسرع، لكنه لم يسمح لها بل شد عليهما قائلا :- " أنا لن أطمئن عليك إلا معه هو .. "

هزت رأسها بالرفض فما يطلبه كثير .. حتى عليها .. هي لا ترفض نادر لشخصه لكنها ... خائفة .. اكتفت ..لا ترغب في المزيد أكمل أسر بإصرار :- " أنا أحتاج للاطمئنان عليك .. أريد السفر وإجراء جراحتي .. وأنا مطمئن عليك "

أكمل بقوة :-" ولن أطمئن عليك إلا معه.. لا مجال لتعودي للبقاء مع والدنا.. ولا مجال لتركك وحيدة.. ولا مجال لأخذك معي حاليا، فسأكون أنا من يحتاج للرعاية.. وأخشى عليك من ذلك الحقير أن يحاول أذيتك مرة أخرى.. هدى إنه مريض !!!"

وكأنها لا تعلم كم هو مريض.. ألمها.. إنهاؤه لكل الخيارات رغم صحة ما قاله.. ويبدو أنه يثق بنادر كثيرا.. هتف هاتف بداخلها.. ألا تثقين به أنت أيضا؟! شعاع من أمل وأمان أشرق بداخلها حين وصلت لتلك النقطة: لكنها لن تغامر، هزت رأسها برفض شديد.. لن تغامر.. مرة أخرى بالبقاء مع جنس رجل.. " لكن نادر وعدك أنه سيبقى فقط لحمايتك.. سيرحل حين يتأكد من حمايتك.."

غصة انتابها لكنها تجاهلتها.. فليرحل أئى يشاء هي ليست في حاجة لجنس رجل بعد اليوم... لكن يجب أن تتأكد من وعده

بنبرة رجاء :-" لأجلي هدى اقبلي"

تساقطت دموع من عينيها وهي تومئ برأسها بالقبول بتردد اتسعت ابتسامته، وهو يحتضنها بحب وحنان :-" أحسنت أختي... أحسنت"

هم بالمغادرة.. ليخبر ذلك المنتظر خارجا حين جذبت هي يده تلك المرة بشدة، توقف ينظر لها حين قالت بنبرة أجشة تحمل تصميمًا وإصرارًا وقوة بعينها :-" لكنني أريد الحديث معه أولا"

\*\*\*\*\*

تأخر أسر تأخر كثيرا.. قرر أن يشغل نفسه بأي شيء بدل ملبسه الجينز قديم يرتاح به، وتي شيرت أسود بهت لونها، فكك سلاحه الخاص

..ثم بدأ يعيد تركيبه , هذه العملية صارت تلقائية من بعد ما كانت تتطلب تركيبا شديدا منه , إعادة تفكيك وتركيب السلاح .أفكاره أخذت تتلاعب به ..بينما يدها تعملان بسرعة قصوى تكشفان توتره الداخلي

" وماذا بعد ..ما هي نهاية ذلك الوضع "

إلى متى سيظل هكذا ..صامتا ..يكتم ما يعتمل في روحه .. متى يستطيع النوم ... يشفق بقوة للنوم ..لكن لن يغمض له جفن حتى يطمئن عليها ..حتى تصبح ملكه وله ..أمنية طال انتظارها ..أمنية كلفه الكثير والكثير من تماسكه وسيطرته الفولاذية على نفسه حين فرط فيها , وإذا رفضت بدأت يده تعمل بطريقة سريعة , مع ازدياد قلقه إذا رفضت ..!!؟

يجب أن توافق ..بأي طريقه كانت يجب أن توافق ..إلى متى لا تتذكره ..إلى متى ؟؟ رمى السلاح بعدما أتم تجميعه بمهارة وسرعة بقوة تدل على غضبه الشديد كيف لها أن تنساه ..؟! مره أخرى ...أمسك السلاح يعيد تفكيكه بألية...

يجب أن توافق ..! تعتمل المشاعر في داخله ثوران ..ثوران وغليان يفور تحت السطح الهادئ .توقفت يده وأنفاسه تتعالى بغضب من نفسه مد يده بحنين يتلمس الجرح بحاجبه .. حبس أنفاسه لثوانٍ ..من ثم زفر بعصبية...وحاول العد لعشرة يتذكر ..بقايا من ذكريات وتسكنه...بمهدئات..قاربت على الانتهاء...تهدئه ونوبات جنون...تجتاح ..خلاياه

" إذا أردت إيذاءك فلن يمنعي شيء كتلك "

قذف بالسكين الصغير بعيدا .. وهما لازالا على تلك الوضعية .. ضاغطا على جسدها بقوة جسده الفولاذية محاصرا إياها ..شعرت بأنفاسها

تضييق وجسدها يتوتر بخجل وخوف وحرارة لأول مرة تشعر بها ..غريب إحساسها في تلك اللحظة، مرعوبة تعترف ..لكن هناك شيء آخر تشعر به ..منعها رعبها من إدراكه ، أوقفها رعبها عن الإتيان بأي حركة فحتم تنفسها أصبح عسيرا عليها .. تشعر به حتي الأنفاس يحسها عليها ..لم تكن يوما جبانة !! هذا ما أخبرت به هدى نفسها ..لكن وضعها يدعو للخوف وحماقتها هي السبب ..لم.. لم تترك المنزل وتهرب حين أدركت بوجود لص به .. كلا .. بل عادت كالحمقاء تريد إرهابه ..خاطبت نفسها بجزع .. وانظري أين أنت الآن ..!؟

شعرت بالدموع تبلل وجنتها فخفضت عينيها لا تريد أن تراه ضعفا أو خوفها حتى وهي في ذلك الموقف ..الترجي ..لم يكن شيئا معروفا بقاموسها ..! انخفضت عيناها لمستوي صدره...ليستل ذلك الهدب المبلول...شيء ما بأخر نبضة... ناداه ذلك الهدب لمعانته... لبي النداء ببساطة.. بطبعه قبلة على أهدائها بكل جرأة، جزء من ملوحة الدمع سكنت شفتيه وبللتها بملوحة...ليبلل شفتيه بأطراف لسانه... فيحاول ابتلاع جزءا صغيرا جداً من طعم الملوحة التي تذوقها .. شهقت .. بخوف لم تستطع السيطرة عليه ،وهي تصرخ تلك المرة، وقد شاب صوتها ذلك الترجي الذي لم تكن تعرفه :- " ابتعد عني أرجوك .."

ارتعش صوتها بالبكاء ليصبح بحا مزق البقية الباقية من أوردته :- " أرجوك.."

أفاق من تلك النشوة أصابته لمجرد ملامسة شفتيه لأهدائها ..ورائحة الخزامي ..تعقب بأنفه من خصلات شعرها الملامسة لوجهه .. أقسم علي صوته أن يبقى علي شيء من رزانتة وهو يهمس بنفس همسها :- " لا تخافي لن أؤذيك .. لكن عديني ألا تأتي بأية حركة مفاجئة لو تركتك "

لم تقو على الرد بل ابتلعت ريقها وهي تومئ برأسها إيجابا ترك يديها بطيئا .. بطيئا وهو يبتعد بجسده عنها .. لم يبتعد كثيرا .. بل فقط ما يتيح لها الابتعاد عنه، ما إن شعرت بابتعاد صدره عن أنفاسها حتى سحبت قدميها بشدة، وهي تبتعد لأقصى ركن في السرير متوقعة على نفسها ... تضم قدميها لصدرها ورأسها يستريح عليهما بخوف بينما تهدل شعرها العسلي محيطا بوجهها .. آه وضع يده على قلبه يتلمسه يتأكد إن كان لا يزال في موضعه .. وأن ذلك الصخب المدوي آتٍ من داخل قفصه الصدري .. تلك الرائحة ( الخزامي ) قتل له لا محالة .. يجب أن يستعيد توازنه ..! همس ببطء وهو يمد يديه للأمام يريد طمأننتها .. لكنه أعادها لموضعها حين تراجعت هي بخوف .. قائلا :- " اهدئي .. من أنت .. هدى أم شادن ..!؟ "

شبهت وهي تنظر له بقوة من أين له معرفة أسمائهم .. ظهر في عينيها مزيج من خوف وفضول وتفكير .. كانت تضغط علي شفتيها بتوتر تلوكهما للأمام والخلف كطفلة صغيرة خائفة .. حين هتفت " أنت تعرف أخي ..!؟! "

ابتسم قائلا :- " أخبرتك سابقا لكنك لم تنتهي في محاولتك قتلي .. "

تلمس حاجبه الذي بدا أن الدم تجمد عليه معطيا إياه مظهرا خطيرا .. صرفت نظرها بصعوبة عن مظهره الشبيه بالقراصنة بصدرة العاري وتلك الضمادة تحولت للون الأحمر القاني في ذراعه .. عينيها .. لم تتبين لونها في الظلام إذ بدتا سوداوتين .. ذقنه تبدو نامية بعض الشيء وإن كانت مهذبة كلحية خفيفة جدا .. بدا خطيرا .. همست :- " من أنت ..!؟! "

وكان ذلك سؤالاً هو أكثر من مستعد للإجابة عنه حالياً .. وإن أجاب  
بلهجة قاطعة :- " نادر.. "

فقط نادر وكان هذا يكفي كما فكرت رفعت حاجبها بتساؤل فقال على  
مضض :- صديق أخيك "

لمعت عيناها ما باله شحيح الكلام ؟ هكذا هتفت بتسرع :- " آهه .. أسر  
ليس لديه أصدقاء "

ثم صمتت بغباء .. أليس الأفضل لها لو لم تعترض .. إن أظهرت له أن  
خدعته انطلت عليها .. ليأمن لها ولا يؤذيها ..

التوت شفته السفلى بشيء من الغموض وهو يكمل :- " وما يدعوني  
للكذب عليك أنا صديقه ربما لم يحدثكم عني .. لكنني أعرف كل شيء  
عنكم .. "

نهض فجأة ما أثار خوفها لكنه أشار لها يهدئها ... :- " انتظري سأريك  
الإثبات "

ما إن تقدم خطوتين في الظلام حتي اصطدم بشيء ما أطلق تأوها ..  
دعاها لإطلاق ضحكة خافتة لا إردايه .. فقد بدا بشريا وضعيفا في تلك  
اللحظة مثلها .. همس بخشونة رغم إرادته حين سمع ضحكتها المنخفضة  
:- " لا تضحكي .. "

ألجمتها لهجته وتلك النبوة، الصمت .. عاد إليها وهو يتمتم : " أين ذهبت  
الإضاءة اللعينة "

كان غاضبا من نفسه بشدة .. كيف لضحكة خافتة منها .. أن تجعله  
راغباً .. راغباً في أشياء تتخطى العقل والمنطق .. راغباً في تخطي كل

الحدود وضمها إلى صدره ..لم يكن يوما متهورا ..وكان يحيره بشدة ذلك الانجذاب المهر ..لها .. ! غاضبا من نفسه لفقدانه سيطرته الفولاذية عليها لمجرد ضحكة خافتة ..جلس على حافة السرير مرة أخرى وهو يقدم لها هاتفه المحمول ..ضغط علي ملف الصور لترى العديد من الصور له هو وأسر .. في عدة مواقف وأماكن .. يضحكان ..يبتسمان ..ظلل الإدراك عينيها .. وبدت الراحة تدب بحركات جسمها شيئا فشيئا ..بدأ الاطمئنان يساورها قليلا قليلا .. فهو صادق ..ويعرف أسر .. ولا خوف منه ..!خاطبت نفسها بصمت أخبرك منذ البداية أنه ليس لصا .. وهو لم يؤذك ..خاطبت نفسها بعنف " وجرأتة عليك .." لازالت تشعر بوجنتها تلتهبان لتلك الجراءة .. ارتفعت عيناها إليه مرة أخرى قالت بتردد كمحاولة ضعيفة متوجسة للاعتذار:- " الإضاءة مقطوعة عن الفيلا ... لأننا لا نسكن هنا .. ألا يفترض بأسر أن يخبرك بهذا؟! "

رفعت عينيها إليه ..ليتوه بهما ..لم لا يكف ذلك الأحمق عن الخفقان .. يجب ألا يتأملها كثيرا أو أبدا كما أخبر نفسه ..

" نادر..!

نادر...!!؟ "

أتى صوت أسر لينتثله من ذكرياته ..رفع عينيها إليه ببطء وهدوء لا يكشف أبدا عما يعتمل بداخله من توتر وقلق ..سأل ببطء وأمل :-" وافقت...!!؟ "

لا رد يصله من أسر المستند على الباب بصمت ووجهه غامض .. قفز قلب نادر...حتى كاد يخرجها خارج جسده تقدم أسر خطوات إلي الأمام بصمت حتى أصبح أمامه .. هز كتفيه بأسى ،وهو يرتمي علي المقعد

ملاصقا لكتف نادر العريض ،سأل نادربوحه وهو يقسم على ثقله  
ورصانته أن تبتعد الآن ولولبرهة :- " أجبني .. أحادثها...؟ "

أجاب أسر وهو يرخي ظهره على المسند مغمضا عينيه :- " نعم حادثها"

نادر بنفس البحة والثقل:- "أرفضت؟!!"

فتح أسر عينيه ونظرة مسروقة وابتسامة خبيثة تصاعدت لتعانق  
شفتيه:- " وافقت "

عادت الحياه تدق طبولها في صدره وتلك الرائحة الخزامي تعبق بأجوائه  
لكم نادر أسر في كتفه بقوة .. جعلت أسر يتأوه ضاحكا في حين هتف  
نادر متخلياً عن رصانته لأول مرة أمام أسر :- " تباً.....توقفت خفقات  
قلبي للحظة "

استمرت ضحكة أسر في الارتفاع .. تفصح عن ارتياحه هو الآخر لموافقة  
هدى .. التفت لصديق عمره قائلابخبت ومكر :- " لا أكذبك القول ..  
احتاجت لكثير من إقناع لتوافق "

كانت السعادة تشع من عيني نادر الذي همس بـ " لا يهم .. المهم أنها  
وافقت .. وكل شيء سيحل من تلقاء نفسه .. أنا على يقين من ذلك .."

ابتسم أسر ابتسامة باهتة بشيء من الشك والضيق وهو يقول :- " أتمنى  
لو كان عندي شيء من ثقتك تلك ..!"

تهمد نادر في صمت .. التفت مواجهها لأسر، وهو يقول بثقة طبيعية تشع  
منه .. يقينا بالله تعالي .. يقينا أن كل ما يحدث وأيا كان ما سوف يحدث  
هو خير، وإن كان في ظاهره مكروه ، ربت علي كتف صديقه وعيونه

متعلقة بأسر...وملامحه تبدو ملامح جديده لشخص آخر:- " مابك.. أسر  
...أشعر أن بك شيئاً لا أعرفه !؟

ابتسم أسر بلامبالاة سائلاً في سخرية :- " ..لماذا ..؟؟!"

قال نادر بعمق ونظرة متفحصة :- " انت لست طبيعياً .. أشعر بذلك "

التفت له أسر بشيء من السخرية هو يهتف :-" وكل ما نحن به .. أهذا  
طبيعي ..؟؟!"

أخذ نادر نفساً عميقاً وهو يطمئنهُ قائلاً بارتياح :- " اتركها على الله . لكل  
شيء سبب وإن تأخر فهمك له ، كن على ثقة من هذا .."  
أوماً أسر " ونعم بالله "

ثم هتف بفرح :- " دعك مني .. متى تريد الزواج بإذن الله ..؟؟!"

هتف نادر بتسرع :- " اليوم "

انطلق أسر يقهقه بمرح علي صديقه الرصين الصامت .. الذي يبدو أنه  
لم يعد يطيق صبراً .. كان يشعر بالغبطة رغم كل ما هم فيه .. فنادر هو  
الوحيد القادر بعد الله تعالى على إخراج هدى مما هي فيه ، تدرج وجه  
نادر بما يشبه الاحمرار تحت بشرته الداكنة، وهو يجبر نفسه علي الصمت  
والجلد .. لكنه لا ينكر أن فرحته كانت كبيرة .. أخيراً .. أخيراً ستكون له  
حتي وإن لم تكن تريده أو تتذكره !! لكن يكفيهِ فقط أن يضمهما منزل  
واحد وعندها ..!!

برقت عيناه بتصميم ..قال أسر وهو يدرك ما يجول بخاطر صديقه :- "  
حسنأ أنا موافق .. "

اتسعت ابتسامه نادر لتظهر أسنانه اللؤلؤية .. لكن أسر أضاف بتحذير خفيف :- " لكنها طلبت أن تتحدث معك أولاً "

أوما نادر بثقة وهو يهض بطوله الفارع :- " حسنا سأصعد لها .. "

تقدم من الدرج وهو يكمل :- " وفي تلك الأثناء احضر المأذون "

ارتفع حاجب أسر بقوة ودهشة كان يظن نادر يمزح قليلا .. لكن النظرة التي رآها في عينيه أظهرت له كم هو جاد لم يستطع أن يلومه ، لكن هدى أخته ويكفي إهمالا في حقها قال بصرامة وإن شأها بعض الود :- " نادر يجب أن ترى ما تريدك أولاً لترى إن كنت ستقبل بشروطها "

قال نادر بجديده وهو ينظر لأسر بتصميم :- " أنا موافق على كافة شروطها أسر "

استدار يصعد الدرج بقوة وعزم وهو يهتف بأسر :- " اذهب لجلب المأذون حتي أحادثها ! "

تجددت ملامح أسر بالابتسام وهو يوقفه للمرة الأخيرة مفاجئا إياه ومفاجئا نفسه أكثر حين قال :- " إذن اليوم .. قد يكون يوم زواجي أنا أيضا ما رأيك أن نجعله زفافا واحدا ..!! "

دهش نادر لتتوقف خطواته التي تلتهم الدرج لينطلق ضاحكاً بعد نظرة مطولة لأسر :- " زواج ..؟! متى ..؟! ألم تكن ملقى في المستشفى لبضعة أشهر ..؟! "

توقف عن الضحك تماماً وخاطر ما يمر بعقله :- " و زوجتك؟! صدقا أخبرني متى تزوجت؟! "

انطلقت من فم أسر ضحكة أجشة مستمتعة :- " مهلا وسأخبرك بكل شيء .. إنها قصة طويلة .

\*\*\*\*\*

حطم نادر الصمت الذي طال بعدما انتهى أسر من سرد ملايسات لقائه بقاهرة وصولاً حتى زواجهم المزعوم .. أخفي طبعاً عنه تضارب مشاعره بالنسبة لها ..! لم يصف له سوى غضبه منها ورغبته في تلقيها درساً ..! " إذا فزواجك منها هو فقط "

قال نادر بتساؤل وشد على كلمة فقط " لتلقيها درساً "

أوماً أسر بصمت .. وظهره لنادر يلقي نظرة على الجو خارجاً .. لطالما أحب بيتهم القديم بعيداً عن صحب القاهرة وفتنتها .. أخذ نادر نفساً وقال :- " إذن أنت لا تحبها ..!!؟ "

التوت شفتا أسر بهكم وقسوة :- " هه "

ثم أردف بسخرية وهو يرفع حاجبه ملتفتاً لنادر بنظرة يعرفها نادر جيداً " قد أكون أريدها .. لكنني لا أحب أبداً ..! "

عقد نادر حواجبه بعدم فهم واستغراب :- " وما الفرق أسر بين أن تريدها لتلك الدرجة وأن تحبها ..!!؟ "

نظر له أسر ، ثم التفت حتى أصبح لا يري نادر منه سوى جانب وجهه قائلاً بجمود وعناد :- " الفرق .. أنا وأنت أدري به يا نادر أريدها ..أريد امتلاكها .. إخضاعها تحطيم تلك الكبرياء والغطرسة أريد عقابها ..! وإن كنت سأحصل عليها في طريقي لذلك فلا بأس بذلك "

قال نادر بإصرار :- " ليس هناك فرق بين أنك تحبها وأنت تريدها بهذا الإصرار! "

ابتسم أسر بسخرية وهو يلتفت له ليواجهه :- " لطالما كنت مثاليا يا نادر لكن هناك فرق.. وفرق واضح أيضاً إلا أنك أنت من ترفض رؤيته !! أنا أريدها .. و.. فقط !! "

قال نادر بغضب وشهامة لونت نبرات صوته :- أسر احذر أن تظلمها لن أسمح لك بذلك !! "

التفت أسر يواجه نادر والغضب يشتعل في عينيه ونار تحرق صدره .. صارخا بحدة :- " ومن أنت لتسمح لي !! ابتعد عنها نادر أفضل لك "

انطلقت ضحكة نادر رقراقة أجشة وهو يهتف :- " أمها المجنون .. "

ثم أضاف بمكر وهو يرفع حاجبه بسخرية خفيفة من أسر :- " فعلاً .. أنت لا تحبها أبداً. وهناك فرق بين أنك تريدها وأن تكون تحبها .. صحيح ..؟! "

لم يكن أسر بمزاج يسمح له بالتجاوب مع مكر وهزرة نادر السعيد على غير العادة اليوم ، كان يشعر بالضيق والحنق الشديد منها .. هي السبب في كل هذا .. حتى نادر ...!! حتى نادر يعرض عليها حمايته .. دون أن تعرف حتى !لما الكل يريد الاهتمام بها ..!! لم الكل يريد أخذها منه .. !! كانت مشاعره خليطاً .. خليط مضطرب لا يعرف له أصلاً، رقت نبرة نادر حين رأى الصراع على محيا أسر فقال بإقناع وهدوء :- " أسر .. فقط تذكر .. الظلم الذي حل بأختك ..! "

توترت ملامح أسر فلطالما كان نادر صوت ضميره .. لطالما ردعه عن العديد من الأخطاء .. خاطب نفسه بشراسة .. إلا ذلك الخطأ لن يسمح لأحد بالتدخل لمنعه !! يريدها .. ويريد التأكد ألا تكون لغيره !! عناد .. جنون .. مهما كان الأمر .. لكنه ليس حبا .. لأنه لن يسمح لقلبه بهذا الشيء ...!

\*\*\*\*\*

obeikandi.com

obeikandi.com

الفصل السابع  
ذاكرة .. اشتياق

فلينفجر القلب بلحظة ذلٍ

تعالٍ

إنني أكره كل ما فيك وأحبك

أحبك

(غاده السمان)

طرق نادر الباب بهدوء ليأتيه صوتها الشجي يأذن له بالدخول ما إن خطى للداخل حتى تسمرت نظراته عليها فاتنة .. هدى كانت بالنسبة له فاتنة .. لم تكن رائعة الجمال ..! ولم يكن هو يعشق جمالها .. أكثر من عشقه لتفاصيلها الصغيرة .. تلك ثلاث نمشات تزينان أنفها ظاهرات للرأي حث من بعيد .. تلك شامة حسن بجوار شفها السفلى ملاصقة لها عند امتلاء شفها من الأطراف وانسيابهما من المنتصف .. ذاك التاج العسلي المتألق بإهمال على كتفها..! كان يعشق بكل بساطة تفاصيلها .. لم يستطع أن يشيح عينيه عنها ولا أن ينكر رغبته بها .. مهما كانت تظنه مثاليا أو شهما إلا أنه بداخله يعلم أنه ليس أي من هذا ..! هو فقط رجل عاشق تنهد ببطء وهو يصمت وجيب قلبه .. فلا يحق له أن يعبر لها عن حبه .. لا يحق له امتلاكها رغم أن كل ذرة رجولة به تتوسله ليفعل .. لا يحق له حتى أن يجعلها تشعر بذلك

تقدم خطوتين للداخل قائلا بصوته الأبح المميز :- " أخبرني أسر أنك وافقت على زواجنا ..!!؟"

لم يكن تسأؤل بقدر ما كان تقرير أمر واقع نظرت له بوجل وهي تجبر نفسها على الخروج من خجلها وصمتها وترددتها وخوفها وهي تهتف به بحدة :- كيف له أن يفعل هذا أنا لم أوافق بعد.. لدي شرط ..!؟"

توترت قبضته لكنه أخفاهما بجيب بنطاله ،وهو يقول ببرود وتباعد قدر ما يستطيع :- " لا مشكلة أيا كان شرطك أنا أقبل به .."

لاح الاستغراب بعينها وهي تسأله :- " لماذا؟! لماذا تفعل كل هذا ..!؟"

أكملت باضطراب، وهي تتقدم لمنتصف الغرفة تواجهه تاركة مسافة أمانة بينهما :- " لماذا تنفذني كل مرة أقع فيها بمشكلة ..!؟"

لماذا تظهر دائما في الوقت المناسب والمكان المناسب ..!؟ اقتربت أكثر حتي أصبحت أمامه مباشرة متجاهلة خوفها ..متجاهلة رفضها للاقتراب من جنس رجل لميل على الأقل .. لتأسر عينها بشمس عينيه ،وهي تهمس بترجي ويأس :- " أخبرني لماذا ... أريد أن أعرف .. أحتاج أن أعرف ...! "

لاح شبح ابتسامة غامضة بعينيه وهو يهمس :- " لي أسبابي ..! "

ارتفع صوتها بشيء من الغضب الذي جعل ابتسامته تتسع أكثر :- " ألا يحق لي معرفة تلك الأسباب ..!؟! "

قال بوعد بطئ " ليس الآن .. لم يحن الوقت بعد "

توترت وعادت خطوة للخلف حين لم تعد تقوى على مجابهة عينيه المتفرستين بها .. توترانها .. تشعر بملايين النملات تسري بعروقها .. تدفعها دفعا للرغبة بالتمليس على ذراعها وصولا لعنقها لتهدئة ذلك الجيش من النمل الصغير الزاحف عبر شرايينها، أعطته ظهرها بينما قبضت على أصابعها بتوتر كانت ابتسامته تتسع أكثر وأكثر ،هو متأكد أنها تلوك شفها الآن حتى تكاد تدميها ..!كان يحيرها،يحيرها بشدة لو أخبرها أنه يفعل هذا لأنه صديق لأسر، أوشفقة بها! كانت ارتاحت لكن ذلك الغموض يخيفها ، وهي لا تريد الشعور بالخوف بعد الآن ..!طال

صمتها ليتقدم هو منها خطوة .. كانت اقتربت من النافذة تفكر بعمق كما لو كانت نسيت وجوده في الغرفة وضايقه ذلك بشدة، لا يريد لها أن تنسى وجوده مرة أخرى اقترب أكثر وأكثر حتى أصبح لا يفصل بينهما سوى عدة خطوات بسيطة .. سألتها بصوت أبح :- "ألن تخبريني ما هو شرطك؟؟!"

لا رد ,كانت تفكر بعمق تحاول التوصل لحل ما كأنها أمام معضلة عجيبة لا حل لها !! اقترت تلك الخطوة حتى لم يعد يفصل بينهما إلا خطوة واحدة .. وبضعة أنفاس :- "هدى"

انتفضت .. يجب أن تمنعه أن ينادي اسمها بتلك الطريقة !! ارتفع بصرها لا إراديا إلى عينيه ككل مرة .. يناديها .. قريبا للغاية !! قريبا لدرجة أنها تري بؤبؤي عينيه يلتمعان بحلقات من الذهب تحيط الأحداق البنية.. يتخللها شذرات خضراء تتوهج ثم تخبو لتعاود التوهج مرة أخرى .. لم تعد تتساءل .. لما يبدو اسمها بين شفثيه مميذا .. كانت تشعر بعد انفجارها اليوم ,بعد اعترافاتها لأسر أن هناك شيئا ما يتحرر !! أن هناك سدا ما انفجر بداخلها.. إنها تريد .. ترغب في رؤيته .. والآن وهو يناديها بتلك اللهجة تشعر بشيء مألوف للغاية بملامحه .. شيء فقط لو ركزت قليلا لتذكرته !!.. هزت رأسها بيأس .. وتلك الغمامة السوداء تجب عنها تلك الذكرى .. ذكرى ملحة تشعر أنها مفتاح للعديد من الأشياء!!

قالت بإصرار :- "شرطي الوحيد للزواج منك هو أن تعدني ألا يؤدي أسر مروان!!"

توترت يده بشدة وشحب وجهه .. تحمي مروان !!.. خرج صوته قاسيا.. وهو يسأل:- "لماذا...!!!"

لم يزد عن ذلك التساؤل كانت تستطيع أن تجيبه بمثل إجابته الغامضة، لكنه كان يستحق أن يعرف حتى وإن أبقى أسبابه لنفسه، هو يستحق أن يفهم ويدرك!! هتفت بألم :- "لأحمي أسر"

استطردت بهدوء والحزن يلوح في عينيها :- " ألم يكن كل ذلك لأجل أن أحميه وألا يضيع مستقبله"

كان باستطاعته أن يصرخ بها يهزها يخبرها كالا لم يكن عليك حمايته من أي شيء ..! لم يكن عليك التعرض لكل ذلك العذاب . هو رجل كان يجب أن يتحمل هو أو أنا ،أراد الصراخ بملء حنجرتة . أراد أن يقول الكثير والكثير من الأشياء لكنه لم يرد أن يمحي تضحيتها وعذابها هكذا ليس الآن . ظل صامتا وإن كان صدره يجيش بالانفعالات حتى أصبح التنفس عليه عسيرا .. وألم معدته يزداد ،فكر يجب أن يرى طبيباً ..! همست هي ببطء وقد بدا أن السكون والصمت قد عم المكان فجأة :- " أنا أريد أن أنسى أن أشفى أن أبدأ من جديد "

اقتربت منه بلاوعي حتى أصبحت أنفاسها تلفح وجهه :- "ساعدني..!"

عذاب .. ذلك القرب منها هو عذاب .. يريد أن يستنشق عن قرب .. تلك الرائحة التي ما فتئت تعذبه سنوات وسنوات .. يريد أن يكون بمحيط أنفاسها .. ليستنشق تلك الأنفاس ..يرفض رفضا قاطعا أن تذهب أنفاسها عبثا في الهواء .. توترت وهي تراه يتقدم منها بتؤدة الفهد لتراجع خطوة للخلف، لكنه لم يوقف تقدمه حتى أصبح يشرف عليها ولم توقف هي تراجعها حتى أصبحت ملاصقة للحائط .. رفع ذراعيه ببطء ليحيط بها من الجانبين .. أغمض عيني به بشغف ووله مصفى .. حين داهمت أنفه تلك الرائحة أخيرا الخزامي ..! لم يستطع تمالك نفسه أكثر من ذلك فهو بشر وعاشق حد النخاع .. وانخفضت شفثاه بإرادته من قلبه

لتعانقا ذلك العسل المصفى المسمى تاجها ..! لتنتفض هي كمن صعق  
بكهرباء ..لم كان يبدو قربه منها مألوفا هكذا ...!! لم يتحرك أيا منهما!!  
بدا أنه راضٍ بهذا الوضع .. بينما هي بدت أسيره لشيء ما .. ربما كان  
رعيمها القديم قد عاودها .. ربما كان عدم قدرتها على الحركة ربما كان ...  
لسبب آخر لم تستطع تفسيره يجبرها علي الخضوع لتلك الرائحة  
الغامضة المألوفة لها بشكل غريب .. لكن انتصر رعيمها أخيرا على كل  
مشاعرها الغامضة الأخرى ليخرج صوتها مبوحا مرعوبا أجشا وهي  
تهتف باختناق :- "ابتعد أرجوك "

لم تستطع فرد أصابعها التي كورتها بشده تمسك بفستانها حتى كاد  
يتمزق .. "ابتعد "

بدت كما لو كانت لا تعرف سوي تلك الكلمة!!.. طعنات .. طعنات متوالية  
أصابت صدره .. موضع القلب والنبض تماما .. ليتهاشت ذلك الخافق  
بالألم من جديد .. تمالك نفسه بقسوة وهو يستعيد صبره وهدوءه  
المعتاد وإن كان يهلكه داخليا .. تراجع عنها حتى وصل للنافذة أعطائها  
ظهره ، وأخرج عبوة سجائره ليشعل إحداها في الفضاء بينما لازالت هي  
بموضعها نفسه وإغماضة عينها تلوك شفقتها في رعب .. هزت رأسها  
بنفي وصوتها تعلو وتيرته :- " غيرت رأبي .. لا أريد مساعدتك .. لا أريد  
الزواج منك .. لا .. لا أريد "

كانت تقترب مرة أخرى من الهيستيريا .. كانت تنظر إليه فزعة .. غير قادرة  
على الحركة .. مرعوبة انقبضت يده بعنف وهو يسحق السيارة بباطن  
كفه .. عل لهيها .. وألمها يطفئ ألم جوفه .. لم يشعر بيده تحترق ..  
التفت لها ببطء وهدوء ووجهه لا يدل علي شيء مما يعتمل بداخله  
هدوء وغموض فقط هو ما كانت تراه منه :- " لا تخافي مني هدى ولا

تقارني ببني وبين ذلك القدر الذي تزوجت منه أما شرطك .. فاعتبره تم  
.. لن يؤذيه أسر "

هتف لها بشراسة يحاول أن يثني أصابعه على الألم الذي بدأ يشعر به  
بيده :- " لكنني أقسم لك أنني أنا سأنتقم لك منه ..كوني على ثقة من  
هذا .. "

لمعت عيناها بدموع رفضت النزول .. مزقت آخر نبض بخافقه .. وخرج  
صافقا الباب بقوة ارتجت لها الجدران

\*\*\*\*\*

أخذت قاهرة تروح وتجيء بعصبية .. ماذا تفعل ..؟؟ سيأتي الآن في أي  
لحظة ويجب أن تكون مستعدة .. سألت نفسها بحنق مستعدة لما  
تحديداً ...!؟! لتمزيقه بيديك .. كاذبة ..؟ لا تستطيعين !! تشعر بكثير  
من حنق وغضب ورغبة في القتل .. لخديعته المستمرة لها لم تسقط  
بالفخ دائماً.. خاطبت نفسها بضعف لأنك في أعماق أعماقك تريدان  
ذلك بل وتسعين إليه .. أنت تريدان أن تقعي في فخه هو !! لا تصدق أنها  
أصبحت زوجته, زوجة أسربدر الدين ابتسامه لامست طرف شفيتها..  
حتى في أقصى أحلامها جموحاً لم تتخيل أن ترى ذلك اليوم.. الذي  
تصبح به .. هي .. زوجة أسربدر الدين .. !لملمت طرف فستانها الأحمر  
الدموي ،وهي تعاود الجلوس على طرف سريرها النحاسي العتيق ..  
والحزن عاد يلها بغمامته السوداء مجدداً .. لا تستطيع أن تنسى من  
يكون أسر ولا أسبابه للزواج منها .. لا تستطيع أن تنسى .. شذى .. لا  
تستطيع أن تنسى أنها إن سلمته قلبها سيحطمها ويرحل ..!لا شيء تغير  
..فهو لا يزال كما تعرفه !! مغوي .. فاتن ... مغرور .. أناني ..؟! تعالى  
غضبها مرة أخرى ببطء .. كلما تذكرت خديعته ومكره .. كان من المفترض

أن يكون اليوم خطبتهما كما اتفقا صباحاً ..! ضغطت على أسنانها اللؤلؤية بغيظ تصحح لنفسها بل كما أجبرها لتتحول الخطبة إلى زواج مباشرة وضع والدها أمام الأمر الواقع .. أمام الضيوف المجتمعين حين أعلن بكل بساطة وحالمية جعلت نساء عائلتها يقعن بغرامة مباشرة :- " أنه لا يستطيع الاستغناء عنها .."

مزحة تعرف هي وهو أنها مزحة ساخرة .. وأضاف بمزيد من السحر .. أنه يجب أن يسافرا غداً لبدء رحلة علاجه .. فهو طيار .. وتلك الجراحة ضرورة قصوى قد تؤثر على مستقبله كله ، وأسقط بيد والدها أمام الضيوف ، ولم تكن هي لتحني أو تكسر هامة والدها أبداً حتى ولو على حساب نفسها .. وها هي .. تحترق غيظاً .. وتستشيط غضباً .. لم تتفوه بكلمة حين دخل والدها عليها وبيده كتاب المأذون لتوقع اسمها إلى جوار اسمه .. أخذت تنظر إلى خطه القوي الثابت الحاسم تحت خانة الزوج لترتعث يدها دون إرادة منها وتدمع عينها وهي توقع باسمها .. لترتفع رأسها إلى والدها الذي كان ينظر لها بكثير من حب وفخر وحنان ترك الدفتر من يده ، وهو يعانقها بحنان جعلها ترغب في الإجهاش بالبكاء وهو يهمس لها بكل حب :- " مبروك ابنتي .."

لم تجد ما تتفوه به .. سوى أن دست نفسها أكثر بأحضانها تشعر بالخوف من المجهول الذي وضعت نفسها به .. لا تعرف كيف تتعامل معه ..! كيف تستطيع حماية نفسها من نفسها أمامه ..! اختفت قاهرة التي ظلت 8 سنوات تبني بها .. لتعاود قاهرة الصغيرة المتيممة به ظهورها ..! ابتعد والدها ببطاء وعيناه تتلألآن بدمعة سعادة وهو يرى ابنته رائعة الجمال والحسن أمامه عروساً رائعة .. كان يشعر بالفخر بها .. الفخر والزهو .. ابنته الحبيبة لأمس وجنتها بأصبعه ، وهو يحاول أن يسيطر

علي نبراته لتخرج حازمة كعادته لكنها خرجت أجشهُ قليلا ،وهو يقول في محاولة للمزاح :- " لا تجعليني أبكي .. فلن يكون منظري جميلا"

ابتسامه شاحبة لونت شفيتها وهي تقول بفخر ونبرة أجشة بينما رفعت أظافرها المطلية أحمر دموي تمسح دمعة علقت بأهدابها الرائعة :- " ليس والد قاهرة هو من يبكي ولو حتى من فرط السعادة .. ما عاش من يجعلك يبكي أبي "

لتناقض قولها باحتضانها والإجهاش بالبكاء ..ليشدد والدها من احتضانها بحيرة :- " حبيبتي ..لم البكاء ..؟! "

ثم وكأنه توصل لاستنتاج طبيعي ومنطقي لوضعها فقال بتساؤل حنون :- " أنت حزينة لأننا لم نقم حفل زفاف لك كما كنت تحلمين ..؟! "

كان ذلك آخر شيء تفكر به .. فتلك الزيجة .. لايمكن لها أن تكون حقيقية .. وبالتالي لايمكن لها أن تفكر في حفل زفاف .. رغم أنها تمنته سرا .. رغم أنها لا تنكر حزنها لأنه حرمها حقها الطبيعي كأنثى بأجمل حلم تحلم به فتاة .. ! زفافها الأسطوري .. فستانها الأبيض النقي .. و أميرها الوسيم ..! إلا أنها لم تتفوه بحرف من كل ذلك بل رسمت ابتسامه علي شفيتها لم تصل لعينها وهي تهمس له :- " كلا أبي بل أنا أبكي لأنني سأشتاق إليك "

رفع وجهها له يمسح وجنتها ببطاء وهو يمزح :- " أهه ستشتاقين لي .. يالك من كاذبة .. فقط تذكريني بين الحين والآخر إن سمح لك الكابتن بتذكر من يسمى والدك الحبيب "

احمرت وجنتها خجلا من تلميح والدها الصريح لحبها لآسر .. لكنه لا يدري أن ذلك القاسي لا يحبها .. ليكمل والدها بسعادة دون أن يشعر

بما يعتمل داخلها من فيضان وصراع وخوف وحزن وغضب :- " مبروك بنيتي مبروك .. والآن امسحي دموعك فلايصح لزوجك أن يراك باكية ماذا يقول.."

ثم أكمل بإيحاء باسم :- " أنك لا تريدينه...!! "

زوجك .. يالوقع تلك الكلمة على خافقها الضعيف .. زوجك أسر بدر الدين أصبح زوجها

قاهرة السليمانى وأسربدر الدين يا حمقاء كفى عن ذلك !..

خاطبت نفسها بعنف لتنتبه لباقي جملة والدها تمتمت باضطراب :- " يراني أين.. متى .. لماذا؟! "

انطلقت ضحكة والدها سعيدة تزيد قليلا من توترها ، وهو يقول :- " الآن وهنا .. أنسيت أنك أصبحت زوجته .. جهزي حالك لأنك ستذهبين معه فسفركما غدا حبيبتي ..؟! "

فجأة خامرها الخجل بغض النظر عن أي شيء هي تشعر بالخجل الطبيعي الذي قد تشعر به أي فتاة في مكانها أصبح زوجها رغم كل شيء وكل الاعتبارات والاتفاقيات بينهما رغم رغبتة في الانتقام حقدته وخوفها تشعر بالخجل فالوضع اختلف أصبحت زوجته همست :- " لا أبي لا تجعله يدخل "

لكن والدها لم يسمعها وهو يفتح الباب ليخرج .. سمعت ضحكاتهما خارجا .. صوته العميق الذي أصاب جسدها بشحنات غاضبة قوية .. صمت طفيف ... خطوات مخملية .. ثم إغلاق للباب ببطاء هي ليست مستعدة لرؤيته بعد .. تشعر بالغضب الشديد منه ، وتشعر بالخجل في

نفس الوقت تشعر بالفرحة وتشعر بالحزن تشعر بالضعف ،وتبحث عن قوتها فلا تجدها ،فمكنت في مكانها صامتة متوترة ، تسمر ما إن وقعت عيناه عليها حتى وقف مذهولا.. لجمالها هيبه ..لا يستطيع إنكارها .. رائعة الجمال ..كأميرة أسطورية .. بالغة الحسن والجمال .. لم ينس .. ما فكر به أول مرة رآها .. أميرة أسطورية ست الحسن والجمال .. في قصة الشاطر حسن ! رائعة الجمال وصفها .. صعب .. ! صعب صعب أن يدع قلبه يصف ما تراه عينيه متألقة .. تشع كما الألماس حتى وإن لم ترتد الأبيض الذي تمنى سرا رؤيتها به .. ارتدت الأحمر الناري .. الذي تألق على بشرتها المرمرية ممتزجا بخصلات شعرها الليلية .. وتقاسيما العجرية ليرزا لوحه من صنع الخالق ... لا يضاهي ريعها أعظم فنان .. أجبر قدميه على الحركة وهو يبدو مسحورا .. تقدم للداخل بخطوات خافتة كتم صوتها السجاد العاجي المنتشر على الأرضية .. حتى أصبح أمامها .. ليرفع أصبعه مهورا يلامس صفحة خدها ..لتنخفض أهدابها بارتعاشة بسيطة أسرته .. وتتلون بشرتها بالحمرة المذهلة ليشعر فجأة بألم في موضع القلب تماما .. ألم جعله يصدر آهة مكتومة .. باستغراب .. هل لجمال أن يؤلم القلب هكذا ..؟! توقفت الأنفاس بحلقها .. لا تعرف ما أصابه.. انتظرت منه كلمة جارحة .. ساخرة .. تبين تفوقه عليها .. انتصاره في حربهما الصغيرة تلك .. لكن كل ما جابهها هو الصمت لهذا الصمت القاتل..؟ خطواته البطيئة كانت تدعوها لرفع عينها إليه بتحدٍ كعادتها لكنها فقط لم تستطع ..شعرت ببرودة قارصة ..وكفه تعانق ذراعها الثلجي بهدوء..بطريقة دفعت بالدموع إلى عينيها، همس ببطء دون إرادة منه ومشاعر مجهولة تسيطر على حواسه لرؤية رأسها منخفضا هكذا .. أثارت جنونه :- " انظري إلي .."

لكنها ظلت علي نفس وضعها .. وجهها للأسفل .. بدأ يشعر بالجنون .. يريد رؤية وجهها عينها المتحديتين .. الغاضبتين .. لم يعتد منها هذا .. دوما كانت تجابهه بالتحدي والعناد .. القوة والشموخ .. يدرك أن تصرفه الليلة جرحها وبعمق ..! هو لا يدري لم يفعل هذا ..؟! لم يرد دوما تحدي قوتها ..!! شجاعتها تجذبها إليها كما الفراشة لالهب .. لكن الآن حين رأى رأسها المنخفض .. أصابه الجنون .. لا يريد لها الانحناء أمام أحد أبداً.. ارتفع صوته الأجش بأمر:- " انظري إلي "

لترتفع عيناها دون إرادة منها لتعانق عينيه .. بألم وجرح .. لتصيبه تلك السهام اللامعة من عينها بمقتل .. بدا لعينها رائعا .. بعينيه الرماديتين اللتين تحولتا فجأة لما يشبه البحر الأسود متلاطم الأمواج .. خصلات شعره حالكة السواد الندية .. وصفحة وجهه الحادة .. عظام وجنتيه المرتفعة قليلا وأنفه الشامخ المتكبر المغرور.. اتحدت النظرات بغموض لوهلة فقط لينحني عليها ببطء .. ببطء لم تستطع معه إلا أن تبقي مسمرة، وقد كف قلبها عن الخفقان ..تفكر باستغراق .. أسيقبلها ..!؟! أسر سيقبلها .. ! مالها تقف هكذا كالبلهاء .. تنتظر قبلته .. اعترفت لنفسها .. لكنها تريده أن يقبلها .. ! شعرت بشيء كالندي يرفرف فوق جبينها.. شيء كالنار يمر عبر جسدها .. لم تتوقع تلك الرقة منه .. أغمضت عينها دون إرادة منها لتغوص أكثر في ذلك الإحساس .. لا يدري ما حدث له تحديداً ..كان يدرك أنها مختلفة .. لكن لم يكن يدرك أن حاجته لها ستكون هكذا حارقة .. مميتة .. شعرت بقدميها رخوتين .. انكأت عليه ليحتضنها بشدة .. حتى أصبحت تشعر بعضلات صدره القوية تحت يديها .. تشعر بخافقه كقرع الطبول .. أرادت أن تشق .. تريد بضعة أنفاس بعيدا عنه .. لكنها لا تستطيع .. لا تستطيع يأسرها داخل ذراعيه دون إجبار .. يبدو إن الإجبار يأتي من جسدها هي .. لكن لا يجب لها أن تنسي

.. أنه يريد إذلالها .. يريد إخضاعها .. ! يريد عقابها علي شيء .. قصدت منه كل خير له .. ! لتنتفض مبتعدة عنه بأنفاس متقطعة .. بدا حائرا قليلا وهي تهمس:- " اخرج من فضلك..؟! "

قطب وقد بدا مذهلاً بشعره الأشعث قليلا ونظرته الغائمة .. أهدأها المبلبله تدعوانه إليها .. رفع يده يعيد خصلات شعره للخلف ببطء ونظره ساخرة تعلقو ملامحه الوسيمة وهو يعاود الاقتراب منها لتراجع هي خطوه للخلف .. ارتسمت بسمة ساخرة علي شفثيه وهو يقول:- " لم يعد بإمكانك إبعادي عنك حبيبي .. فأنت أصبحت لي .. زوجتي ... وأخيرا سأحصل عليك مثلك مثل أي امرأة "

لمس صفحة وجهها ببطء ليرتفع رأسها بذلك الشموخ الذي يأسره ويجعل قلبه يرتعش ، أثاره وهي تقول بصوت شامخ مرتعش قليلا :- " لن تحصل علي أنا فأنا أبعد من أبعد أحلامك .. وذلك الزواج أنا وأنت أدرى بأسباب قبولي به لا تنس ذلك أبدا . استخدمت حي لوالدي لتجبرني عليه .. كنت صريحا من البداية ، واخبرتني احتقارك ورغبتك في تحطيمي واحترمت بك ذلك ، احترمت صراحتك في تلك الحرب بيننا فلا تأتي الآن وتكون منافقا أو متلاعبا كن نزيها في حريك .. "

شمخ رأسها أكثر وهي تقول ببرود يناقض طبول الحرب القارعة بين أضلاعها :- " سأسافر معك .. وسأبقي معك حتى تشفي .. حتى تنتهي عمليتك الجراحية على خير .. وبعدها لن تستطيع إجباري علي البقاء معك .. أبدا "

ارتفعت يدها بتحذير وكبرياء فتنة :- " لكن لا تظن أنك بقادر على كسري أو هزيمتي أنا قاهرة لم أسمى هكذا هباء "

أخرجها من شرودها طرقة خافتة علي باب حجرتها .. لم يكن مروان يطرق الباب أبدا .. نهرت نفسها بقسوة يكفي هدى أنت تعلمين أن نادر ليس مثل مروان أبدا ليهتف جزء صغير بداخلها: أعرف لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من المقارنة والخوف، أخذت نفسا عميقا، وهي تهمس بصوت بالكاد سمعته هي :- " ادخل .."

ليفتح الباب بصمت .. ويتقدم بطوله الفارع للداخل رفعت عينها إليه ببطء ،كان قد خلع جاكيت بدلته الرسمية وفك ربطة عنقه تاركا إياها ملأه علي عنقه البرونزي، بينما فتح الزرين العلويين .. كمي قميصه قد تم رفعهما للأعلي ليظهر ساعده الذهبي الشعيرات .. لتتوقف الأنفاس في حلقها .. بخوف .. كل شيء عندها يرتبط بالخوف والرهبة .. لكن شعورا آخرا صغيرا كان يطفو علي السطح ويهبط للقاع فجأة .. ولسان حالها يخبرها بكل واقعية إنه وسيم .. بل بالغ الوسامة .. لتهر نفسها بشدة وما تريد هي من وسامته .. يكفي أن يفى بوعده لها فقط ..! آه لا يستطيع الاحتمال .. رؤيتها بذلك القرب .. بتلك الهيئة .. تلك الخصلات .. ذاك العسل المصفى المسمى شعرها .. اشتاق له ول رؤيته .. اشتاق لحد الجنون .. حد التطرف .. حد الألم اقتراب خطوة أخرى ونيران بمعدته .. تؤلمه للغاية لكنه تحامل على نفسه ،وهو يقترب أراد لملمة عطرها بصدرة الخزامي كم يعيش تلك الرائحة ..!.. تاملها أشبه ببعثرة أضلع .. ذلك السكون الذي يملأ الأجواء.. صراخ اشتياق ..يصرخ به إذ ذاك النابض بين أضلعه.. تلك الروح...تصرخ بوجع يريد لمسها فقط ليتأكد أنها حقيقة .. وأنها هنا تقف أمامه دون حواجز أخيرا أراد سؤالها آلاف الأسئلة .. لم .. وكيف .. ولماذا ..؟! لكنه كان يعرف أن لا فائدة ..؟! في لا تتذكر.. هي ترفض التذكر ..! عبث بها ذلك القدر.. أتلفها تماما .. لكنه سيعيد لملمتها .. سيعيد تجميع تلك البعثرة، ولو كلفه ذلك حياته ..

سيعيد هدى الحلم الذي فتنه، طال صمته وتأمله ما دعاها لخفض عينها بخجل .. توتر وارتباك .. ماباله ينظر إليها هكذا .. تلك النظرات .. يجب أن تشعرها بالاعتزاز .. لكنها توترها .. تجعل فراشات ترفرف أسفل معدتها .. تهتدت وهي تقطع ذلك الصمت بتوتر سائلة إياه ببحة :- " أين سأنام ..؟"

أجبر صوته علي الرزانة ليخرج بها :- " أين كنت تنامين سابقاً..؟! "

نظرت له في حيرة ليقول بأسى :- " هذا بيتك أتذكرين ..؟! "

رفعت رأسها له بتوتر .. كيف له أن يعلم أنها لا تتذكر ..؟! كيف له أن يعلم ما جاهدت لإخفائه عن الجميع أنها لا تتذكر العديد من الأشياء التي تخص حياتها قبل مروان ..؟! ارتعشت أهدابها ليقرب منها ببطء وهو يقول بحنين جارف :- " لا بأس عليك أنا أتذكر "

توترت بألم وهي تفكر .. كيف له هذا ..؟! كيف يعرف أدق تفاصيل حياتها لم لا يريد أن يريحها ويخبرها كيف يعرفها تلك المعرفة ..! ارتفعت عينها دون إرادة منها تعانق صفحة وجهه ،وقد تألأت بهما دمعتان .. ليؤلمه قلبه جدا .. هي كأنية زجاجية بالغة الهشاشة، يخشى عليها من التحطم لكنه لا يملك إلا أن يختبر قوتها ..!! مد يده دون إرادة منه يقبض علي أناملها بقوة وهو يجذبها خلفه :- " تعالي .. "

لم تملك إلا أن تتبعه ونار تسري في عروقها لمعانقة قبضته القوية لأناملها الرقيقة، صعد الدرج بكل سهولة، وهي خلفه تتعثر بفستانها الحريري الزمرددي اللون .. حتى وصل إلي حجرتها القديمة .. تلك التي تحوي أجمل ذكريات حياته له ولها ..! فتح الباب ببطء .. كانت الغرفة لا تزال كما هي لم يبدل بها شيء منذ اشترى المنزل ،تركها كما هي بقايا

زجاجة عطر , ملاءتها الوردية .. صورة لها على الحائط .. دخل ببطء  
وابتسامه تتلاعب على شفثيه دون أن يشعر بمن توترت خلفه قد لا  
تتذكر شيئا لكنها تكره تلك الغرفة هي تشعر بانقباض .. واختناق .. بدأت  
تسحب يدها من بين قبضته بعنف ، وهي تهز رأسها برفض ترفض التوغل  
للدخل أكثر من هذا :- " كلا "

همست بها " لا أحب تلك الغرفة .. لا أحبها .. لن أنام هنا "

التفت إليها باستغراب ..!! ليتفاجأ بشحوبها البالغ .. اصفرار وجهها  
وعينيها الزائعتين .. يدها التي أصبحت قطعة ثلج بين يديه الدافئة .. فلم  
يتمالك نفسه وهو يجذبها إليه .. يريد تهدئتها .. يريد إعطائها شيئا من  
قوته .. يريد إراحته بالطريقة الوحيدة التي يعرفها .. التي يرغبها .. التي  
أصبحت بإمكانه ..! ضمها إليه بسرعة وشدة دون إرادة منه .. يريد  
الشعور بها بين أحضانه , ملك له أخيرا لتنفجر هي ببكاء .. لم يكن بكاء  
هيسستيريا أو بكاء خوف؛ إنما كان بكاء حزن يقطع نياط القلب ليزيد من  
ضمها إلى صدره الصلب بقوة .. ولتخفي هي وجهها بتجويف كتفه تتشبث  
بظهره .. بأظافرها .. بقوة .. بقوة حتى شعر بالألم جسديا .. آاااه يا هدى  
ماذا فعلت بنا ..؟! " ضعفت قبضتها التي تشد على ظهره رويدا رويداً ..  
وتهدأ أنفاسها ببطء .. ارتخي جسدها فجأة بثقل علي جسده .. ليبعدها  
ببطء فزعا .. ليجدها نائمة .. غصة مرارة احتكمت حلقة؛ حتى أوشك  
على الصراخ قهرا .. لكنه ابتسم بأسى وهو يرفعها ببطء وحنان بين  
ذراعيه .. توجه بها إلى غرفته .. واضعا إياها على سريره الضخم .. ثم  
وقف يتأملها بحب وحنان .. أخيرا أصبحت له زوجته .. حبيبته .. يكفيه  
وجودها هنا يكفيه .. اختلاط أنفاسها بمحيط أنفاسه .. يكفيه شذا  
عطرها .. الخزامي يداعب أنفاسه .. ويملاً كيانه تهدد بؤله مصفى لها،

مد يده ببطء ليزيح حذاءها .. دثرها .. وأطفأ الأنوار .. ثم جلس بالمقعد المقابل لها .. يشبع عينيه من مراها .

\*\*\*\*\*

أغلق عليهما باب واحد .. ليزداد توترها .. بعد انفجارها وتحديها له بمنزله والدها التزم الصمت تماماً ..! ولم يشعرها هذا بالتحسن أبداً ..! حين رفعت أصبعها بوجهه تتحداه .. نظر لها ببسمة ساخرة غامضة وتركها وخرج .. بعدما ألقى لها بجملته باردة واحدة فقط .. " استعدي ..للرحيل .. وجهزي حقيبتك فغدا سفرنا "

وقعت عيناه عليها لتنتشله من شروده الغاضب .. هي السبب ..! كل ما يحدث حوله يمر مرور الكرام .. فقط ليحصل عليها .. ما تلك الرغبة المجنونة التي يشعر بها تجاهها .. لم يكن راها ولا زاهدا بمحراب النساء ليجن رغبة بامراه ..! لكن معها يشعر بالتوق .. التوق الشديد لشيء طال انتظاره .. كالظالم في الصحاري ، تلك النظرة التي لاحت في عينها وهي تودع ذلك الأحمد قتلته .. وأشعلت النيران برماد ظن أنه بقى خامداً تفضل ذلك عليه هو .. تبتسم له وتسعي أناملها دوماً لضمه ..! كاد أن يقتلها وهي تتشبث بطرف كم أحمد تهمس له بشيء ما .. لم يروجهها جيداً لكنه رأى وجهه هو .. وجه عاشق ..! عاشق لزوجته ..! زوجته التي لا يستطيع الحصول عليها ..! كرامته تمنعه ..! كبرياؤه يمنعه ..! شيء ما أعمق من كل ذلك يمنعه ..! جالت عينها على المكان بفضول .. شقة عازب من الدرجة الأولى بثرياتها الملونة بألوان قوس قزح .. الديكور البسيط الفاتن .. باللون الأسود .. شقة مغوي ..! ما شدها بشدة للتقدم هو تلك النافذة الضخمة التي تلقي من ظلال القاهرة الساحرة ببريقها إلى الداخل المظلم .. تقدمت ببطء وحفيف ثوبها يصل إلى مسامعه ..

لتقف شامخة الرأس تنظر إلى القاهرة، رفع رأسه ينظر إليها بعدما كان قد قرر تركها ،والذهاب للنوم قبل أن ينفجر بها .. قبل أن ينفجر كل شيء .. كل ما يخزنه بها لكنه توقف بانهار لا يكف عن الشعور به يتألمها.. لوحة سرمدية الخلود .. القاهرة تنظر إلى القاهرة .. انهار سحر تام هو ما يشعر به .. بدت ساحرة .. لا ينفك يردد تلك الكلمة .. لكنها أصدق مثال عما يراه ، ظهرها له بفستانها الياقوتي المشع وأطرافه تتساقط حولها كالشلال علي الأرض ، شعرها العجري الأسود منثور علي ظهرها وذراعها الثلجي .. رأسها مرفوع بشموخ .. والقاهرة أمامها متألئة بالأضواء .. صورة لا يعتقد أنه قادر على محوها أبدا من ذاكرته ، أخرج نفسه بقسوة من حالة الانهار تلك أجبر صوته على البرود قائلاً :-" هنا غرفتك .."

التفتت ببطء وعينان تتلألآن بألف شمعة ليلتلع ريقه الجاف بقسوة، يجبر قدميه على التحرك بعيدا قبل أن يتهور ويعيد تلك القبلة بينهما مرة أخرى .. وتلك المرة لن تكون قبلة هي ما يتوقف عندها ..! تركها وذهب .. اختفي خلف إحدي الحجرات المنتشرة بشكل دائري أمامها ، الفظ البارد الجلف .. أووووه تتميز غيظاً وحنناً .. ألم يتمكن من قول جملة ما جيدة .. أن يسألها إن كانت تحتاج شيئاً ما .. أن يتجول بها داخل شقته الفخمة .. لكن كلا .. بل تركها واقفة كما هي .. كانت تناقض نفسها بشدة . ذلك هو حالها .. تريد اهتمامه وتخشى منه .. تريد حبه وترفضه في نفس الوقت .. رفعت رأسها بشموخها المعتاد ، وهي تهمس لنفسها لا يهم لا أحتاجه .. أبدا.....! اتجهت لغرفتها التي أشار لها وهي تتعثر بحواف فستانها المتألق .. بغضب وعصبية .. لم تتأمل الغرفة .. فلم يكن بها شيء مميز .. غرفة عادية .. لا تدل على شخصية صاحبها .. غرفة ضيوف كما يقال .. أضواء الأنوار، واتجهت إلي المرأة تنظر لنفسها .. بأسى لم يعلق

حتى علي جمالها .. الرجل الوحيد الذي لم يعلق يوماً علي جمالها .. هي لا تسعي للمديح .. فهي تعرف أنها جميلة .. لكنها تمننت منه أن يخبرها هذا ..! هزت رأسها بغضب من نفسها توقفي

توقفي قاهرة توقفي مابالك؟! أصبحت غريبة عن نفسك حتى ..! تهدت وهي تنزع الملاقط والمشط الماسي من شعرها لتشعر بحرية خصلات شعرها علي كتفها .. مدت يدها للخلف تفك السحاب .. لكنها لم تطوله ... فالفستان دائري الظهر تحت عظمتي كتفها .. فكرت ساخرة اختيار شذي .. التي دخلت إليها معذرة بعد انفجارها صباحا .. معذرة وباكية ومعلقة .. كيف أن رؤيته مرة أخرى فاجأتها ..! كيف يتم زواجها منه بينما كانت دوما تنعته بالمغرور الفظ المتعجرف .. فاجأتها ..!! لكنها احتضنت قاهرة .. تتمني لها السعادة ..! لا تعرف سبب تغير تفكير شذي بسويغات قليلة .. لكنها كانت قد وصلت لمرحلة عدم الاهتمام كثيرا .. يكفها ما هي فيه من مصائب ..! يكفها أنها لا تستطيع أن تخبر شذي أن كل أفكارها وكلامها لايزال كما هو فهو لايزال باردا متعجرفا مغرورا .. الفرق الوحيد أنها ادعت حبه حتى أصبحت تحبه فعلا ..! أووه .. حاولت مرة وأخري وثالثه حتى نفذ صبرها .. ستكون ملعونة إن نادت عليه .. ستكون ملعونة حتى ولو اضطرت للنوم بذلك الفستان المزعج .. ستنام به .. ولا أن تطلب منه مساعدتها! حتى ولو اضطرت لتمزيقه إرباً .. برقت عينها بالسرور لتلك الفكرة اتجهت للحمام وعيناها تبرقان بغضب وتصميم وعناد لم تجد أي شيء يساعدها على تمزيقه .. خرجت من غرفتها بعدما ملمت أطراف الفستان بيدها .. ونظرت حولها .. ميزت المطبخ الأمريكي الطراز واتجهت له .. فتحت الأدراج بقليل من عنف .. لا بد وأنه نائم الآن .. وما قد يشغل باله ..! وجدت سكيناً صغيراً لتهتف بفرحة .. رفعت يدها وأمسكت صدر الفستان بيد ... وباليد الأخرى السكين

أخذت نفساً عميقاً تتحسر على الفستان الرائع ، ثم بدأت بشق الفستان من عند الصدر !! فكرت تواسي نفسها هو شق صغير فقط ما يكفي لأستطيع خلعه !!

" ماذا تفعلين ..!!؟ "

أتى صوته فزعاً .. وهو يرى السكين بيدها قرب صدرها تماماً .. اقترب بخطوات سريعة منها في حين رفعت وجهها هي في صدمة .. لتكمل بارتباك وضيق .. :- " كنت أحاول خلع الفستان ...؟ "

هدر صارخا ..: كيف؟! بتمزيقه أم بقتل نفسك

قالت بعناد وحنق من سخريته منها .. :- " لم أستطع فك السحاب "

اقترب أكثر وأكثر حتى أمسك بيده الحارة صدر الفستان الشبه ممزق لتخز أنامله جلدها بطريقة دفعت الاحمرار ليتصاعد مكتسحا بشرتها بينما بدا هو غافلاً عن تأثيره عليها وهو يصرخ بها بغضب :- " ولم يخطر ببالك أن تطلبي المساعدة ..؟! "

صمتت ليكمل هو بسخرية أشد :- " لكن كلا بل أتيت بسكين تريدين تمزيق الفستان ، وقد تقتلين نفسك ولا أن تطلبي مني المساعدة "

ليخشوشن صوته بالمقطع الأخير :- " أليس كذلك ..؟! "

أخفضت عينها ببطء دون قدرة على الاعتراف بصحة ظنه .. أخذت نفساً عميقاً يحاول أن يهدئ من خفقات صدره الفزعة .. فقد ظن حين خرج ليشرب .. ظن أنها!! منظرها والسكين بيدها قرب القلب تماماً .. لا يزال يشعر بالفزع .. الفزع والخوف وهو لا يحب ذلك الشعور لا يحبه أبداً !!

سحب السكين من يدها ببطء وهو يهمس لها بصوت متحشرج :- " استديري .. "

رفعت إليه عينين متوترتين رافضتين لذلك القرب الكاسح منها .. لتلاحظ عينها شعيرات صدره العاري الذهبية .. كان يرتدي البنطلون فقط .. بينما وقف أمامها بطوله المهيب وعضلات صدره القوية خصره الضامر .. لتشعر فجأة بتسرب الهواء من رئتها تماما !! التفتت ببطء لتشيق بخفة ما إن لامست يده الباردة صفحة ظهرها الحارة .. بدا أن يديه تباطئتا في رفع خصلات شعرها السوداء العجرية قليلا .. ليزيحها جانبا ببطء .. لامست أنامله عمودها الفقري ببطء .. فتح السحاب قليلا بمهارة .. ولم يبتعد .. تشعر بالاختناق يجب أن يبتعد .. فهو يأسر ذرات الهواء كلها له وحده .. وجيب قلبها بدأ يصم أذنها .. لتختنق تماما حين حوطها ذراعاها الحارتان ببطء من الخلف يشد خصرها الضئيل إليه .. يريح رأسه علي قمة رأسها دافناً أنفه بين خصلات شعرها يستنشق بعمق .. تسمرت لم تجرؤ على الحركة .. أو حتى التنفس .. وصدره الحار يلفح ظهرها بموجات كهربائية لذيدة أغمضت عينها ببطء واشتياق .. تريح جسدها علي ظهره ليقفا صامتين .. لدقيقة .. وحين خرج صوته كان بحاً وهو يهمس مرغماً :- " خفت عليك .. !! "

لترتعش أهدابها بتلك اللؤلؤة العريزة .. لم يفعل هذا ..؟؟ لم يعذبها هكذا ..؟! كيف يكرهها ويعاملها تلك المعاملة .. حاولت الابتعاد .. لتشتد ذراعاها حولها بقليل من حاجة همس بنفس الصوت الأبح :- " ابقني .. "

حاولت الابتعاد رغم ذلك لكنه أدارها إليه ببطء .. ففكر .. شيء يدعوه للموت هاهنا ببراري عينها ..! كان ينظر إليها بطريقة سمرتها .. وجعلت من الصعوبة عليها التنفس لتنفج شفثاه عن بسمة ثقة وغرور ! لتشعر

بتلك البسمة .. الرقراقة .. كخبر عالي الضجيج .. كانت تلك الابتسامة هي ما أيقظها من هذا الحلم القاني الذي أغرقها فيه !! لتبتعد شاهقة دون حرف هاربة إلى غرفتها صافقة الباب خلفها بقوة ارتجت لها الجدران

\*\*\*\*\*

كان الصمت كالعادة شريكهما .. لكن الليلة طغى الصمت على الجميع .. ريم .. نائل .. وشادن ومحمود الذي طغى دخان سجائره على جو السيارة .. رمت شادن رأسها خارج النافذه تشعر بالاختناق .. ليس من السجائر لكن من كل ما يحدث حولها بينما كانت نظرات نائل محيرة .. وريم ضائقة .. تنظر لمحمود بشيء من الغضب و التفكير .. حتي همست شادن باختناق :- أوقف السيارة ! توترت أعصابه، لكنه لم يتوقف بل ازدادت يدها تمسكا بمقود السيارة .. ارتفع صوتها وهي تعبث بمقبض الباب

أوقف السيارة الآن حاااااااا

.. فتحت الباب قبل أن تتوقف السيارة تماماً لتهرول راكضة منها .. كان الشارع يعمه الهدوء والصمت .. والسيارات المسرعة تمرق خلفها .. برودة تسللت إلي أطراف أناملها .. تدعوها للانهيال لتسقط ببطء علي ركبتيها باكية .. تشعر بالاختناق ما عرفته الليلة .. يقتلها .. يقتلها ببطء .. ما أخبرتها به هدى ..! وجع انتشر بحنايا روحها .. والدها .. كيف له أن يكون هكذا .. ! لماذا نجت هي ..! أسرلا يعلم بنصف ما حدث ل هدى .. أاااااه لو يعلم ..! وهدى ..! وذلك الرائع ... الذي أنقذها ..! أرادت احتضانه .. أرادت شكره .. حمدت ربهأ أنه كان موجودا لأجل أختها .. بدت كل

مشاكلها كل مشاعرها تافهة، كل ذلك أمام ما مرت به أختها ..! همت ريم  
باللحاق بها حين أوقفها محمود بخشونة :- " ابقى هنا.. "

ليترجل في صمت من السيارة .. اقترب منها وأصبح يشرف عليها بطوله  
الفرار ليقول بخشونة وقسوة " يكفي شادن .. "

شهقت شادن وهي تبكي ببطء وألم موجه ..: لا أسـ.ـ ت طيع التـ و قف  
..! أAAAAAAAAAAه .. إااهى هى

ليعلو صوته بقسوة بالغة بينما اشتدت ملامحه تصلبا وعيناه جمودا  
وإن كانت طريقة وقفته توحى بالغضب الشديد ..حاول السيطرة على  
غضبه .. حاول كثيرا .. حاول ألا يهتم لكن رؤيتها بهذا الشكل ..دمرته..!

" قلت لك يكفي .. كفاك طفولية وانهضي إلى السيارة "

رفعت إليه عينين مجروحتين بالصميم ، وهي تصرخ بصوت متقطع :-  
طفولية .. أترى كل ما يحدث لي طفولية "

قال بقسوة وهو يضغط على أسنانه :- وماذا يحدث لك .. شادن..؟"

أكمل بسخرية :- كما أرى أنت لم ولن يحدث لك شيء أنت لم تر ما يمكن  
أن يحدث لفتاة مثلك حتى تنوحى هكذا

تلونت نبراته بالغضب والحزن ، وهو يكمل :- ما حدث كان لأسر ، لهدى  
لكن لك أنت لا، لم يحدث لك شيء لم تر الفتيات في مثل عمرك وهن  
يقتلن ، يعتدي عليهن يمزقن كل يوم "

اخشوشن صوته والنيران تحترق بالغابة السوداء هادراً :- لم تر الأمهات ينتهكن يغتصبن .. يفقدن أولادهن وأزواجهن وأهلهن وكل عالمهن في لمح البصر "

انخفض صوته وهو يستمر :- لم تر أخاك وهو يقتل أمام عينيك .. صديقك يعذب حتي الموت .. لم تر منزلك وهو يشتعل ولا بنات قرينتك يحرقن أحياء أنت لم يحدث لك شيء فانهضي واحمدي ربك علي نعمته "

كانت دموعها قد جفت تماما الآن .. بينما توقفت الأنفاس في صدرها رهبة وفزعا للصور التي أخذت تخيلها لما يحكي عنه خرجت أنفاسها متقطعة، وهي لا تري منه سوي ظله الباهت في الظلام السائد لتنهض بصمت عائدة إلي السيارة رافعة رأسها وقد تبدل عالمها تماما منذ تلك اللحظة .

\*\*\*\*\*

فتحت عينها تشعر بشيء من الحيرة .. أغمضت عينها مره أخرى تقاوم النعاس الشديد الذي تشعر به ... غاصت بأنفها بين الوسائد .. ترتشف من عبق تلك الرائحة المسكرة الحادة التي تتخلل مسامها .. أخذت نفسا عميقا، وهي تغمض عينها .. منذ متي لم تنم .. لا تدري يبدو أنها لم تنم دهرا من الزمن .. تثناءت ببطء ،وهي تتمطي بأريحية وتلك الرائحة لا تزال تلفها كالمخدر .. شيئا فشيئا بدأ شيء من الإدراك والوعي يجولان برأسها الطافي فوق الضباب .. لتنهض فزعة والملاءات تتطاير حولها خصلات شعرها التي أفلتت من عقالها أعمت الرؤية عن عينها .. ! أخذت أنفاسا سريعة متلاحقة ساقيان ممددتان أمامها .. رفعت يد ترتعش تزيج خصلات شعرها العسلية بعيدا بقليل من عنف .. تدقق

النظر ليتوقف قلبها عن النبض .. فقدت نبضة واحدة .. ليعاود الضخ عبر أوردها بسرعة شديدة .. نادر ..! نادر .. أمامها .. نائم .. بدون راحة كما يبدو .. يجب أن تشعر بالخوف والفرع .. ماذا يفعل هنا في غرفتها ..؟! تساءلت .. هل هي غرفتها ..؟! تلفتت حولها .. هل هي غرفتها أم غرفته..!!؟ الغرفة تبدو رجالية صرفة ..! كيف أتت إلى هنا .. لتتذكر ما حدث بالأمس .. لتتصاعد الدماء إلي وجهها بعنف .. غريب أمره .. من أين يعرف الكثير من الأشياء عنها .. أحيانا تشعر به يدرك أفكارها قبل أن تتفوه بها .. حتي وإن لم تتفوه بها يكفي أن ينظر لها ليعرف ما يجول برأسها ..! لكنها لا تخافه .. هزت رأسها باطمئنان ..هي لا تخافه .. هو وعلي غير عادة الرجال يعيرها الأمان .. ربما لأنه صرح لها أنه لا يريد شيئا منها .. لا تراوده أفكار الرجال القذرة وحاجاتهم البائسة ..! أصدقاء ..؟! تشعر به أقرب إلي صديق لها من زوج ..! زوج...! توترت من تلك الكلمة .. هزت رأسها برفض .. لكنه لا يريد منها شيئا، هو فقط يرغب في مساعدتها .. يبقي أن تعرف لم ..؟! لم يريد مساعدتها ..؟! أعادت النظر إليه تلك المرة بفضول حذر.. يبدو وسيماً .. بالغ الوسامة ولحيته القصيرة قد طالت قليلاً .. لا يبدو مرتاحا في نومه علي ذلك المقعد الضيق وقدماه تطلان السرير .. لم تر رجلا بطوله من قبل ..! نهضت ببطء تقترب منه بخفة .. وشرارة غريبة تشتعل بداخلها .. شرارة مرحة علي غير العادة ..! رموشه في غاية الطول .. ذهبية اللون .. حاجباه وذلك جرح بحاجبه الأيسر .. مدت أناملها ببطء ودون إرادة تقريبا تتلمسه لينكمش حاجبه ببطء تحت ملمس أناملها.. لتراجع بفرح وخوف .. لكن حين لم يتحرك عاودت الاقتراب بفضول غريب وشيء ما يأسرها للملامسة ذلك الحاجب مرة أخرى .. شيء غامض .. صورة ضبابية .. لشمس أسرت عينها قديماً .. لتتعالى ضحكة شقية بداخلها ..! كانت تشعر بالغرابة .. لم تعد تريد الشعور بالحزن أو الخوف .. أو القلق .. الرعب لمست ذلك الحاجب ببطء وانهار .. وتأمل .. أخذت

أصابعها ترتبان تلك الشعيرات الناعمة ببطء حين انتفضت فزعة فجأة خارجة من بحر أوهامها على يده التي قبضت علي أناملها بقوة وهمسته الأبيحة بتأثير النعاس:- ماذا تفعلين ..؟

سحبت يدها بشدة وهي تبتعد بوجل .. لتتسع بسمته الناعسة .. جذبت الشرشف بسرعة رهيبية تداري شعرها وجسدها خلفه حتي أصبح كرداء كبير للغاية عليهما.. لتشتعل النيران بشمس عينيه ، وهو يهب فجأة ما أفزعها وجعلها تتراجع للخلف خطوتين .. لتشهق وهو يسحب الشرشف من حولها لا يريد أن تختبئ منه بعد الآن .. لا يتعمد معاملتها بقسوة لكن الكيل فاض به .. حتى رؤيتها تريد حرمانه منها .. منذ لحظات كان مسرورا لأنها تلمسه بإرادتها حتى وإن ظننته نائما ، همس بقوة .. مشاعره وكلماته المقتضبة تسبقه :- " لا تختبئي مني بعد الآن .. لن أسمح لك ..؟"

رفعت بصرها إليه بعينين مذهولتين وهي تهمس ..: " ماذا ..؟! "

رمى الشرشف علي السرير وهو يتركها متجها للحمام قبل أن يتهور :-" كما سمعت تلك آخر مرة تخبئي نفسك مني خلف أي شيء ..! "

obeikandi.com

الفصل الثامن  
ذاكرة .. أحاسيس

هُنالكَ كراهية لا يضاهاها حب ..

هُنالكَ حُب في شراسة الكراهية ..

هُنالكَ أنا..

هُنالكَ أنت..

لا يدري كم بقيت داخل الحمام، يبدو له منذ الأزل يشعر بالقلق عليها ..القلق البالغ !! عَنَّف نفسه بشدة تهورت نادر .. تهورت على غير عادتك .. سخر من نفسه بشدة .. ومنذ متي كنت على طبيعتك..؟! منذ رأيته من خمس سنوات وقد أصبحت شخصا آخر !!.. يحبها .. يحتاجها .. يشناق إليها ..! كل تلك مفردات بسيطة متداولة .. لكنها صحيحة .. لم يكن يعرف ماهو الاشتياق حتى أصبح يشناقها ..! ولم يكن يعرف ما هو الاحتياج .. حتي أصبح يحتاجها..! أما الحب ...! فهو لم يكن له تعريف بقاموس حياته حتى رآها .. حتى أهدته ذلك الجرح الأول .. وتوالت بعدها الجروح .. يقولون .. الحب ينمو بالبعد .. بالاشتياق .. بالاحتياج وهو .. مارس طقوسهم .. طقس .. طقس !! أخذ يزرع الغرفة ذهابا وإيابا بتوتر .. لاحت بسمه علي شفتيه .. رفع يده يتلمس حاجبه .. يشعر بالجنون لأنه يحب ذلك الجرح .. أيعقل أن يحب أحدهم جرحا ما ..؟! رغم كثرة الجروح بجسده إلا أن ذلك الجرح هو الأحب لقلبه ..! ذلك الجرح هو ما كان يجعله يصبر .. هو ما كان يدفع بالحنين لقلبه العطش لها ولرؤيتها .. ثلاث سنوات كان يراقبها من بعد ..! يراها .. أحيانا كان يشعر بالجنون حين يراها .. يشعر بالرغبة بالصراخ .. يشعر برغبة في الهرب والابتعاد .. وأحيانا كثيرة ما كان يطيع رغبته تلك ويتعد: فتلك ليست هدى التي أغرم بها ..! تلك أصبحت امرأة متزوجة !!.. أحيانا كان يشعر بالنقمة عليها .. كم من الليالي استغفر ربه كثيرا وطلب منه نزع حياها

من قلبه .. كم من الليالي كان جرح حاجبه ذلك يؤلمه بشدة .. ينبض بالألم بطريقة غير طبيعية .. رغم صغره الشديد وعدم أهميته إلا أنه كان يؤلمه .. يشعر أن ذلك الجرح كان صلته بها في البعد ،كلما تأملت شعر به ينبض بالألم .. حاول إبعاد نفسه كثيرا .. قبل أكثر المهمات جنونا !! وأكثرها خطرا .. أصيب في مراحل كثيرة إصابات مميتة لكن..دوما كان هناك شيء ما يحثه على الاستمرار علي المقاومة ..علي البقاء بالجوار جعل شغله الشاغل معرفة كل شيء عن مروان !! تغير كثيرا عن مروان الذي كان يحكي له أسرعه .. الذي طمأنه أسرأن أخته بأيد أمينة لكن الواقع كان مختلفا ...!مروان أصبح بطريقة ما مثيرا للشبهات .. ذا تعاملات مريبة..! يعمل بتجارة السلاح ..! يعمل بتبادل المعلومات السرية والخطرة مع جهات غربية ..! والأهم ما ورده عن شخصيته الملتوية المريضة وطرقه السادية التي كان يتعامل بها مع بعض فتيات الهوى الذي دائب على التردد عليهن ..! برقت عيناه للذكرى ، وكان يجب أن يضعه تحت نظره ..! هناك تغير غريب أصابه منذ تلك الفترة، تغير مروان كان بشعاً ، طرق الحائط بيده بشدة ولوم كان يجب أن ينتبه أبكر من ذلك ..!! كان يجب عليه ...!

\*\*\*\*\*

تملمت شادن بسريرها .. لا تستطيع النوم .. لا تستطيع ...! نظرت إلى ريم النائمة .. تجولت عيناها بالحجرة المظلمة .. تهتدت بملل .. ستجن .. اصرت ريم ان تنام عندهم بعد انهيارها أمس !! فكرت بتشتت .. تحتاج جرعة ماء ..!! لكنها لا تستطيع الخروج .. فمحمود ونائل .. بالمنزل .. سيرحلان غدا بعد مجيء والدتهما .. نادت بصوت خافت :- " ريم ..! "

لكنها لم تجب " ريم "

لا فائدة .. أوووف نفضت الفراش عنها ببعض الغضب .. ووقفت ..  
اتجهت للنافذة .. كان الهواء يعصف في الخارج والأشجار تتمايل بعنف ..  
أسندت جبهتها إلى زجاج النافذة البارد .. قلبها يؤلمها .. يؤلمها بشدة ما  
مرت به في الفترة الماضية .. كفيل بجعلها تنضج .. تتغير .. يكفي سخافات  
وأحلام .. ومراهقة .. حين سمعت محمود يتحدث بتلك النبرة .. كانت تلك  
هي المرة الأولى التي تدرك أنها لمحت ولو شيئا صغيرا مما يعتمل داخل  
نفسه .. لتدرك أنها تافهة وأنها يجب أن تنضج !! هدى أختها .. لازال  
قلبها يؤلمها لما مرت به .. لكن هدى قوية لطالما كانت كذلك .. وهي  
لاتخشى عليها .. أسر .. أيضا قوي .. لم يعد هناك سواها .. يجب أن تدع  
الضعف والاتكال على الآخرين جانبا !! الآن تشعر أنها ليست متوازنة ..  
تريد الابتعاد !! فقط الابتعاد .. تريد للملحة شتاتها .. والعودة قوية !!  
محمود لم يكن هناك تعريف لما تشعر به تجاهه ، لكنها الآن تدرك أنها  
تحبه .. تحب قضيبته .. حزنه .. قوته .. صمته .. ولكي تكون جديرة به  
يجب أن تتغير .....! نقطة وفاصلة توقف !! ابتلعت ريقها .. تشعر  
بالعطش الشديد .. تنهدت وهي تفتح الباب بصمت وهدوء شديد ..  
اتجهت على أطراف أصابعها للمطبخ تعرف طريقه جيدا .. كان الظلام  
يعم المكان .. فتحت الثلاجة .. ووقفت أمامها .. نسيت ما جاءت لأجله  
مشوشة .. وغصبة تحتكم قلبها .. زفرت بعنف وهي تمسح دمعة حمقاء  
تريد السقوط ...! رفعت المياه إلى شفتها .. لكن ما إن لامست المياه  
الباردة شفتها حتي أعادتها .. لم تعد تريد الشرب !! أغلقت الثلاجة  
والفتفت ببطاء .. لتشهق حين واجهتها تلك الهيئة المظلمة همس محمود  
ببطء :- " مرحبا شادن "

لم تجب .. هزت رأسها برفض ،وهي تتجه للخارج .. حين نهض محمود بسرعة من مقعده ليسد عليها طريق الخروج بطوله الفارع وعينيه المظلمتين كأغوار بئر عميقة بلا قرار وهو يهمس بإصرار :- " انتظري!!"

تسمرت مكانها حين أصبح بذلك القرب منها .. لم يكن يوما قريبا منها هكذا .. يفصل بينهما بضعة أنفاس فقط .. همست بصوت مبحوح :- " دعني أمر .."

بنفس الهمس والبهجة هتف :- " كلا .. يجب أن أعتذر لك ..!؟"

انتفض قلبها وهي تهمس :- لم تعتذر .. أنت لم تخطئ فيما قلت .. أنا كنت سخيفة "

هز رأسه برفض لمنطقها لكنها قاطعته بغصبة "والآن دعني أمر "

" شادن .."

أتي صوته بتلك اللهجة .. المذهلة .. بحنانها .. وهو يطالها :- " انظري إلى ...!؟!"

هزت رأسها برفض .. لتقترب أنامله من صفحة وجهها بتردد حتى لامسها .. كانت اللمسة بخفة الفراشة لكن تأثيرها كزلزال مدمر .. ارتعشت وهي تشهق بحثا عن الهواء .. لتتخلل رائحة الريحان المميزة أنفها .. لم تقو على التراجع ..الابتعاد أو الصراخ ،فانوس مقاومتها يندثر هنا .. بين يديه ...! سأل بنبرة غريبة :- " هل سامحتيني ..!؟"

أويسألها ..!؟!! هزت رأسها وهي تهمس بخفوت " نعم ..!"

لتسقط أنامله الملامسة لوجنتيها بخفة، وهو يأخذ نفساً مرتعشاً .. قائلاً  
بحنان :- " إذن ليلة سعيدة صغيرتي ..! "

ترقرقت الدموع في عينها بمرارة وهي تومئ بياض لتنتقل بسرعة قصوى  
.. من جانبه بعدما أفسح لها الطريق بثناقل ..  
مُتعباً ..

فَمعه هو فقط .. لا وجود للعقلانية ..

وكانما بخطواته .. أجراس نهاية لحكمتي واتزاني ..

يرسل إلي سهام النظر .. سهماً فأخر

لا سبيل للمقاومة ..

فماهي سوى لحظات فقط .. لأمتليء به من جديد وأنظاره

وكانما قد زرع شيئاً من أنفاسه في صدري الصغير ..

لأصاب بالحمى اللذيذة

هدى العلي

\*\*\*\*\*

لا تدري كم ظلت مختبئة بالحمام لم تكن لتخرج لو لم يطرق علي الباب  
طرقات هادئة تنادىها .. " هدى .. أنت على مايرام ...؟! "

أهي على مايرام .. تشك بذلك نبضات قلبها تؤلمها من شدة قوتها ..!  
لاتدري كيف زجت نفسها بذلك الموقف .. لا تستطيع .. لا تستطيع  
الخروج أمامه بذلك الروب .. وهو كل ما وجدت بالحمام .. تشعر

بالخجل .. بالخطر !! غسلت وجهها بشدة، وجمعت شعرها بقسوة في  
ضفيرة طويلة خلف رأسها نظرت للفستان الفيروزي اللون .. كان رائعا ..  
رائعا وجميلا وأنتويا !! مضى زمن منذ شعرت بأنوثتها .. دون خوف .. دون  
توتر .. دون رعب من أن تكون جميلة !! لازالت تتذكر البارحة .. تساءلت  
في حيرة وعيناها اللوزيتان تلمعان باستغراب أكانت البارحة ..؟! تبدو  
بعيدة جدا .. لازالت تذكر حين طرق بابها .. بعد خروجه العاصف من  
عندها بسويغات قليلة .. فتحت الباب بتردد لتجد صندوقا كبيرا للغاية  
ذهبي الشعر ذو شرائط فيروزية اللون .. أمام باب حجرتها .. جذبته  
للداخل بتردد فتحته بنبضات مترددة حائرة لتجد ذلك الفستان المهر ..  
فيروزي اللون .. سقطت ورقة بسيطة من بين طيات الفستان، وهي  
ترفعه لتأمله ،فتحها بوجل لتجد بها كلمتين مقتضبتين

" استعدي للذهاب "

التوقيع

" نادر "

لترتعش شفتيها بابتسامة حزينة .. تلك أول مرة في حياتها يهديها أحدهم  
هدية بتلك الروعة .. وذلك الجمال .. تلك أول مرة يفكر أحدهم  
باحياجاتها قبل أن تفكر هي بها .. !! لم تكن قد فكرت كيف ستذهب  
لزفاف أسر الذي أخبرها عنه بشيء من السرعة بعد عقد قرانها !!  
أغمضت عينيها وهي تنظر للمرأة .. تشعر بالحزن رغما عنها .. لما لم تلتقيه  
سابقا ..؟! ربما حياتها كانت تغيرت كثيرا قبل أن تصبح بتلك الصورة  
المشوهة لأنثى محطمة من الداخل !! أتت طرقته مرة أخرى، وصوته  
الوجل يخرجها من شرودها.. " هدى أنت بخير..؟! "



الشرشرف للفه حول رأسها حين تذكرت تحذيره أوووف زفرت بسخط وهي تأخذ نفسا عميقا .. نظرت لمنظرها بالمرأة شددت البنطال جيدا حول وسطها .. رفعت الأكمام قدر استطاعتها .. وثنت البنطال قدر المستطاع .. هتفت بسخط .. فهي لم تر رجلا في طوله من قبل .. تبدو كالمهرج بتلك البيجاما .. لا تستطيع .. تشعر بالمرض .. خلعت البيجاما بسرعة رهيبة .. لن تسمح لأحد بإخافتها بعد اليوم .. لن تسمح له أو لغيره بإخافتها .. لا تريد ارتداء شيء لامس جسده ، ولن تدعه يجبرها قالت لنفسها بحزم .. بعزيمة لن تدعه يجبرها ..!.. كانت تشعر بالرعب بداخلها خوفا من ردة فعله .. لكنها لن تضعف .. فبقرارة نفسها تدرك أنه لن يكون أبدا مروان

لفت الشرشرف حول نفسها ربطته علي شكل ساري ، فكت ضفيرتها حتي غطي شعرها كتفها ومعظم ذراعها .. تهدت .. تشعر بالضيق والخلج والخوف والعناد فتحت الباب خرجت منكسة الرأس .. يرتعش قلبها في انتظار تعنيفه .. صراخه إجباره لها أو ساديته .. ليجابهها الصمت ! رفعت عينها ببطء بعناد وخوف.. لتقابلها عيناه ونظرة سائلة تلمع بهما .. تاه في تلك النظرة بعينها ، ذلك العناد الذي يشع خلف الخوف بعينها .. تلك الفتنة المتمثلة أمامه تدفعه دفعا للتهور ما تفعله به صعب لا يستطيع التحمل يريد احتضانها .. فقط احتضانها ..! لكنه لم يتحرك من مكانه الخوف في عينها كان يجبره علي الثبات إن أراد استعادتها .. استعادة هدى القديمة، فيجب عليه الثبات حتي تدرك من هو !! لكنه خالف كل أوامره لعقله بأن همس ببطء :-"أنت جميلة للغاية!"

توقف الهواء حولهما .. رفع يده ببطء يلامس خصلات شعرها بانهار تام .. وتسمرت هي ..! اقترب منها خطوة بالحيز الضيق لباب الحمام .. زفرت بتوتر وخوف وكلمة ابتعد تتكون علي شفيتها انحنى مقتربا من وجهها

ببطء .. الخوف يشل أطرافها .. تريد الصراخ .. تريد تمزيق وجهه بأظافرها .. لكنها تقف مسمرة .. تشعر بالرغبة في التقيوء .. لو تجرأ فقط ولمسها .. ستفرغ ما في جوفها بوجهه .. خائفة، ولا قدرة لديها علي الرد .. همست لنفسها جبانة .. لازلت جبانة هدى .. ولن تتغيري .. من تخدعين ..!لم يفته ارتعاش شفيتها .. أنفاسها المتسارعة .. ارتعاش يديها وشحوب وجهها .. اقترب أكثر .. حتي أصبح فمه الدافئ ملامسا لأذنيها ليمس بكل هدوء :- " تستطيعين الصراخ في وجهي وأمرني بالابتعاد ..تستطيعين تمزيق وجهي بأظافرك .. اخمشي واقتلي .. لكن لا تقفي هكذا .. لا تخشي شيئاً أبداً وأنا معك "

أنهي جملته واختفي خلف باب الحمام

\*\*\*\*\*

استيقظت علي صوت شيء ما أو هي رائحة تعرفها جيدا .. رائحة القهوة السوداء اللذيذة .. بدون شعور أو تفكير ولازال النعاس يداعب جفنها .. اتجهت للخارج .. حافية القدمين .. مشعثة الشعر قليلا .. تفرك عينيها .. تلمست طريقها بعين واحدة نصف مفتوحة .. لازالت مشوشة .. مدت يدها لتزيح المقعد جلست على الطاولة ببطء .. تتأببت وهي تهمس بصوت لازالت بحة النعاس واضحة به :- " صباح الخير شذى .. هل لي بفنجان من القهوة من فضلك .."

أعادت التثاؤب وهي تضع رأسها علي الطاولة تكمل نومها ..غير منتبهة للعينين الزرقاوين المحدقتين بها باندهاش بالغ .. وبسمة رائعته تشق فمه .. ضحكة أخذت تتعالي لم يقدر علي كبحها ..لتنطلق جذابة أجشة قوية من فمه وهو يقول بمرح :- " و صباح الخير لك أيضاً "

رفعت رأسها بحدة وصوته يخترق ناعسها .. لتفتح عينها علي اتساعهما  
بذهول .. يا الله كم هي جميلة ..!حتى وهي ناعسة .. حتي وهي ترتدي  
بيجامة صبيانية الشكل بخطوط طولية مقلمة أشبه بلبس المحكوم  
عليهم بالإعدام.. لكنها جميلة .. بشعرها العجري الطويل حتى أسفل  
خصرها .. ينساب بطيات وطيّات متعددة .. عيناها الداھلتان ورموشهما  
الطويلة الرائعة .. جانب خدها المحمر من أثر النوم .. والأهم نظرتها  
انطلق يضحك مرة أخرى بصخب .. رؤيتها تشرح قلبه ..! تلك المتعجرفة  
المغرورة .. القاهرة ,منظرها الآن أشبه بطفلة صغيرة رائعة الجمال  
والبراءة، وهو يريد التهامها ، همست بصوت متحشرج وعيناها تجولان  
علي صدره العاري .. فكرت بسخط ، ألا يعرف ذلك الإنسان شيئا يسمى  
ملايس :-" ماذا تفعل هنا ..!?"

التوت شفتاه بابتسامة رائعة ،وهو يزج بقدرح من القهوة أمامها تلقفته  
بدهشة وهي ترفعه لأنفها عل رائحتها تعطيها شيئا من الحس والوعي  
وتزيل غمامة النوم عن عينها انحنى نحوها بطريقه وترتها .. اقترب حتى  
أصبح أنفه ملاصقا لخصلات شعرها ما جعل رذاذ الياسمين المتغلغل  
بشعرها يخترق حواسه يريدها، همس بالقرب من أذنها :- " هذا منزلي  
زوجتي العزيزة ..!"

ضغطت علي ضروسها بغيظ ترفض أن يستفزها .. تلك الكلمة  
تستفزها بشدة .. يكفي حماقتها بالأمس .. احمرت وجنتاها حين تذكرت  
ما حدث بينهما أمس .. لازالت ناعسة لتفكر بشكل جيد تحتاج لقهوتها  
حالا .. رفعت الفنجان إلى شفتيها بتجاهل تام له .. أغاظه عدم ردها  
عليه .. يريد لمسها .. يريد ذلك بشدة .. جلس أمامها على الطاولة فنظرت  
له شذرا وهي تهمهم من خلف فنجان القهوة بخجل :- " ألا يوجد لديك  
ما ترتديه ..!?"

نظر لصدره العاري وهو يدرك مقصدها لكنه تعمد أن يجيب بغرور :- " أرتدي ما يكفي "

أوووووف همست بها .. حين مد يده فجأة ليضع خصلات شعرها خلف أذنها وهو يقول بمكر :- " أتخجلين زوجتي العزيرة...!!؟ "

لمسته لها جعلتها تنتفض بطريقة مخزية .. تراخت يدها عن فئجان القهوة الحار لينسكب على الطاولة ومنها إلى قدميها وبطنها .. صرخت بألم وهي تهمض فزعة تنفض ملابسها بعيداً .. صرخت :- " اللعنة تؤلم "

انتفض أسر بخوف غريزي عليها .. وهو يمد يديه بلهفة ليرفع الطرف السفلي للبيجاما .. حين تراجعت هي بسرعة قصوى للخلف .. وعيناها دامعتان من الألم .. ترفض أن يلمسها .. عادت إليها ذكرى الألمس بوضوح .. سيطرته على مشاعرها .. غروره .. تعجرفه .. كما الآن .. نفس الغرور بنبرات صوته ، وهو يهمس لها كأنه انتصر عليها .. نفس الغرور ميزته حين اقترب ليهمس لها .. زوجتي !! همست ببكاء وصوتها ينضح بالألم :- " ابتعد عني لا تقترب مني .. "

صرخ بتوتر وهو يحاول أن يمد يده ليفكك أزرار بلوزتها :- " أيتها المجنونة .. يجب أن تترعي ملابسك جلدك يحترق !! "

صرخت بغضب والألم يتزايد :- " قلت لك ابتعد عني دعه يحترق .. لن تلمسني "

ثار بشكل غير طبيعي ، وهو يقترب منها ونظرة وحشية في عينيه .. يبدو أن التعقل لا يفيد معها .. مد يديه دون كلمة واحدة ليمزق البيجاما عليها ، شهقت هي بعنف ، وهي تمد يديها الاثنتين لتغطي جسدها وصدرها منه ، لكنه كان بحالة من الغضب بحيث لم ير أمامه سوى البقعة الحمراء

الكبيرة المنتشرة على جسدها الأبيض المرمري .. تسمر بخوف بينما أخذت عيناه تتبعان البقعة الحمراء المنتشرة من تحت صدرها بمسافة حتى أسفل سرتها .. بفضع .. ورأسه يضح .. هو السبب ... رغبته باستفزازها كعادته أصابتها بالألم .. يبدو أنه لا يجيد سوى جعلها تشعر بالألم .. همس بخشونة :- " قاهرة "

جذبت أطراف البيجاما الممزقة حولها وهي تهمم ضاغطة علي أسنانها من شدة الألم :- " قلت لك ابتعد عني أيها المتوحش "

أوووه أصابه الغيظ الشديد منها .. لا فائدة .. لافائدة من محاولة التعامل معها بتعقل رفعها بعنف بين ذراعيه وهو يتجه بها للحمام بينما أخذت هي تصرخ وترفس بشدة دون أن تعبر التهاب جلدها الواضح أدنى اهتمام .. كان الحرق يؤلمها وبشدة واحتكاكها بصدرة العريض يؤلمها .. لكنه لم يبال، بدا كحجر الصوان البارد .. لا يوجد رد فعل ولا تعبير علي وجهه ، وكأنها نملة لا تستطيع أن تؤذيه حتي وإن أرادت .. صرخت بألم في محاولة أخيرة ليتركها ذلك المتوحش :- " اتركني أيها المتوحش .. اتركني ..!! منذ دخلت حياتي ، وأنا لا أرى سوى المصائب .. اتركني .. "

ألمته كلماتها .. ألم يكن يفكر بهذا منذ لحظات .. لكن وجهه ظل صفحة باردة قدر المستطاع .. خطى بها حتى وقف تحت الدش ، وهو لا يزال يحتضنها بقسوة .. نظرت في عينيه بذعر ، وقد أدركت ما سيفعل همست بصوت مبحوح وأثر البكاء قادم بالطريق :- " لن تجرؤ .. "

لتهطل المياه على رأسهما بعدما فتحها .. شهقت بارتعاش وصدمة حين لامست المياه الباردة جلدها الملتهب .. أنزلها من بين ذراعيه رويدا رويدا ببطء ، وإن كانت أنامله لازالت تحيط بخصرها بقسوة .. هدأت تماما الآن .. بينما ظلا تحت المياه تتساقط عليهما .. تهدئ من أنفاسها المتسارعة ..

تلطف النار الحارقة المتصاعدة من جسدها .. ازداد احتضانه لها ببطء .. وهو يهمس بنبرة غريبة اخترقت وقع قطرات المياه المتساقطة برتابة لذيذة كادت تدفعها للنوم :- " أيتها المجنونة .. ستحرقين نفسك .. لمجرد كرهك للمستي !!.. "

حاولت التملص منه ببطء إلا أنه لم يسمح لها بل زاد ضغط ذراعيه حولها . وهو يهمس بينما أخذت المياه تتساقط منه إليها .. :- " اثبتي !! "

غصة احتكمت قلبه .. لهذه الدرجة تكرهه .. هو لا يريد لها أن تكرهه .. رغم كل ما يفعل ويقول .. إلا أنه لا يريد لها أن تكرهه !!.. تلك الحاجة إليها أصبحت تؤلمه لما لا تريد الخضوع ولو لوهلة .. منظر جسدها وذلك الحرق به يؤلمه بشدة، وجيب قلبه يؤلمه ظلا على حالهما ردحا من الزمن .. حتى هدأ تماما .. وبدأت مشاعر أخرى بالظهور علي السطح .. تلامسهما .. هدوءهما .. حزنهما .. وضعهما الغريب .. ارتخت رأسها بضعف على صدره العريض أنزل يده ببطء تلامس ظهرها حتي وصل بالقرب من المنطقة الملتهبة ببطنها لتشهق هي بارتعاش .. ستنهار .. أخذت تصرخ بداخلها .. ستنهار .. كيف لها أن تقاوم ذلك القرب والاكتماس منه .. كيف لها أن تبقى سالمة العقل والقلب وهي هكذا بأحضانه، صدرها ملامس لصدره .. عضلاته الناتئة مقابل صدرها اللين .. يديه تجولان بين خصلات شعرها وتزلقان على جسدها شبه العاري .. يجب أن تبتعد .. لكن كما يبدو جسدها لا يعرف السبيل لذلك .. أغمضت عينيها وتركت دموعها تسيل بصمت مؤلم .. اختلطت دموعها مع المياه المتساقطة على رأسهما .. بصمت ، وهي تحبس شهقتها بداخلها حتى لم يعد بإمكانها التنفس .. لتخرج على شكل شهقه ضخمة مرتعشة .. همس أسر :- " يا للهول هل تؤلمك إلى ذلك الحد؟! "

أرادت الصراخ به :- "أيها الأحمق أنت من يؤلمني ..؟!"

إلا أنها أومات بصمت حفظا لكرامتها .. لم يدر ما يفعل سيصاب بالجنون بلاشك تلك أول مرة يري فيها قاهرة تبكي هناك شيء ما يتحطم بين أضلعه .. الآن وفي تلك اللحظة .. هناك شيء ما يتحطم .. شيء ما يتحرر...!! "هششششش .. اهدئي حبيبتي لا تبكي "

توقف قلبها عن الخفقان هل قال حبيبتي .. أسر قال لها حبيبتي ولم يكن يمزح أو يسخر أو يغيظها تدافعت الدموع من عينيها ،وعلا نحيبها مما أزعجه " قاهرة.. بالله عليك اهدئي سأصاب بالجنون .. "

رفعها بين ذراعيه ببطء، وهو يخرج بها لم يهتم لبلبلهما .. وضعها على السرير برفق .. أسرع بجلب منشفة كبيرة .. بينما لم تكف هي عن البكاء بخفوت وضعف ... جفف شعرها قدر المستطاع ..وهو يشعر بالخوف .. هناك شيء ما غير طبيعي بها كانت مستسلمة له بطريقة غريبة ..! أحضر مرهما ملطفا للحروق .وبدأ بوضعه على الجلد الملتهب .. لم يكن الالتهاب خطيرا كما بدا له لأول وهلة .. لكنه فكر بالتأكيد يؤلمها .. مادام جلب كل تلك الدموع إلى عينيها .. أوشك أن يشعر بالجنون لا يعلم ما يفعل. لم لا تكف عن البكاء .. جلس بجانبها ببطء .. غير عابئ ببلبل بنطاله ..مسح على شعرها ،بينما أخفت هي وجهها بين طيات الوسائد .. الغارقة برائحته :- " هشششش حبيبتي .. هششششش "

أخذ يربت علي شعرها .. خرج صوتها مكتوما مبجوحا موجوعا وهي تهمس :- "يؤلم"

ردد بمواساة ويداه تداعبان خصلات شعرها الندية :- " أعلم حبيبتي أعلم"

ارتفع وجيب قلبها وعلا نحيبها ببطء .وهي تشعر بقلبيها يؤلمها حد الموت:- " ..يؤلم "

لم يستطع الاحتمال أكثر من هذا .. ضمها لصدره بقوة .. طفلته .. يشعر بها طفلته .. أكثر من شحذ عليها لسانه .. وبين قدرته على التحطيم كان هي .. أكثر من ألمها هي ..همس بألم :- " أعلم "

خفت بكاؤها .. لم يكن الحرق هو ما يؤلمها .. بل قلبها .. يؤلمها وبشدة ، قالت بطلب للسوى ، وهي لا تهتم إن كانت تبدو بئسة :- " يؤلم أسر "

دمره صوتها .. منظرها .. نطقها لاسمه لأول مرة بتلك الرنة .. بتلك البحة والحاجة .. لكنه لم يجد سوى كلمة واحدة ليجيب بها :- " أعلم "

عجي..

كيف لكلمة واحدة تلفظها شفتاه سهواً

أن تستقر بأحشائي..

وتنمو كطفل خطيئةٍ أخشى أن يلحظه من حولي

لكم أن تصدقوني إن شئتم .. ولكم أن لاتصدقوا.

ولكن عما قريب .. سأمتليء بما لا أعلمه منه

وسأشعر بنحري إليه..

ل يوصمه بما يريد هـو

يأمر به هـو

هدى العلي

\*\*\*\*\*

فقدت هدى دقة واحدة من دقات قلبها حين خرج نادر من الحمام .وهو يرتدي بيجامته التي أعطاها لها .. شعور غريب اجتاحتها لملامسة تلك

البيجاما جسده الصلب بعدما لامست جسدها اللين .. !! نهزت نفسها بشدة .. " هي بيجامته من الأساس .. توقفي عن الغباء " لكنها لم تملك أن تسيطر علي الاحمرار الذي غزا وجنتها وارتجاف يدها البسيط وهي تحاول تجاهله .. يكفي أن وضعها غريب للغاية كل مرة يلقي بضع كلمات قاطعة ويتركها في حيرتها .. رفعت وجهها له ببطء وخجل لتجد ابتسامة رائعة تملأ وجهه .. سرعان ما أصبحت ضحكة رائعة أجشة رقراقة .. كان يشعر بالسعادة رغم كل ما هو فيه إلا أنه يشعر بالسعادة يريد الذهاب إليها واحتضانها يريد مشاركتها سعادته يريد ما أن تدرك أن مجرد رؤيتها أمامه تدفع بالضحك لعينيه وقلبه ..! شعور من الراحة يتسرب إلى ذرات جسده لمجرد رؤيتها .. كطفل عاد إلى أمه لم يتمالك نفسه حين رآها تنظر له باستغراب بالغ وخجل أبلغ، فقال ببطء وبقايا ابتسامة تتلاعب علي شفثيه:- " آسف "

أكمل بتبرير وهو يتجه للتسريحة ليمشط شعره :- " لكنني تذكرت شيئا ما "

تنحنحت ببطء وصوتها لا يعلو علي الهمس تريد إخباره أن أيا ما تذكره لا يهمها :- " لا بأس "

تقدم حتى جلس أمامها ينظر إليها بحب كبير بينما خفضت هي نظرها تلقائيا للأرض أنامله تحرقه .. تقتله .. تريد الهرولة إلى خصلات شعرها العسيلة لتغوص بهما .. لتستقر هناك ولا ترحل أبدا .. همس ببطء وحب :- " هدى انظري لي "

وكعادتها ارتفعت عينها إلي عينيه لإراديا ليبتسم هو ببطء ونفس مرتعش .. يجب أن يسيطر على نفسه .. لكنه فقط لا يستطيع ، لا يريد أن

يخيفها لكنه فقط لا يستطيع .. يحتاجها ويريدها يحبها ، همس :- " أممم  
سأذهب لأجلب لك ما تحتاجين من ملابس ... "

لمع وجهه بقليل من ارتباك ، وهو يقول :- " لكن هلا كتبت لي ما تريد  
من أشياء خاصة "

انتشر الاحمرار بوجنتها حتى أقسمت على احتراقهما ، وهي تقول بصوت  
مرتعش :- " لا .. لا بأس .. فقط اعطني الهاتف وسأطلب من شادن  
إحضار ملابسني !! "

" كلا ..! "

نار شبت بعروقه .. ملابسها .. لا يريد لها ارتداء شيئاً كانت تملكه قديماً  
.. شيئاً رآه بها ذلك أو لمسها بها ..! قال بنبرة قاطعة :- " كلا هدى .. لن  
ترتدي ملابسك السابقة تلك أبداً .. ولو بقيت بذلك الشرشف مدى  
الحياه "

تلك الغيرة المجنونة .. لا يستطيع أن يسيطر عليها .. تلك الغيرة تقتله  
ببطء مهما ادعى سيطرته عليها .. هو يدرك ويؤمن أن ما حدث حدث  
لكنه لا يريد أي ذكر للماضي ..! الماضي انتهى بالنسبة له سينسى هو  
ويريدها أن تنسى :- " ح حسنا لا بأس "

أومات بتفهم حتي هي لا تريد ارتداء تلك الملابس مرة أخرى .. قالت :- "  
اعطني الهاتف وسأطلب من شادن أن تشتري لي ما أحتاج .. هي تعرف  
مقاساتي "

نظر لها باستغراب وقال بتساؤل :- " ولم لا تريدني مني أن آتي بهما ؟! "

خفضت عينها وهي تشعر بإحراج بالغ .. كيف تفسر له شعر نادر ببعض الحيرة .. قد تكون محرجة بخصوص المال همس بإدراك :- " هدى أنا زوجك وأنت ملزمة مني لا داعي للإحراج "

أوه كيف تشرح له أنها خجلة أن يشتري لها ملابس داخلية غزا الاحمرار وجهها ، وهي تقول وقد بدأت تلوك شفرتها بخجل :- " ليس الأمر كذلك .. أممم كل ما في الأمر .. أنك لا تعرف .. أقصد أنك لن تعرف .. ااا " اتسعت ابتسامته وقد أدرك هدفها .. عشق ذلك الاحمرار الذي يلون بشرتها .. أخذ نفسا مرتعشا وهو يهمس :- " لا بأس .. اتصلي بشادن .. " مد يده لها بالهاتف وهو ينهض قائلاً :- اتصلي بها ريثما أحضر الإفطار "

\*\*\*\*\*

أخذت أصابعه تنزلق ببطء وبحركة رتيبة على شعرها .. تلامسه وتغوص به .. وتعود لتبدأ من جديد .. كانت متكورة بشدة على جسده .. بالقرب من صدره تماما .. حتى أن أنفاسها كانت تلامس شعيرات صدره بزفرات حارة .. تجرحه وتؤلمه من الداخل .. نامت وكأنها مزروعة بضلعه الأيسر .. يدها على خصره بأريحية ، وكأنهم زوجان منذ عشر سنوات .. كأن ما يجمعهما هو حب عميق .. كأنها بدونه لا تستطيع أن تحيا .. واشتدت أصابعه دون وعي حول كتفها تجذبها إليه أكثر .. أصدرت أنينا خافتا .. وهي تحرك رأسها ببطء أقرب لصدره .. أنفاسه كانت تخرج وتدخل ببطء قاتل .. خوفا من ترك العنان لنفسه .. ليشعر بها وبوجودها .. وتهد .. لم يعد بإمكانه أن يقاوم أكثر ..!!! أن يجد المبررات والأسباب أكثر ، هو لم ولن يسمح لنفسه بأن يحيا .. ولن يسمح لنفسه بأن يدعها تحبه ..!!! لا يستطيع ...!!!

لكنه أيضا لا يستطيع الابتعاد عنها حاول أكثر من مرة وفشل .. حاول  
لكن كلما قرر الابتعاد أكثر كان يجد نفسه يقترب أكثر ،تزوجها رغم أنه  
أقسم علي جعلها تكرهه ..!! تلك الفترة التي لا يرغب بتذكرها.. هي ما  
جعلته علي هذا النحو هو يدرك هذا نفسيا علي الأقل .. بات يخشى  
الارتباط .. الحب ..!! فلا شيء مضمون في الحياة ..!! لا يريد لامرأة أن  
تبكيه لا يريد لأحد أن يبكيه .. ولا يريد لقلبه أن يضعف ..! توقفت يداه  
عن العبث بخصلات شعرها .. أغمض عينيه بألم أقسى قرار يجب عليه  
اتخاذهُ هو أن يدعها تذهب بحال سبيلها على تلك اللعبة أن تتوقف  
بعدها أصبحت أكثر من لعبة قاهرة ليست كغيرها همس لنفسه بصرامة  
على هذا أن يتوقف وهنا يجب أن يدعها تمضي بحال سبيلها قبل أن  
يدمرها ..!

\*\*\*\*\*

فتحت قاهرة عينها بتشوش للمرة الثانية في نفس اليوم .. لكن تلك المرة  
كانت تشعر بشعور رائع من الدفاء ورائحة مسكره تحوطها .. تمطت ببطء  
حتى شعرت بألم جلدها يشتد لتطلق آهة خافتة، وهي تنتبه لحركتها ..  
رفعت يدها لشعرها وابتسامة رائعة تشق فمها .. تعيد خصلاته للخلف  
حين قابلتها عيني أسر الجالس بالمقعد أمامها ..مرتديا بنطال جينز أسود ..  
تي شيرت خريفي أسود ووشاح رمادي أبرز عينيه الزرقاويتين ما إن توقفت  
أنظارها أمام عينيه حتى خفضتهما بخجل جديد عليها فهمس كمن انتبه من  
شروده فجأة:- " صباح الخير "

همست بصوت أبح غافلة عن البرود الذي اكتسى ملامحه :- " صباح الخير "

قال ببرود ولامبالاة كمن يؤدي واجبا فرض عليه :- " كيف حالك الآن ..!!؟ "

رفعت عينها له باستغراب :- " بخير .. الحمد لله "

أوماً دون مزيد من الكلام وملامحه جامدة .. حتي عينيه بدتا كأن الشتاء قد عاد وسكنهما .. نهض من مقعده ببطء ، وهو يقول بعدما نظر لها نظرة غاية في البرودة :- " قاهرة يجب أن نتحدث .. "

رفعت إليه عينها بحيرة ليشعر بطعنة نجلاء بقلبه مباشرة إلا أنه أكمل بحزم :- " سأنتظرك خارجا من فضلك بدلي ملابسك واتبعيني "

ما إن أغلق الباب خلفه ببعض العنف المكبوت حتي ضيقت بين عينها بحيرة .. أصابها التشوش ماذا أصابه؟! لما يعاملها بهذا البرود ..! مدت يدها ببطء تلمس بطنها .. لازالت تؤلمها لكن الألم خف بالتدرج رمت رأسها للخلف تعاود النوم قليلا بكسل .. لتعانقها رائحته التي اختلطت بالملاءات .. أخذت نفسا عميقا والاحمرار يغزو وجهها لا تصدق أنها نامت بأحضانه .. وحتى ولو لم يحدث بينهما شيئا .. ابتسمت ببطء لكنها نامت بأحضانه وعلي صدره ..! رائحته لازالت مختلطة بعبق أنفاسها .. قال لها حبيبي وليس مرة بل ثلاث مرات .. عاودها الأمل يبدو أن هناك أملا بأن يشعر بها ..! نهضت فجأة ليتناثر شعرها حولها لكن ماباله يبدو كئيبا .. مختلفا هكذا !! هزت رأسها ربما كان قلقاً بشأن عمليته أووه وضعت يدها علي فمها تكتم صرختها الضئيلة، لقد نسيت تماما أن سفرهم بعد سويعات قليلة.. نهضت بسرعة، وهي تجذب ما ترتديه من الدولاب فكرت ربما هذا ما يقلقه ..! صححت لنفسها كلا هذا أكيد ما يقلقه ..! نهضت بسرعة جعلتها تطلق صرخة مكتومة حين احتك جلدها لينبض بالألم من جديد ..! اتجهت للمرأة تنظر إليه .. تذكرت لمساته الحنونة .. احتضانه لها وتخفيفه عنها وحشيته وعناده حين وضعها تحت الدش لتبتسم بملء فمها تحبه ولا سبيل لديها لإنكار ذلك ..! بدلت ملابسها ببنتال جينز ذو وسط منخفض بعيدا عن الحرق وبلوزة قطنية بيضاء قصيرة نسبيا بأكمام قصيره .. جمعت شعرها

برباط مطاطي أبيض بعيدا عن وجهها .. لم تكن تحتاج مكياج لم تحتج في عمرها فبشرتها والحمد لله صافية جدا .. تشبه بشرة الأطفال في نقائها . عيناها مكحلتان طبيعيا .. وفمها وردي بدون أحمر شفاه ابتسمت لنفسها بالمرأة، وهي تحمد ربها على نعمته أخذت نفسا عميقا وخرجت له ..!

\*\*\*\*\*

خرجت قاهره لتجده شارداً .. برود سكن عينيه حين التفت لها .. أخذت نفسا عميقا، وهي تقول ورأسها يرتفع بكبرياء لتبرق الشذرات الزرقاء بصدقته بإعجاب خفي ..! " كنت تريدني "

رفع حاجبه وهو يقول بلامبالاة مصطنعة :- " أهه نعم .. طائرنا بعد سويعات قليلة .. هل أنت جاهزة ..! "

أومأت بصمت .. فقال وهو يصرف النظر عنها ببرود حطمها :- " إذن استعدي فيجب أن نكون في المطار بعد قليل .. "

تركها تحترق .. تشتعل .. حمقاء .. غبية .. غبية .. لماذا ظنت انه سيتغير لماذا ..!!؟ ترققت عيناها بالدموع .. لكنها مسحتهما بعنف .. حقائبا لازالت بجوار الباب وسيظلان هكذا .. حتي سفرهما .. سحبت حقيبة يدها .. أخرجت هاتفها واتصلت بالغالي أتي صوت والدها دافنا مشتاقا .. ليدفع ببسمة مرتعشة إلى شفتهما .. لم تنتبه لذلك الصامت الذي ادعي التحدث بالهاتف .. يتأملها وهو يقبض علي هاتفه بشدة لنبرة صوتها المتداعية، وهي تهتف بحزن :- " أبي "

\*\*\*\*\*

obeikandi.com

الفصل التاسع  
ذاكرة تناقضات

هُنالِكَ نسيان أكثر حضوراً من الذاكرة ..

" أوووف هلا ابتعدت قليلاً .. "

همست قاهرة بهذا بضيق وغرور أثار تحفز أسر للرد عليها .. كان يدرك أن امرأة كقاهرة لن تتقبل ما يفعل بسهولة .. كان يدرك أن ما بدأ به يجب أن يسير به إلى النهاية !! لكنه فقط وحين تجلس قربه بهذا الشكل ... وحين تكون غاضبة بهذا الشكل ... وحين تكون خصلات شعرها العجربة ملقاة بإهمال أمامه بهذا الشكل ..! لا يستطيع أن يتمالك نفسه من العبث بها .. كانت خصلاتها من الطول أنها تناثرت بكل مكان خلف ظهرها وعلى طرفي المقعد ملامسه لأنامله رغم أنها ربطتها بشريط مطاطي خالي من الجمال .. ولكن هل كان تاجها المتألق يحتاج لمزيد من الجمال !! أخذت أنامله تعبت بتلك الخصلات دون إرادة منه تتوغل وتغوص بين طياته شديدة النعومة ليفيق من تأملاته علي صوتها الحاد وهي تطلب منه الابتعاد .. ! اعتدل ليجيب بسخرية خفيفة ويده لازالت تتمسك بخصلة من شعرها :- " إلى أين أبتعد زوجتي العزيزة أم تريدين مني أن ألقى بنفسني من الطائرة "

كانت أنامله العابثة بخصلات شعرها تسبب لها وخزات من الألم اللذيذ كانت تتسرب إلى جسدها .. موضع أنامله .. حاولت ألا تتهد .. لكنها لم تعد تتحمل .. كانت تشعر ببعض الصداع .. في الحقيقة الكثير منه ..! وجسدها ما انفك يرتعش ارتعاشات خفيفة .. ربما كان يجب أن تزيد من ملابسها قليلاً .. لكنها لم تكن بحالة نفسية تسمح لها بالتركيز ..! كيف لها أن تكون بهذا الضعف .. القاهرة لم تكن يوماً بهذا الضعف .. ذكرت نفسها ، بل كانت حين أحبته من ثمان سنوات تقريبا .. حين انهبرت به من ثمان سنوات تقريبا .. إن كانت تظن نفسها كانت تحبه فماذا عن الآن

!!.. همست بغضب وشراسة وهي تشعر بالاختناق مولية وجهها للنافذة  
:- "يا ليت .. فساعتها أكون تخلصت منك مرة وإلى الأبد ..!"

نغزة ألم مرت بعينه كان يتجاهلها منذ الأمس .. وهو يقول لظهرها الذي  
يواجهه :- " إلى هذه الدرجة تكرهيني ..!؟"

ابتلعت ريقها بمرارة وهي تصر على عدم النظر إليه مولية إياه ظهرها  
قائلة بمرارة كاذبة تحاول بها أن تقنع نفسها بما تقول .. :- " لا تعرف إلى  
أي حد أكرهك .."

ألمته المرارة في صوتها ليحجب هامسا بحزن خفي :- " بل أعرف عزيزتي.."

استعاد صوته مرحة بسرعة، وهو يجيب بالامبالاة مؤلمة :- " على أية حال  
قد تستريحين مني إلي الأبد حقا تلك المرة .. فقط ادعي الله بإخلاص ألا  
تنجح العملية الجراحية وتكونين تخلصت مني "

شهقت بعنف لقسوته الساخرة .. للامبالاة الجارحة التفتت له بغيظ  
لم تستطع التحكم به وألم قلبها بات طبيعيا لها :- " أيها الأحمق لم أكن  
لأفعل هذا ولو كنت أكثر الرجال بغضا على وجه الأرض "

لتفاجئها نظراته المبتسمة بغموض .. صدر من حنجرتة تمتمة أجشة  
اشعلت جسدها ، وهو يتأمل عينها بطريقة غريبة ..أخذ نفسا عميقا،  
وهو يحاول أن يمنع يديه من الهرولة إلى وجهها .. إلى شفثها المكتنزتين  
وتلك الصفحة المرمرية الوضاءة .. إلى حاجبيها المنمقين المرفوعين بإغراء  
لذيذ .. لكنه تجاهل كل ذلك الصخب بداخله ليقول باستهتار خفيف  
ومرح قرر أن يشوب لهجته :- " أهة أخيرا استطعت جعلك تنظرين  
تجاهي .. أتريين أنا لست قبيحا إلى تلك الدرجة بل إن بعض النساء  
يجدنني جذابا حقا .."

وأشار بطرف عينه إلى المضيفات اللاتي أخذن ينظرن تجاهه وبتسمن بينما يتحدثن ، شعرت قاهرة بحرق يجتاح معدتها ، وهي تهمس بحلق :- " لأنهن تافهات حمقاوات يعجبن دائما بالغللاف ولا يبحثن عن المحتوي ! " قاطعها ليقول بخبث :- " وهل هذا ما كنت تبحثين عنه ليلة أمس بين ذراعي..! "

ازداد ارتعاش ظهرها وبدأت تشعر بشعيرية بغيضة تمر علي عمودها الفقري، لكنها حدقت في وجهه ، وهي تقول بكل ثبات وكبرياء وأنفها يشمخ عاليا ..! " أنت فقط تتمنى .. أنت لا شيء بالنسبة لي ولم تكن أمس أكثر من وسادة .. " "

ارتفعت نبرة صوتها قليلا بسخرية خفيفة :- " أعترف أنها كانت وسادة مزعجة، لكنها كانت الوسادة الوحيدة المتوافرة فلا تخدع نفسك بظن غير هذا .. ولاتنس أنك كنت السبب الأساسي بإصابتي " "

أنهت جملتها وهي تشعر أن الأنفاس قد انقطعت منها فقط لتبدأ بالسعال الشديد ، وهي تشعر أن حلقها يؤلمها للغاية .. ما إن انتهت نوبة السعال حتي رفعت رأسها له ، وعيناها دامعتان لتكمل ببغض حقيقي :- " ارتحت الآن أيها البغيض .. ها قد أصبت بالمرض وأنت السبب .. أنت السبب بكل شيء سئى يحدث لي في حياتي .. " "

صرت علي أسنانها وهي تنوي الانتقام لنفسها وبشدة وهي تقول :- " أنا أكرهك .. أكرهك ولن أكف عن كرهك ما حييت وأتمني اليوم قبل الغد أن ارتاح منك ومن رؤية وجهك البغيض هذا؛ فابتعد عني ولا تلمسني مرة أخرى أبدا .. فأنا لا أطيقك ولا أطيق لمسك لي أتفهم ..!!؟ " "

\*\*\*\*\*

" أحتاجين شيئاً "

انتفضت هدي بتوتر حين تهادى إليها صوت نادر ببحته المعتادة ..وهي تقول بصوت منخفض حاولت إخراجها هادئاً :- " كلا .. شكرا لك "

متوترة وبشدة .. ذلك القرب الكاسح يوترها يخيفها , ذراعه تلامس ذراعها وتحتك بها مما يثير في نفسها الضيق .. تشعر بحرارة شديدة تسري في ذراعها موضع تلامسهما .. كانت تأخذ أنفاسا بطيئة، وهي تحاول كل مدة أن تعاود العد لمائة .. لتسيطر علي توترها .. ليأتي الآن صوته ليعثر ذلك الهدوء المزعوم الذي تدعيه ..! أحنى رأسه تجاهها ينظر إلى شفرتها التي أخذت تلوكها .. ولم يستطع أن يقاوم أكثر من هذا كان يعلم حتي وهي تشيح بوجهها للنافذة منذ استقرا بمقعديهما .. كان يعلم .. ابتسامة شاحبة لامست طرف عينيه بغموض ، فهي عادت لها اللذيذة حين تتوتر .. مد أصبعه ببطء ليضعه على شفرتها السفلى هامسا بيحة :- " كفى .. مزقت شفتيك "

شهقت بعنف وهي ترجع رأسها للخلف ما استطاعت لكن المقعد الضيق لم يسمح لها بذلك .. شعرت بمس ناري يلامس شفرتها موضع أصبعه .. ارتعش جسدها بشدة والحرارة تمر عبر عمودها الفقري صعودا رأسا إلى رأسها .. سعلت بشدة .. سعلت باضطراب غافلة عن النظرة السوداء بعينيه والعبوس الذي ظلل ملامحه، وهو يزبح أصبعه ببطء .. نظرة غاضبة تقريبا مرت بعينيه قبل أن يشيح بنظره بعيدا عنها لم يعتذر ..!!؟ لم يعتذر كيف له أن يفعل هذا .. كيف له أن يلمسها بتلك الطريقة هكذا بكل بساطة .. من سمح له ..! أوضحت له ألف مرة أنها لا تطيق ولا ترغب بلمس رجل أي رجل أيا كان .. لكنه يتجرأ ويلمسها ، صححت لنفسها بغضب أخذ يشتعل بسرعة البرق .. بل يلمس شفرتها ..! ويجرؤ

على إظهار نظرة غاضبة وتجاهلها ، وكأنه لم يفعل شيئا .. شعرت هي بالغضب في المقابل .. أرادت الصراخ في وجهه أرادت أن تخبره ألا يفعل هذا أبدا أرادت .. لكنها فقط لم تنطق بحرف .. رغم محاولاتها العديدة تخطى هذا الحاجز الوهمي من الجبن الذي تعيش به إلا أنها لا تجرؤ- هي فقط - لا تجرؤ ، لازالت جبانة بيد مرتعشة رفعت كوب الماء البلاستيكي إلى شفيتها تسيطر على غضبها خجلها جنبها ارتشفت بضع رشقات ، وهي تعاود السيطرة على هدوئها .. لتفاجأ به وهو يضرب المقعد الأمامي بقبضته لتنتفض فزعة مرة أخرى .. حمدت ربها أن المقعد الأمامي فارغ لم تجرؤ على النظر إليه .. لم هو غاضب بهذا الشكل لم تتعود أن يكون نادر الهادئ بهذا الغضب والأبشع أنها لا تجرؤ علي سؤاله هي تشعر أنها السبب بطريقة ما لكنها لا تعرف ماذا فعلت ؟!! ليأتي صوته شرسا بانخفاضه وهو ينحني تجاهها مسيطرا علي نظرات عينها الهاربة منه :- " اخبرتك من قبل ألا تخشي شيئا وأنت معي .. "

لم تجب فقط توقفت الأنفاس بحلقها .. كيف تخبره أنه وفي هذه اللحظة هو أكثر ما يخيفها .. يخيفها غضبه منها لم تعتد علي هذا .. لم تعتد أن تكون هي سبب غضبه بللت طرف شفيتها بتوتر وهي تحاول أن تجيب .. انخفضت عينيه إلى لسانها الوردى الصغير .. دون إرادة منه .. يشعر بالعذاب .. آه .. لا يريد هذا الشكل قربه .. أين ذهبت سيطرته الحديدية علي نفسه .. نهض بعنف .. وهو يشعر بالضيق الحيز الضيق للطائرة يخنقه .. بدا كالليث حبيس قفص. توجه إلى المقصورة الأمامية يبحث عن المضيفه يحتاج فنجان من القهوة حالا .. ! أخذت هدى تنظر إليه ، وهو يبتعد عنها ب توتر تشعر كلما اقترب منها بألم في معدتها وعدم قدرة علي التنفس .. لكنها تشعر عند ابتعاده عنها بخوف ألا يعود مرة أخرى !!

لم تستطع إشاحة عينها عنه ، وهو يتحدث مع المضيفة التي يبدو عليها الانبهار التام به وبلهجته .. برصانته .. برجولته الساحقة .. وتلك الضحكة الغامضة التي تلون عينيه الآن .. لما يهزر معها .. لما يميل بجسده هكذا بتلك المسافة الضيقة نحوها .. ارتفعت نظراتها للمضيفة بشيء من البغض تبدو جميلة، قيمتها بسخرية إن أخذنا في الاعتبار كمية المساحيق والألوان التي دهنت بها وجهها حتى بدت كلوحة سيرالية لدالي تزيد ألم معدتها وضيق تنفسها ، وهي تلمح كيف تلامس تلك الوقحة يده بكل حرية وكأن لها الحق ..! كأن تلك المضيفة البغيضة لها الحق بملامسته واستقبال ابتسامته .. بالتحدث معه وجدت نفسها لا إراديا تنهض من مقعدها بإصرار وهي تتجه لهما .. لم تعرف ماذا تريد أو ما ستقول لكنها لم تعد تتحمل فنادر لها .. لها هي وحدها توقفت فجأة بمنصف الطريق إليهما حين صدمها ما تفكر به .. توقفت وقد انقطعت أنفاسها تماماً .. اتجهت إليها أنظار نادر تلقائياً ليصطدم بمدي شحوب وجهها .. ارتعاش يديها .. بخطوات حاسمة اتجه إليها والقلق يبدو بعينيه .. عيناه يا الله كم تبدوان جميلتين .. حنونتين وهما تنظران إليها نادر لها أدمعت عينها .. متى أصبحت تفكر به .. كشيء يخصها هي .. شهقت بعنف هي لا تستطيع ولا تريد الاستغناء عنه " هدى أنت بخير .. هدى أجيبيني ..!!؟ "

يا الله حتي صوته .. تلك البحة هي لي ..!

" ما بها ..!؟ "

أتى صوت أسر القلق .. ليصاحبه نظرات نادر الحائرة .. بينما تسمرت هدى .. صدمة شديده تشعر بها.. اضطراب هائل .. بحر من الخوف والرعب أخذ يطفو علي السطح .. صور وكلمات كانت تمر على مسامعها كل ليلة .. ظلام ورعب .. وصور باهتة لشخص يشبه نادر تحلم به كل

ليلة .. ذلك الجرح بحاجبه .. هي السبب به .. رأته من قبل .. أنفاس لامست بشرتها .. كانت تشعر بضخ الدم بعروقها .. الأصوات حولها أخذت تتلاشى وبشدة! لكن وجه نادر أخذ في الاقتراب منها .. رفعت يدا كانت تتمسك بها بمقعد الطائرة حتى لا تقع .. تلامس حاجب نادر بشيء من الإدراك والغربة في آن واحد .. ترقرت دمعة صغيرة من عينيها .. وهي ترى النظرة المتألمة بعينيها .. همست :- " أنا السبب .. أليس كذلك ..؟! "

لم تنتظر لترى ردة فعله لأنها وقعت في غيبوبة من الأحلام المفزعة...!!!

\*\*\*\*\*

زخم من العواطف يشعر به .. توقف قلبه حين أشارت لجرح حاجبه الباهت .. وجملتها الخافتة .. أتذكرته ..؟! أتذكرت من يكون ..؟! من تكون بالنسبة له ..؟! أتذكرت لما تركته ..؟! لما فعلت هذا بهما ..! عاوده غضب قديم للغاية .. عاوده دون قدرة لديه على التحكم به .. جل ما يريد أن يعرف هو لماذا فعلت هذا بهما .. لماذا تركته ..؟! لماذا لم تنتظره ..؟! لماذا اذا ..؟! لكن الآن اختفى كل ذلك الغضب وكأنه لم يكن أمام رؤيته لها تهاوى بهذا الشكل .. أحاطها بذراعيه بالمساحة الضيقة للطائرة بينما ارتفعت أصوات الأشخاص حولهم .. أتت المضيفة مسرعة فزعة تتسأل :- " ما بها .. أتريد طبيبا ..؟! "

لكن نادر أجاب المتحلقين حولهم وهو يبعد ذراعي أسر عنها بكثير من التملك :- " لا شيء هي فقط متعبة قليلاً .. "

أسندها حتى عادا لمقعديهما ، وهو يشعر بنبضات قلبه نائرة تهدد بالهرب من بين جنباوته وتحطيم تلك الأضلع الهشة .. التي تحتويه ... تريد الهرولة والسكنى هناك بين أضلعها هي عليها تهدأ وتستريح " اتركنا أسر "

هتف نادر ببعض الخشونة .. لا يريد ولا يستطيع في تلك اللحظة السيطرة على ردات فعله .. يضايقه بشدة ذلك الاقتراب منهم .. أسروشان وقاهرة .. المضيفات وبعض النظرات الفضولية .. يريد أن يختفي بها بعيدا .. صدرت منها أنة ضعيفة وهي تخيى وجهها بكتفه .. لتشتد ذراعه حولها .. كانت تشبث به بأطراف أصابعها الرقيقة تتمسك بظهره بيد .. أما اليد الأخرى انكمشت موضع القلب تماماً وكأنها اعتادت على هذا منذ خلقت .. بينما بدأت ببكاء خافت للغاية، لم يسمعه سواه آه يا صغيرتي رفقا بقلبي .. رفقا فما تفعلينه به .. ليس هينا أبداً .. تبا لعشق يحطم الأوردة كعشقي لك .. تباً !!.. لم يع لأسر الذي أمر المضيفات بالابتعاد وتحدث باقتضاب لشادن الباكية وقاهرة القلقة ليعودا إلى مقعديهما .. توقف أسر للحظة حائراً .. ليتساءل بعدها ببطء وخشونة :- " نادر..!!؟ "

ليرفع له نادر عينين لأول مرة تبدوان وجلتين .. مضطربتين .. تنهد أسر بشحوب .. وهو يومئ له بتفهم ويتركه بصمت ..!خفض نادر رأسه بمحاذاة رأسها ما إن ابتعد الجميع عنهما ببطء .. تأمل ملامحها المتعبة .. ارتياكها .. وتشبثها به ببسمة ممزقة .. فك حجابها قليلاً .. ببطء ويده تلامس بشرتها الحارة باضطراب حاول أن يسيطر عليه .. همس بالقرب من أذنها ووجهها مخفي بالكامل داخل تجويف عنقه :- " هدى أنت علي ما يرام ..؟! "

إلا أنها لم تجبه سوى بهمهمات خافتة لم يفهم منها شيئاً ..! حاولت الابتعاد ... وكلمات تتردد برأسها ..

" أنت لاشيء .. أنت مسخ قبيح .. لا أحد يجبك سواي .. أنت لا أحد ولا أحد يهتم بك .. سواي ..!!لن ينقذك أحدهم مني .. أنت لم تعودني فتاة بريئة بعد الآن .. أنت \*\*\*\*\* "

حاولت الابتعاد بذعر عن مصدر رعيها .. مروان .. لن يتركها أبداً .. لن تتخلص منه أبداً .. أخذت تجذب يدها بعنف .. بدون وعي .. لكنها كانت تشعر بقبضتين تتمسكان بها .. حاولت الافلات والكلمات تتردد برأسها .. ذراعان أكثر قسوة تحوطانها .. أنفاس كريهة .. لتدفع نادر فجأة بكل قوتها وهي تصرخ بفحيح شرس :- " دعني ..! "

كانت من الاضطراب بحيث لم تعد تعي أهي تحلم أم أن الأمر واقع ..؟! أهو كابوس قد عاد يرواها ..؟! لوهلة اختلطت الملامح والأنفاس .. لوهلة ظنت أن ذلك هو مروان ..! كانت نظراتها غائمة .. حائرة تشي بمدى اضطرابها .. ورغم الألم الذي شعر به .. إلا أنه همس ببطء مهدئاً إياها .. :- " لا بأس عليك .. لا تفزعي ها قد ابتعدت عنك .. أنت أفضل حالاً ..!؟! "

إلا أنها لم تجبه بدت بعينها نظرة غريبة، وكأنها لم تعد معه على أرض الواقع .. كانت نظراتها كالعادة مثبتة على جرح حاجبه .. وأخذت عيناها ترمشان كل وهلة وأخرى ببطء وأنفاسها بدأت تهدأ وتراخت قبضتها عن المقعد لتهمس ببطء وبرود ولامبالاة :- " أنا بخير .. ماذا حدث ..!؟! "

\*\*\*\*\*

كانت صامتة .. ساور نادر القلق ناحيتها .. منذ انهيارها الغريب بالطائرة .. التزمت الصمت التام .. بل والشroud أيضاً .. لازال وجهها شاحباً .. حتى أنها لم تهتم أو تبدي أي رد فعل حين بدلت قاهرة غرفتها بغرفتهم ذات السرير الواحد .! لقد تذكرت شيئاً وهو متأكد من هذا .. وإن كان لا يعرف ماذا تذكرت تحديداً .. برقت عيناه بإصرار لكنه ينوي أن يعرف فتح باب الجناح وهو يبتسم ساخراً .. فمؤكد أن أسر يستشيط غضبا الآن لفشل خططه ..! ووضعت الحقيبة وهو يتأمل شرودها .. فكت حجابها

بنفس الشرود وعيناها تنظران إلي السرير الكبير .. لم يتحرك .. كان ينتظر ردة فعلها المتوقعة .. الرعب .. الخوف .. الغضب !! لكن لا شيء !! جلست على السرير .. ثم أقلت رأسها للخلف لتنام بهدوء تنهد بإعياء .. اتجه لحقيبته أخرج ملابسه واتجه إلي الحمام فهو يريد أخذ حمام دافئ بعد تلك الرحلة .. أطفالاً الأنوار في الغرفة حتى لا تزعجها أجهشت بالبكاء بصوت خافت للغاية .. ما إن أغلق باب الحمام وعم الصمت والظلام الغرفة .. وكأنها كانت تنتظر إغلاقه للباب كإشارة .. أخذ جسدها يرتعش ودموعها تجري بصمت .. ألن يرحمها مروان ..؟! حتى حين خرج من حياتها .. لا ينفك يعذبها .. يشاركها صحوها ونومها .. يخيم على حياتها .. يا الله .. اللهم ارحمني .. أخذت تردد الدعاء بصمت .. بخشوع .. بقناعة ..

" اللهم إني مسني الضر فارحمي .. إنك أنت أرحم الراحمين .."

كيف لها أن تحب .. كيف لها أن تشعر حتي بالحب .. هي لا تستطيع أن تحب أحدا .. وبالتأكيد ليس نادر!! هو يستحق الأفضل .. لا يستحق أنثى مشوهة مثلها .. أنثى محطمة .. مكسورة .. معذبة .. لم يعد بقلبي سوى الشروخ والجروح والرعب .. لكن آااه من لكن تلك .. التي تفتح لقلبي مدن الأحلام .. لكن هي تحب قوته .. تحب يقينه ... تحب تأكيده لها بأن لا مكروه سيصيبها طالما كان إلى جوارها .. تحب بقاءه إلى جوارها حتي وإن لم تعرف السبب .. حتى وإن كان شعور بالواجب .. الامتنان لصديقة .. لا يهمها المهم أنه إلى جانبها .. يحميها ...! توقف صوت المياه لينذرنا بخروجه .. ما إن فتح الباب حتي تسمرت نظراتها عليه والحمرة تغزو كامل جسدها حتى في الضوء الخافت المنبعث من الحمام .. استطاعت رؤيته .. يا الله كيف لرجل أن يكون بهذا الكمال والفتنة .. لم يكن يلف حول وسطه سوى منشفة بسيطة ويجفف شعره بأخرى، حاولت أن تنظر بعيدا عنه .. بكل أمانة حاولت لكن بدا أن عينيها ترفضان الخضوع

لأوامر عقلها .. لم تكن قد رأت رجلا من قبل هكذا .. بتلك الروعة وذلك القرب .. صححت لنفسها باشمئزاز " كان هناك مروان .. !! جعلت أنفها باشمئزاز .. فمروان ليس كذاك ، ولن يكون وهي لم تر مروان أبدا .. كان كالضباع ينهش لحم فريسته وهي حية .. إنما هذا ...!! هي متأكده أنه كالفهود .. لا يقرب فريسة مريضة حتى !! وهي مريضة .. ممزقة .. منتهكة ..! أغمضت عينها بألم وهي تعاود التظاهر بالنوم .. وفكرة واحدة تسيطر على خلايا مخها وقلبيها .. نادر لن يفكر بك بتلك الطريقة أبدا .. هو لن يرغب ببقايا امرأة أبدا ..!..! كان يظنها نائمة .. لكن شيئا ما جعله يدرك أنها إنما تتظاهر بالنوم .. حاول تجاهلها لكنه لم يستطع .. بدا أن عيبرها ينتشر بالغرفة كالنار .. كان قد تعود على الحياة بمفرده فلم يلتفت سابقا لما يجب أن يفعله بوجود امرأة .. بدا مرتبكا ومحتارا .. أين يجب أن ينام ..؟! ظهره يؤلمه من نوم الطائرة غير المريح .. واللييلة السابقة نام علي المقعد أمامها، أخذ ينظر إلى السرير بتعب وإرهاق وتبرير .. " يبدو كبيراً .. هي نائمة ولن تشعر به حتى .. ربما ..!! "

فكر .. قد تفزع إن صححت ووجدته بقربها .. يجب أن يفكر بها .. تمرد شيطانه عليه وهو يقنعه أو ربما لا يجب .. !! تناول شورت وتي شيرت رصاصي باهت لونه وعاد للحمام .. بدل ملابسه، وخرج مرة أخرى وأفكاره لا تنفك تعذبه..كان يشعر بالنيران في صدره .. بالحرق .. لماذا هي بعيدة هكذا ..؟! رغم قربها يشعر بها بعيدة، لكنه لن يسمح لها بأكثر من هذا .. قد يكون تصرفه أنانيا لكنه يرغب في أن يكون أنانيا .. هو أناني في كل ما يتعلق بها .. يريد قربها حتي وإن لم ترغب هي .. يريد أنفاسها التي تبعثرها للهواء بعيدا عنه .. يريد عطرها الذي حرم منه كثيرا .. يريد ما .. هو يعرف أنها تذكرته..تذكرت لو جزءا بسيطا للغاية ..كان ذهنه يعمل باطراد .. ما يجب عليه فعله هو الاستمرار بالضغط حتى تتذكر كل شيء،

وذلك لن يأتي بمراعاتها !! بالخوف على شعورها وخجلها وإحساسها يجب أن تتشبع به .. يجب أن تتذكره !! ما إن انخفض بجسده إلى السرير حتى هبت فزعة .. لتثبت له أنها لم تكن نائمة أو أن نومها خفيف للغاية ... همست بفرع وهي تتراجع تلقائياً للخلف حتى أوشكت علي الوقوع من السرير :- " ماذا تفعل ..!!؟ "

تظاهر بالبرود وهو يقول بلامبالاة :- " وماذا ترينني أفعل ..!!؟ "

تهمد حين لم يجد منها رد أكثر من اتساع عينيها النجلوتين بمزيد من الخوف والفرع فسرما هو واضح :- " أنام فأنا متعب "

هزت رأسها بخوف غريزي أغضبه بشدة :- " ليس هنا .. نم في أي مكان آخر "

ابتسم بسخرية وغضبه يتزايد إلا أنه كان يتحكم به بشدة :- " وأين تريدني أن أنام ..!!؟ "

سحبت الملاء حولها تداري نفسها وكأنها عارية .. ليس وكأنها نامت بملابس سفرها !! " لا أعرف لكن ليس هنا ..!! "

بدا أن الوضع سيتفاقم ورعيها يزداد .. فحاول بلطف :- " هدى بالله عليك أنا متعب ولا أريد سوى النوم .. "

لكنها رفضت التخلي عن ذعرها وأخذت تنظر له كما لو أنه سينقض عليها في تلك اللحظة ويلتهمها ما دفعه للقول بغضب وهو يرمي برأسه علي الوسادة بتعب روح وشجن وعذاب لم تدركه هي :- " كوني علي ثقة أنني لن أقرب منك بتاتاً.. أخبرتك كل ما أريده هو النوم . "

ألمها تصرّحه اللامبالي بعدم رغبته فيها .. ألمها وجرحها .. بالطبع لن يرغب فيها .. وكيف يرغب في امرأة مثلها .. قدرة .. ملوثة .. مشوهة .. لمعت دمعة بأهدابها وهي تدراي جرحها لتومئ بصمت فاجأه .. سامحة له بالنوم وهي تلتزم أقصى اليسار من السرير .. تهجد بإعياء وفضل أن يتجاهل رد فعلها .. فاقترابه منها هو خطوة ..!

\*\*\*\*\*

تسلل أسر للشرفة بصمت وهو يتلقى المكالمة الهاتفية التي كان ينتظرها من مدة .. أغلق باب الشرفة خلفه خشية من إيقاظها أو سماعها شيئا من حوارهما

سأل بصرامة :- " وجدته .. كيف كلا ..؟! ماذا .. أين .. هنا ..! "

ارتفعت نبرته بغضب أسود وهو يهتف :- " بياريس "

أكمل بعد صمت بصرامة أكبر ويداها تعتصران الهاتف حتى كاد يحطمه :-  
" حسناً لا تخبر نادربشياء .. "

هز رأسه بإصرار أشد وهو يقول :- " كلا ليس الآن .. فلنبق علي خطتنا  
للنهاية "

صمت طويلا وهو يصغي بانتباه تام .. انتهي لهيمس بعدها بود :- " شكرا  
محمود "

عاد للغرفة ليتأملها وهي نائمة في سريرها .. ملتفة بلحافها وخصلات شعرها العجربة السوداء متساقطة حولها حتى ارتاحت أطرافها علي الأرض .. ركع على ركبتيه بجوار سريرها .. يتأملها بهدوء ونظرة حزينة شعت بعينيه حتى تحول لونها للرماد .. لم لم يلتقيا قبل كل الألم ..

العذاب واللامبالاة التي غلف نفسه بها ..؟! لمْ لمْ يلتقي بها سابقا بعمر آخر ومكان آخر وزمن مختلف ..؟! مد يديه يللمم خصلاتها ليرفعها برفق إلى أنفه يستنشق عيبرها بععمق .. ثم بتهدئة ضيق من نفسه لملم تلك الخصلات ليضعها إلى جوارها علي السرير .. هم بالنهوض حين داهمته نغزة ألم رهيبه بعينيه ليكتم صرخة خرجت دون إرادة من فمه وهو يغمض عينيه بشدة ..! بدا الألم بشعا لدرجة شعر بعينيه تنفجران من الداخل .. تمسك بقبضته بسريرها بعنف ليسكت موجات الألم البشعة التي أخذت تنتقل من عينيه لخلايا أعصابه كلها كما النار.. صدرت عنه آهه أخرى وهو يضع رأسه بكل ثقلها على سرير قاهرة التي هبت فرعة من نومها حالما شعرت بثقل خلفها .. لتفاجأ بشكل أسر وهو يقبض بعنف على ملاء السرير بيد والأخرى يضعها على عينيه، وكأنه يريد أن يعتصرهما بها بينما همد جسده تماما من أي حركة .. لتقول بخوف والنعاس لايزال يداعب عينها :- "أسر .. مابك ..؟!"

لم يجب .. لتعيد هي السؤال بخوف .وقد نهضت عن سريرها لتتزلق إلى جواره على الأرض :- "أسر .. ما بك ..؟! أنت مريض .. أتشكو من شيء..؟!"

بلهفة مدت يدها لتبعد يده عن عينيه .. تريد أن تتأكد إلا أن أنينا مكتوما متألما صدر منه ليرعما .. أوشكت على البكاء .. لمعت عيناها بالدموع ،وهي ترى أمارات العذاب علي بقايا وجهه الظاهرة لها .. قبضته التي ابيضت سلامياته من شدة تمسكه بالشراشف حتى أوشك أن يمزقها ليخرج صوتها مرتعشا وبحة بكاء تبدو به واضحة :- "أسر بالله عليك لا ترعبي أكثر من هذا ..!"

ظلت صامتة لثواني تنتظر منه رد فعل أي شيء، وحين لم يبدر منه شيء هبت بارتباك وخوف لتنهض وهي تقول ..:- "سأنادي طبيباً .."

للتوقف بارتداد سريع للخلف حتى كادت تقع عليه حين امتدت قبضته لتقبض على كاحلها وهو يهمس بألم وشراسة :- " ابقى مكانك!"

بدا أنه يواجه صعوبة في إخراج حروف مرتبة لاتدل على معاناته وألمه :-  
" أنا بخير "

نفض قدمها من بين يديه ،وهو يقول بحقد :- " فقط ابتعدي عني "

يا الله حتي وهو بتلك الحالة يجيد طعنها .. طعنات متوالية .. يأمرها أن تبتعد عنه ابتلعت غصبة وهي تعيد شعرها المتناثر للخلف .. كيف تبتعد وهي تراه بهذا الحال .. لمعت دمعة بأهدابها وهي تجاهد للتحكم في نفسها .. بقيت صامتة لثواني فقط حتي تماكنت أنفاسها .. لتتحرك بابتعاد مؤلم عنه .. لا يجب أن تهين نفسها أكثر من هذا .. أين ذهبت كل قراراتها السابقة ..!! إلا أن قبضته علي كاحلها أوقفها ببطء وخشونة، وهو يهمس بألم بصوت مبعثر يناقض قراره السابق :- " ابقى .. "

حين ترددت أكمل بنفس البعثرة الأجيثة :- " عيني أشعر بها ستنفجر "

ياالله عليه .. يؤلمها بلحظة حتي توشك روحها علي الهرب من جسدها خوفاً من ذلك الألم .. ليداويها في اللحظة التالية لها ،جلست ببطء إلى جواره .. ليترك كاحلها ويضع يده الأخرى علي عينيه بشكل متصلب ، وهو يرجع رأسه ببطء للخلف يسندها علي مقدمة السرير فكرت بتبعثر ..  
لتتخذ قرارها وهي تهمس له :- " انهض .. "

لم يتحرك لتميل عليه ، وهي تحاول أن ترفعه من كتفيه .. لينهض معها دون إرادة تقريبا كشفت عن مدي الألم الذي يعاني منه، رتبت فراشها المبعثر لتجعله يستلقي عليه ... ما إن استلقى ببطء وعينيه لازالت مغمضة حتي أخذت نفساً عميقاً تهديء به الصخب الدائر داخلها .. لتدور من جانب السرير وتتسلقه .. جلست ومن ثم رفعت رأسه ببطء ليستقر بحضنها .. بدا أنه صدم .. حاول أن يزيج رأسه بعيداً عنه دون قدرة لديه علي الكلام .. إلا أنه أصدر آهة حين حرك رأسه بعنف .. ألمت قلبها لهمس بريق جاف :-" لا بأس عليك .. فقط أرح رأسك "

وكانه كان بحاجة لتلك الكلمات .. إذ استسلم سريعاً بطريقة جعلتها تقطب ما بين حاجبها بقلق شديد .. أراح رأسه في أحضانها بصمت .. شدت الدثار لينزلق عليه .. تأفف إلا أنها همست له :-" هشششش .. استرح "

خفضت رأسها إليه وهي تبدأ تدليك جانبي رأسه بنعومة .. تمرر أصابعها على العروق البارزة بجانب رأسه .. صدرت منه همهمة أخري وجسده يسترخي قليلا .. انتقلت أناملها لفروة رأسه .. لتنساب بداخل نعومة شعره وارتعاشه تمر عبر عمودها الفقري ، لطالما تأقت لتمرر يديها بخصلات شعره .. ابتسمت بشجن .. بينما انزلقت خصلات شعرها من الجانبين بشكل بديع ليتساقط علي وجهه .. حاولت لملته بسرعة حين وجدت يده تتمسك بخصلاتها بإصرار لهمس أسر ما بين نوم ويقظة بصوت أجش :-" اتركه .. يعجبني عبيره ..!"

ابتلعت ريقها وهي تتركه وقد بدا صخب قلبها يخنقها .. همس بفضفضة روح :-" أتدركين أن أكثر ما أحب بك هو شعرك "

يا لحظ شعرها ...!! قالت لنفسها ساحرة بمرارة ليكمل بغياب تام عن الواقع :-

" أول مرة رأيتك بها كنت في السادسة عشرة كنت في نافذة غرفتك .. وظهرك للشرفة لا أدري كم توقفت منبهراً هناك .. وأنا أرى تلك الخصلات السوداء بالغة الطول حتي لامست الأرض .. ترفرف هنا وهناك .. ظننت.."  
ابتسم بنصف حلم :- " ظننت أنني أتوهم .. أن جنية ساحرة ظهرت لي أو أن ست الحسن والجمال بقصة الشاطر حسن عادت للحياة مرة أخرى.."

ثم أكمل بنبرة غريبة بيأسها .. برقتها .. :- " لأدرك أنك ما أنت إلا أخت شذى الصغرى .. كنت فقط في السادسة عشرة .. واحتقرت نفسي .."

أكمل أسر بينما تسمرت قاهرة وقد أصبحت تخشى أن تتنفس حتي لا يتوقف .. أرادت منه الاستمرار .. أرادت أن تسمع .. كانت خلايا جسدها تصرخ .. بفرح .. حزن .. يأس .. و خيبة ..! كان يعرفها .. أسر كان يدرك بوجودها بل وأقر أنه أعجب بها .. صححت لنفسها بجنون .. بل أعجب بشعرها .. كانت تشعر بالجنون .. اللامنطقية .. أجبرت نفسها علي إخراج نفس مختنق يهدوء ،وهي تستمع لهلوثته :- " ثم حادثتني .. و ادعيت أنك شذى .. لأدرك أنني يجب أن أبتعد .. فأنت كنت لاتزالين طفلة .. أعتقد أنني نسيتك فيما بعد .. كان انهارا ليس إلا ..! إلا أن تلك الصورة رفضت أن تمحى من ذاكرتي كانت شيئاً من الخيال .. من الأحلام المبتورة التي جعلتني أستطيع خوض العذاب بذلك المعتد "

ليصمت فجأة وهو يعتدل قائلاً بخشونة غريبة :- " لقد اختفى الصداع"

صدمة راودتها .. شلت لسانها لثوانٍ .. ماذا حدث .. هزت رأسها بعدم قدرة على الاستيعاب لتهمس ونظراتها تحاول أن تلاقي نظراته .. بلهفة :- "أسر"

نهض بعصبية وهو يتلفت بالغرفة بحثاً عن هاتفه قائلاً بخشونة وقسوة :- " .. لماذا أنت بليدة الذهن هكذا .. أخبرتك اختفى الصداع "

.. صدمتها الإهانة .. اقتربت منه والشرر يتطاير من عينيها لتمسك بذراعه الذي تصلب تحت قبضتها الناعمة، وهي لا تجد ما تقوله ليعلو صوتها بعصبية .. بغضب .. وذهول :- "أنت .. أنت مجنون .. مريض نفسي .. أنت لست سوى"

التف إليها فجأة وهو على مقربة بالغة منها حتي تلامس صدريهما .. حتي استنشقا أنفاس بعضهما البعض في ذلك الحيز الضيق المتوتر ليمس بشراسة وحقد وعيناه غاضبتان للغاية يحاول تحذيرها منه .. مما يخشاه :- "ها قد عرفت الحقيقة .. أنا مجنون .. سادي .. مريض نفسي كما قلت .. فابتعدي عني لأقصى مسافة تستطيعين .."

همس بقسوة وحقد وغضب بالغ لم تستطع تفسيره :- " لا تحاولي أن تغريني .. لأنك لو فعلت .. فلن يكون هناك نادم سواك !!"

\*\*\*\*\*

اقترب منها ببطء يقبل جبينها هامساً بصوت خشن :- " تلك قبلة الاحترام"

انخفض إلى وجنتها ولازال يهمس بحب :- "وهذه الود"

ارتفع إلى ما بين عينيه وصوته ينخفض بشدة وارتعاشه يظهر به وهو يهمس :- "وهنا موضع العشق "

استيقظت هدى لاهثة .. من ذلك الحلم .. كانت أنفاسها ترتفع وتنخفض بصخب .. جسدها حار رغم برودة الجو .. هدأت تماماً وهي تحاول السيطرة علي ارتعاشها وقد بدأت عينها تتعودان علي الظلام .. التفتت بوجهها قليلاً لتجده مستغرقا في النوم إلى جوارها .. حزن هائل غمرها على نفسها .. تشعر بالخجل كفتاة بريئة .. بل إن شعورها تجاهه .. وكأنها فتاة بريئة .. لم يمسسها رجل قبلاً لا تدري كيف تفسر شعورها هذا .. ربما لأن كل مرة كان يلمسها بها ذلك الحقيير .. كان يغمى عليها .. ولا تشعر بشيء .. ربما لأنها حين تنظر إليه الآن وتتلهف أناملها لملامسته .. تلك الذبذبات التي تمر عبر جسدها بأكمله .. ذلك التوق اللامحدود لملامسة خصلات شعره الغافية على جبينه .. تلك الرغبة المحرقة .. كل ذلك لم تختبره من قبل .. ربما هي عذرية الروح .. قبل عذرية الجسد .. قد يكون مروان انتك جسدها .. لكنه لم يصل إلى روحها .. فروحها لازالت عذراء .. قبضت على أناملها بشدة تمنعها من الهرولة إليه .. لكنها لم تستطع وكأن أناملها لهما إرادة خاصة بهما .. اعتدلت ببطء شديد .. صارت تستند بمرفق على الوسادة واليد الأخرى هرولت إليه .. إلى خصلات شعره .. تلامسها ببطء وشيء من الحنين الغافي بين جنبات أضلعها .. شيء من الحنين الحزين .. حين لا نعرف مصدره .. وهي لا تعرف لماذا تشعر نحوه بالحنين .. والحزن ! تسللت أناملها إلى وجهه بدون قصد منها أو إرادة .. تلامس وجنتيه .. لحيته الخشنة بعض الشيء .. عظمة أنفه الشامخة .. لتنزلق إلى شفتيه .. بانهار .. كانتا متقوستين .. الشفة السفلى غليظة بعض الشيء .. والعليا .. " بالله عليك .. توقفي !!

ولت الأنفاس هاربة منها وأناملها على شفثيه وجسدها كله يشتعل ..  
بتأثير همسته الأبحه الخشنة المنخفضة .. تسمرت وهي تحدق بعينيه  
المفتوحتين .. وقد شابتها نظرة حارقة ..لتختفي الأنفاس تماماً من  
صدرها .. كان يجب أن تبتعد .. أن تفرغ .. أن تشعر بالرعب .. لكن نظرة  
عينيه سمرتها مكانها بانهار.. ولازالت أناملها تلامس شفثيه .. بتوهان  
ورجفة .. بينما همس هو بعذاب، وهو لا زال على نفس وضعيته :- " أنا  
رجل ياهدى .. مهما ظننت بي من قوة فأنا رجل وما تفعلينه بي عذاب ..  
فبالله عليك توقفي !"

سحبت أناملها ببطء .. وعذاب عينيه ينتقل لعينها بصمت وهدوء  
وإدراك وشهقة ضخمة ترتعش في صدرها .. لتشهق باكية فجأة، وكأن كل  
الهواء قد عاد دفعة واحدة إلى صدرها بسرعة وهو يختطفها إلى ذراعيه  
الضخمتين .. يعصرها بينهم.. احتضنها بشدة ليدفنها بأقصى أضلعه يريد  
لها إفراغ دموعها بصدره عليها تروي قحط السنوات العجاف التي عاش  
بهما بعيدا عنها .. لا يريد لدموعها أن تتساقط لتروي الأرض تحت قدمها  
بينما أضلعه عطشي لها !..

" ههششششش .. حبيبتي .. ههششششش "

كانت كل خلية به تصرخ نداء لها .. وتطالب .. بل وتأمره بالطاعة .. كل  
خلية بجسده تطالبه بتلبية نداء جسدها .. رجفة جسدها وأنين شفثها  
.. كل ذرة تعقل به طارت بمهب رياح أنفاسها الساخنة المرتعشة التي  
تلفح صدره .. مد يده يزيح حجابها الواهي من تأثير النوم لتتساقط خصل  
شعرها العسلي كشلال بالغ الروعة والنعومة على يده الخشنة .. دفن  
رأسه به .. يستنشق عييره بشوق يريد أن تخترق أنفاسه وتتشبع بها  
حواسه التائقة لها .. تسللت أنامله تعبت بهم بانهار وتوهان وحنين ..

لظالما تاق ليتلاعب بخصل شعرها بين يديه .. منذ تلك الليلة الأولى التي رأى بها شعرها على غفلة منها ومن الزمن وهي ترفض رفضاً قاطعاً أن تريبه إياه مرة أخرى .. الآن أصبح حاله .. له .. كلها له ..! وهو لم يكن يسمح لها بتلك اللحظة من منعه من أشياء لظالما أرادها .. خفض رأسه القوي الفخور إليها بحب .. بلهفة .. بتأن .. يرفض رفضاً قاطعاً أن تضيع أنفاسها في الهواء .. وهو يلامس خصل شعرها .. ليضع قبلة حارة علي جبينها .. ومن ثم وجنتها بتأن عاشق حد النخاع .. رفع وجهها إليه لتقابل نظراتهما .. لم يكن بعينها خوف أو اشمئزاز أو رفض .. بل فقط فضول متسائل حائر ولهفة عميقة .. ليعاود تقبيلها بعمق بين عينها وهو يهمس كالحلم " هنا موضع العشق .."

لتساقط دمعتان ببطء من مقلتيها .. وبالإغرابة .. لم تبعده عنها ! بل ازدادت اقتراباً منه في تلك المساحة الضيقة التي تفصل بينهما ..! كانت يداها تحوطان خصره القوي الحار .. كطوق نجاة .. "أرادت .." فكرت بتشوش " أرادت المزيد .." أرادت أن تغرق ولا ينتشلها سواه .. بفضول الأنثى التي لا تدرك شيئاً مما يحدث .. فهي ولأول مرة تختبر حزن رجل بتلك القوة .. والحنان .. كان صدره دافئ .. أنفاسه المختلطة بأنفاسها ورائحته الغامضة تتسلل إلى خلايا مخها لتعيد إليها شيئاً من ذاكرة منسية " .. همسة حب وحنين "

" وضحكته الأجشة تتردد في الهو الخالي لمنزلهم القديم .. وهي تحاول أن تربط له جرح كتفه الذي ظل يترنح بين يديها الوجلتين المرتعشتين بينما أخذ هو يضحك بكل عجرفة وخشونة ولا مبالاة .. وكأنه اعتاد علي الجراح ، لكنه حين لمح الدموع في عينها صممت ضحكته ليمسك يديها بين يديه ببطء يوقف تحركها النشاط الوجل حوله ليمس لها بلكنته

البدوية المميزة :- " لا تخش شيئاً هدى فأكبر الجروح هي جروح الروح لا الجسد "

ابتعدت عنه شاهقة .. ارتبكت .. والذكرى تداهما كل شيء معه .. تشعر به للمرة الأولى مبعثرة .. ! تشعر أنها مبعثرة لم تملك إلا أن تصرخ بخوف اعتادت عليه .. بردة فعل لم تعد تفكر كثيراً بآليتها :- " ابتعد عني "

\*\*\*\*\*

تنفست شادن بعمق .. أخذت تتجول بشوارع باريس القديمة .. تطرق قدمها الأرض الحجرية .. الأرصفة اللامعة بفعل رذاذ الأمطار المتساقط .. كانت ترتدي معطفاً أبيضاً يصل فوق ركبتيها بقليل وسكارف أحمر قاني عقدته بطريقة أنيقة حول رقبتها .. بنطال جينز بلوبلاك .. وأخذت مظلتها معها لكنها فضلت أن تستقبل زخات المطر الخفيفة علي بشرتها .. برودة الجو لذيدة .. منعشة .. جالت عينها ما بين أضواء متألثة .. وعشاق يحتمون بدفء بعضهم البعض من البرد .. الروائح الذكية لبعض المطاعم المشهورة .. عدة مكاتب تعمل أربع وعشرين ساعة .. حتى أن هناك البعض من فضل القراءة في مثل ذلك الجو .. أخذت تمشي وتمشي .. استمتعت كثيراً ، وشعرت بالصفاء يغزو روحها المتعبة .. انتهزت فرصة نومهم ولم تشأ أن تقلقهم .. فضلت الانفراد بروحها قليلاً .. تريد استعادة ذاتها القديمة الخالية من الهموم .. لم تعر الأمطار اهتماماً بينما أخذت تشتد حدتها .. فتحت مظلتها واستمرت بالسير .. أدركت أنها ابتعدت كثيراً عن الفندق ، ويجب عليها أخذ تاكسي والعودة لكنها استمرت في التجول .. توقفت لشراء فنجان من القهوة الساخنة .. حين شعرت بأحدهم بالقرب منها .. هزت رأسها بإهمال .. التفت يميناً ويساراً ، لكنها لم تلمح أحدهم ينظر لها .. أخذت كوب قهوتها واستمرت بالسير .. حين بدأ الشك

يخامرها .. وقع خطوات ثابتة هادئة خلفها .. حثت السير بقليل من اضطراب لتدرك أن الخطوات حثت السير خلفها .. بدأ خوفها يتنامى وهي تدرك أنها ابتعدت كثيراً، والمكان أصبح أكثر توغلاً في المتنزة .. لا يوجد أحد حولها القليل فقط يتناثرون هنا وهناك .. رمت فنجان القهوة وهي تسرع الخطي والأمطار تتزايد بشدة .. ووقع الخطوات خلفها يتزايد .. والأمطار تتزايد .. برق ضرب السماء صاحبه رعد .. تغير الجو في ثوانٍ من البرودة اللذيذة والأمطار الخفيفة .. للأمطار شديدة القوة حتى أن مظلتها طارت من يدها .. وبدأ جمهور الناس المتفرقين هنا وهناك .. يجرون بكل الاتجاهات للاحتماء من شدة الأمطار .. أصبحت مسيرة لا مخيرة وهي تتبع الجموع .. ما بين اصطدامها بأحدهم وآخر هناك ، والخوف يتزايد بداخلها .. حتى اصطدم أحدهم بها بشدة لتسقط علي ركبتيها .. " أووه.. يا إلهي!!"

حاولت النهوض عدة مرات لكنها كانت تفشل كل مرة بسبب اصطدام المارة بها، وهم يهرولون تحت وقع المطر الصاخب .. أغمضت عينها بشدة .. وهي تحاول التنفس بهدوء .. لكنها لا تنكر أنها كانت مرعوبة .. أخيراً لملت نفسها ونهضت ببطء لتجد نفسها تصطدم بصدر صلب .. جعلتها المفاجأة تشهق، ويد ذلك الغريب تمتد لتحميها من اصطدام أحدهم بها .. رفعت عينها لتبتعد عنه وتشكره حين أتت الهمسة الأجشة لينفد الأكسجين من رنتها " كالم فو.. ( اهدئي ) "

ياالله الريحان

\*\*\*\*\*

" ابتعد عني "

ترددت الكلمة بينهما في الصمت السائد .. انطلقت كرصاصة أصابت مقتلها بصدرة بينما ، وضعت يدها على فمها شاهقة باضطراب وارتعاش .. لم تجرؤ علي التحرك .. فقط لم تجرؤ .. أرادت الهرب بعيداً .. الانزواء .. لكنها فقط لم تستطع .. لم تستطع أن تفسر لنفسها السبب بينما رفع هو يديه إلى وجهه بتعب يمسح عليه ببطء .. اتخذتها هي فرصة لتهرب بعيداً عن عينيه .. .. لم يتكلم لثوانٍ بدت طويلة للغاية .. لكنها توقفت لثانية مهزوزة حين أتمها همسته الأبحه بصوت خشن، وهو يرمي رأسه للخلف بإرهاق :- " أنا أسف "

هزت رأسها برفض غريزي وهي تهول إلى الحمام لتغلق الباب خلفها بقوة .. استندت علي الباب لتهاوى قدماها تحتها فجأة .. هي ترفض أسفه لآتريده أن يتأسف .. لا تريده أن يتأسف !! أرادت منه أن يصرخ .. أن يهزها .. أن يخبرها أن ما يفعله هو حق مشروع له .. أن يهينها .. يضرها .. حتى تكرهه أكثر.. مروان كان يفعل هذا ..!!! لماذا لا يفعل مثله أليس كل الرجال سواسية ..!!؟

\*\*\*\*\*

أغمض نادر عينيه بقوة .. ياالله .. كيف له أن يصبر .. كيف له أن يحتمل أوشكت طاقته علي الاحتمال بالنفاذ يريد لها أن تتذكره .. أن تتذكر ..! يدرك أنها لا تريد أن تتذكر ويعذرهما بهذا .. لازالت كلماتها ترن بأذنه لقد اغتصبني .. !!

ياالله .. ارحمني ما أبشعها من كلمة كيف حدث هذا ..؟! كيف سمح له أن يحدث ...؟! هو السبب لو لم يغادر ..! لو لم يذهب بتلك المهمة ..! لما

حدث لحبيبته شيء!! قبض علي أصابعه بقسوة .. كان يحيره بشدة شيء ما .. أزاح جانباً كل تقززه .. اشمئزازه .. رغبته في قتل ذلك الحقير .. ليفكر .. حين عاد كانت زوجته ..! أهذا هو السبب .. إذاً هذا هو سبب عدم انتظاره .. لكن كيف ..؟! كيف حدث كل ذلك .. ولماذا لا تتذكره هذا ما يحيره .. وبشدة يجب أن يسمع منها .. يجب أن تطمئن له بشكل كافٍ حتي تحكي له ما حدث ..! يجب أن تتذكره لتحكي له ، ابتسامه مرت علي طرف فمه بأسى لقد عانقها .. احتضنها .. تشبع بأنفاسها ولو قليلاً .. قليلاً بما يكفي ليستمر .. ليناضل من أجله وأجلها ..! لتعود حبيبته كما كانت من قبل مثال للفتنة والبراءة لتعود ساحرته التي لم يدرك كيف وقع قلبه الجبار صريعاً تحت قدميها فقط من ابتسامه ورعشة هدب خائف يحن وبشدة لتلك الأيام الأربعة التي قضياها معا مرغمين ..!

تلك الأربعة أيام هي ما زاده بعدا ..! عادت به الذاكرة لذلك اليوم الذي يبدو الآن بعيداً للغاية، وهي تقول له بكل براءة وهي تشير على كتفه النازف :- " كيف أصبت هكذا ..؟! وماذا تفعل هنا ..؟! هل أعطاك أسر المفتاح ..؟! لم لم تقم بفندق ..؟! "

أخبرتكم أن الكهرياء منقطعة ..؟! كم ستبقي ..؟! أممم هل أنت فعلاً صديق نادر ..؟! "

أخيراً أشارت إلى صدره العاري بضيق :- " هل ستظل هكذا عارياً .. أليس لديك ملابس ترتديها ..!!! "

انطلقت ضحكته الأجنحة وهو يشعر بالذهول .. ياللهول لديها حصيلة هائلة من الأسئلة ..! مد يده حتى حدود شفيتها يصمتها .. لتشهق متفاجئة وعيناها ترتفعان إليه في خجل .. لتؤسر عينيها بألف شمس بعينه .. ظلت أنامله معلقة بينهما بالهواء وعيناها تأسران عينيها هامسا بصوت

خرج مبجوحاً بعد ما أراده أن يخرج مرحاً :- " هشششش اعطني فرصة لأجيب "

لتبتعد بخجل و بنفس هامسة والاحمرار يغزو بشرتها تماماً :- " وهل منعتك ..!!؟ "

استعادت سيطرتها علي نفسها بصعوبة لتقول بتقطع ومشاكسة وهي تنزلق بعيداً عن السرير

" أنت لم تجب حتى الآن ولوعن سؤال واحد "

انزلق هو الآخر من السرير من الجهة المقابلة لها ، وهو يقول بابتسامة متسامحة خالطها كثير من الاستمتاع الذي أراد إخفائه لكنه لم يستطع " أنت لم تعطيني الفرصة .. تذكرني هذا!..! "

التفتت إليه بإعازة وهي تكتف يديها حول صدرها بطفولية لتراه يرتدي قميصاً ما على عجل وتأوه حين ارتفع ذراعه للأعلى .. ما حبس أنفاسها .. رؤيته بهذا الشكل كان صدره قويا .. وخصره ضامراً حتى في الضوء الشاحب استطاعت ملاحظة لونه البرونزي الرائع التفتت لبعيد بخجل وهي تقول :- " حسناً ها أنا صمت .. تكلم "

ما إن هم بالإجابة حتى فاجأته بصرخة خفيفة، وهي تقترب منه قائلة :- " يا إلهي لقد نسيت جرحك تماماً.. ذراعك يئزف .. و "

أكملت بخجل ووجهها يتلون بالاحمرار اللذيذ حين لاحظت مدى اقترابها منه برعونة :- وحاجبك وجزء من ..

أكمل عنها حين صمتت بتعثر :- " وجنتي "

استنشقت بعنف وهي تجذبه من يده بثقل قائلة برقة :- " هيا معي إلى الدور السفلي هناك علبة إسعافات أولية .. أعتقد .. في الحمام السفلي "

يا إلهي ستصيبه بالجنون ازدادت ابتسامته ، وهو يراها تجاهد في شدة بيديها الرقيقتين والتوى فمه بسخرية سعيدة، وهو يفكر هي حتى الآن لم تعطه فرصة للحديث ما إن انتهت من تعقيم جرح حاجبه حتى تلمسته دون إرادة منها وبخجل كبير، وهي تقول بأسف " سترك أثرا دائما "

لم تكن تدري لحظتها كم أن كلامها صحيح .. فذلك الجرح ترك أثراً دائما بقلبه وعقله .. أثراً كان الأحب لقلبه ..! تهجد وهو يحاول عبثا النوم .. لكنه لم يستطع رغم إرهاقه .. فإن إدراكه أنها تحبس نفسها بالحمام خوفاً منه يؤلمه أغمض عينيه بصبر .. يتنفس بعمق والذكرى لا تنفك تعاوده ..

ابتسمت بتوتر وهي تقول :- " ها قد انتهيت .. لم يبق سوى جرح كتفك النازف .. أنت لم تخبرني للآن كيف حدث لك ..؟! "

عيناه لا تفارقان تقاطيع وجهها .. يشعر بالانهار .. كيف لأثنى أن تكون بتلك الرقة والجمال والبراءة بحيث تسبب له غصة بقلبه .. بارتعاش بأطرافه .. برغبة بمخالفة كل القيم والمبادئ فقط ليمس لها أحبك..!

تفاجأ من نفسه يحبها .. اتسعت ابتسامته .. نعم يحبها .. منذ وقعت عيناه علي ذلك الهدب المبلول حتي وقع صريع حيا .. " نادرأنا أحادثك.."

همست هدى بخجل وهي تشعر بنظراته تحوطها حتى أصبحت بشرتها متوترة أينما وقعت عيناه خرج من شروده ليمس بيحة كان لها الأثر القاتل لها :- " هاه .."

أعدت السؤال بخجل " جرح كتفك هل تريد أن ألقى نظرة عليه .. "

ليقول ببساطة : " بالطبع "

بدأ يفك أزرار قميصه الذي ارتداه علي عجل لتصرخ هي بخجل شديد :-  
" ماذا تفعل ..؟! "

.. أجاب باستغراب لصراخها : " أخلع قميصي "

و حين هزت رأسها برفض تساءل باستغراب :- " كيف ستعالجين ذراعي  
إذن ..؟! "

قالت بارتباك وهي تلوك شفها بتوتر لذيذ :- " لا أدري .. اا حسنا لا بأس  
علي ما أظن "

لتنسع ابتسامته وهو يدرك أنه أصبح يعشقها بدأت بلامسة الجرح  
بخجل وارتباك .

ليتأوه فجأة ما دفعها للهمس بأسفة .. بخوف ورعب .. كانت تخشي أن  
تجرحه .. تؤلمه .. بينما لم يبد عليه أساسا أن الجرح يؤلمه إلا أنه حين تؤه  
ارتعب فعلا .. أدرك أنها لن تستطيع ربط ذراعه جيدا من خجلها وتوترها  
فسألها ببساطة يبحث عن حوار خفيف ليزيل توترها بعيداً :- " ما هي  
أكثر حلوى تحبونها ..؟! "

رفعت رأسها له باستغراب تتساءل :- " ماذا ..؟! هل سمعت سؤالك  
صح "

أوماً برأسه بالإيجاب لتنتلق ضحكتها الرائعة الرنانة ويتوقف قلبه عن  
الخفقان " يا الله هل لضحكة أن تكون قاتلة هكذا ..؟! "

اشتدت ملامحه وتوتر ذراعه بيديها .. لتصمت بارتباك في الحيز الضيق  
بينهما ،وهي تجيب عن سؤاله مهدوء :- " باسكن روبنز "

جاء دوره ليبدو حائرا الآن :- " ماذا ..؟! "

فسرت له بابتسامة خفيفة :- " لطالما أحببت باسكن روبنز فانيلا

لا أحب الحلويات كثيرا لكنني مدمنة على باسكن روبنز "

\*\*\*\*\*

ياالله الريحان

رفعت عينها تبحث عن عينيه .. تتأكد من الهمسة الأجشة .. لكنها لم  
تجد الفرصة كان يضح سكارف أسود يحيط بوجهه ورأسه ليحميه من  
المطر .. رفع مظلة سوداء كان يحملها لتقيهما شر ضربات المطر .. ضمها  
بذراعه الأيسر إلى ضلعه وهو يسير بها في صمت .. حاولت الوصول لعينيه  
لكنها لم تستطع .. كان يسحبها خلفه بسرعة .. وهو يحميها بجسده من  
أجساد المارة المتصادمة .. كانت أقصر منه بكثير .. بدت قزما أمام  
عملاق .. لم يكن هناك سوي رائحة الريحان المختلطة بعطر المطر هو ما  
جعل قلبها يثب في حلقات مفرغة من اللهفة والأمل والعذاب وكما ظهر  
فجأة اختفى فجأة، وجدت نفسها تجلس علي كرسي هادئ أمام موقف  
الباص .. و منقذها اختفى في لمح البصر بين الوجوه .. ليترك لها شذى  
عطر مطر .. و.. عطر ريحان !! وضعت يدها علي قلبها .. تهدي تلك  
الرعشات الثائرة .. الوجلة .. الاضطراب كان علامتها .. أخذت تتلفت  
حولها بيأس .. دون أن ترى شيئا .. أين تهرب من طيفه ..؟! خفضت  
يدها .. أمام عينها تلاحظ ارتعاشها .. مدت يدها الأخرى لتشبك أصابعها  
ببعض عل ارتجافهم يهدأ .. ببسمة ساخرة.. بدا أن كل شيء عاد كما كان

.. خفتت الأمطار .. وتفرق الناس .. عادت المواصلات حية أمام عينيها ..  
أضيت المحلات بألف لون ولون..!

\*\*\*\*\*

أخيراً تجرأت هدى وخرجت من الحمام بعد أن سمعت صوت الباب  
يغلق .. خرج نادر .. همست :-

" الحمد لله .."

لم تكن تدري كيف ستواجهه تشعر بالخجل من نفسها .. وبالاحتقار ..  
ماذا سيفكر فيها .. أكيد سيقول أنها عاهة\*\*\*\*

توقفت الكلمة حتي بعقلها .. لظالما نعتها ذلك الحقير بتلك الكلمة .. هزت  
رأسها برفض ليظاير شعرها بخصل مبلة .. هي ليست هكذا .. ولم تكن  
أبداً .. أخذت نفساً عميقاً، وهي تجلس علي السرير .. لقد تحملت الكثير ..  
الكثير جداً .. سنوات من العذاب .. والألم النفسي والجسدي .. مرت  
عليها أيام لم تكن ترى فيها النور حتى .. كان يجبرها على التزام غرفتها  
خوفاً من الخروج إليه حتى لا يحقق مأربه منها .. حتي لا يلمسها ..  
خفضت رأسها بأسى لكنه كان يجد طريقه دائماً .. أول عام مارست فيه  
كل طرق الرفض والمقاومة .. لكنه استطاع في النهاية أن يقضي عليها ..  
على شخصيتها ... كان يتخذ معها أساليب وطرق ملتوية .. كان يمنع عنها  
الطعام والماء .. كل وسائل الاتصال .. الهاتف .. التلفاز .. حتي الراديو ..  
أحياناً كان يخبرها بين شربة ماء وأن تنفذ له رغباته .. وكانت ترفض ..! يا  
الله لا تدري متى تحديداً حدث التحول ، وأصبحت خاضعة له ، هي لم  
تقبله يوماً .. لم تسلمه جسدها يوماً بإرادتها .. لكن ربما كان إغماؤها  
من البداية تصريح غير مباشر منها ليمارس عليها أنواع من العذاب

السادى دون اعتراض منها ، تعلمت أن تجيب بنعم ولا .. تعلمت أنها حين ترغب فى شىء .. فرد فعلها يكون العكس تماما .. يجب أن تظهر نفورها من هذا الشىء .. تعلمت أن تكون ملتوية التفكير حتى يرحمها من عذابه !.. شيئاً فشيئاً بدأت هدى تضمحل وتختفي من داخلها لتظهر أنثى أخرى بلا ملامح ولا هوية سوى ما يريد لها مروان .. شيئاً فشيئاً بدأت تفقد ذاكرتها .. أو أشياء معينة منها .. كانت تشعر أن هناك أشياء يجب أن تتذكرها .. لكنها فقط

لا تفعل !.. فى البدء كانت تحارب حتى لا يحدث هذا .. صارت تكتب ما تتذكره فى ورقة .. أشياء .. أشخاص .. مواقف ..! لكن حتى تلك الأوراق كانت تجدها مختلفة بعدها بأيام حين تريد التأكد من ذاكرتها .. المواقف .. الأسماء .. الأشخاص .. تختلف .. حتى ظنت أنها جنت لتستسلم تماماً وصارت هدى امرأة الاحتمالات لم تعد متأكدة من شىء .. الخوف والجبن عنوانها .. اللاهوية اسمها

حتى ظهر هو .. نادر

وهي لا تجرؤ على النظر بوجهه بعد ما حدث .. يا الله اشتعل جسدها كله مرة ثانية حين تذكرت ما حدث .. لأول مرة فى حياتها تشعر بتلك السعادة تغرد بداخلها .. الإحساس بالأمان يتعاظم حتى تشبعت به كل خلاياها .. حين احتضنها .. توقفت عن التفكير لوهلة ، وهي تضع يديها على وجنتيها تبرد من سخونتهما .. وابتسامة شفافة تلاعب شفيتها حين احتضنها .. لم يعد للكون وجود .. شعرت أنها تناثرت لآلاف الشظايا المتفجرة .. تبعثرت .. تبعثرت .. ثم عادت لتتجمع بأحضانه مرة أخرى .. كان قلبها ولأول مرة يضح الدم بشرائبيها فى سعادة وليس بخوف وضربات قلبها وصلت حدها الأقصى شوقاً وليس رعباً حتى تذكرت !.. حتى خافت !.. حتى عادت هدى

القديمة تطل برأسها من نافذة معتمة خلقها النسيان ليرمي بها في بحر  
الذاكرة، تتذكر أنها كانت ترفض بتاتا أن يقبلها مروان .. كانت تزم  
شفتها بقوة .. وإصرار أمام محاولاته .. لم تكن تتخيل نفسها أبدا ..  
تستجيب لهذا الحقيق والآن وبكل بساطة .. تتجاوب مع نادر .. وليس  
فقط أنها تقبلت عناقه بل وأرادته .. أرادت المزيد وهذا ما أخافها !!  
حاولت إقناع نفسها ألا فرق بينهما فذاك رجل ونادر رجل .. لكن

ليس كل من يطلق عليه رجل .. هو رجل !! توجّهت إلى طاولة الزينة  
لتجد ورقة بخطه الأنيق وكلمتين قاطعتين فقط " أنتظرک بالأسفل "

ابتسامة بلهاء راودت شفتها .. يا الله .. هل أخيرا قد يحق لها السعادة ..  
هل !!؟ توقفت تساؤلاتها حين رن هاتف الغرفة، رفعت الهاتف  
بابتسامة هادئة لتجيب بنعم ليأتها صوت أنفاس ثقيلة .. مشبعة  
بالفحيح ، سمرتها مكانها لتهمس مرة أخرى بتوتر وخوف وجسدها كله  
ينتفض :- " من معي ..!!؟ "

لا مجيب .. فقط تلك الأنفاس الثقيلة التي تتردد بالصمت ليبلغ رعيها  
ذروته .. لم ترد أن تصدق .. أرادت تكذيب ظنونها فاستجمعت شجاعته  
مرة أخرى لتسأل بصوت حاولت إيداع كل شجاعته وصرامته به :- " من  
أنت ..!!؟ "

ليأتها صوت مروان البارد ذو الرنة التي تبعث القشعريرة والاشمئزاز  
بجسدها، وهو يقول بصوته ذي الفحيح :-

" أنت لي .. لي أنا ولن تكوني لغيري أبداً "

obeikandi.com

obeikandi.com

الفصل العاشر

ذاكرة منسية





وأجمل ما في الحب مفاجأته المذهلة لنا .

تلك الليلة الأولى .. كانت بداية كل شيء جميل في حياتها وربما كانت سببا في عذابها بعد ذلك !..

" ها قد انتهيت .. "

همست بها وهي تشعر بخجل بالغ وحرارة رهيبة، ويداها تلامسان صدره العاري .. منكبيه العريضين بينما انزلقت أناملها برقة حول صدره وكتفه لتلفه بالشاش الأبيض بعد أن عقلت الجرح الذي بدا سطحيا لها .. كانت الدماء حوله شكلها بشع ،وقد عاودت النزف بعد أن تجلدت حول كتفه البرونزي العريض ،ابتعدت خطوة وهي تأخذ نفساً مرتعشاً حين أتى صوته الأجش ليبعثها من جديد وهو يسأل :- أتلک رائحة خزامي !؟!

رفعت إليه عينها بذهول ، متسلقة بنظرات بطيئة صدره، ثم عندما وصلت إلى وجهه، كانت عيناه مفاجئتها

كانت لهما تلك النظرة التي أعطتها العتمة عمقاً مريكا ..عينان بلون شمس الصحاري الحارة .. أحداق ذهبية..ذات بؤبؤ بني..بدا كأن النيران نشبت بهما لم تكن كأى عينين رأتهما في حياتها من قبل ..لون النيران ..لون الشمس وضياءها لتهمس :- " ها .. "

بدا وجهه غامضا وهو يعتدل ناهضاً من مقدمة الطاولة حيث كان يجلس :-" لا شيء "

بينما أصابها الذهول كيف استطاع تمييز رائحة الخزامي .. هي لا تضعه كعطر بل هو نوعها المفضل من الصابون .. اعتادت غسل وجهها به كل مساء قبل ذهابها للنوم !.. ظلت مسمرة في مكانها، وهي تنظر إليه يرتدي

قميصه المملح ببقع الدماء .. كان قلبها يعزف سمفونية مجنونة .. لف شاله هو رقبته بحيث ارتفعت أطرافه إلى نصف وجهه بحيث لم يعد يظهر منه سوى عظمة أنفه الشامخة .. عينيه .. وشعره لتستوعب أنه ينوي المغادرة .. لتهمس بذهول وقلق مفاجئ :- " إلى أين أنت ذاهب ..؟! "

رفع بصره إليها بنظرة غامضة وهو يقول بتأكيد :- " سأغادر .. "

تقدمت للأمام خطوة صغيرة حتي أصبحت علي مقربة أنفاس منه لتهمس بنبرة مشوشة :- " إلى أين ..؟! أجننت ألا ترى الجو خارجاً "

اتسعت ابتسامته بحنان وهو يقول لها بهدوء وغموض :- " أنا لا أخشى الجو بالخارج أبداً .. ما أخشاه يقبع هنا بالداخل "

احمرت خجلاً وهي تدرك مقصده .. ولم تملك إلا

أن تصمت .. ليقول هو بهدوء ونبرة بحة :- " في أمان الله "

ما إن اتجه إلى الباب حتي همست بخوف غريب وهي لا تريده أن يغادر هكذا فجأة :- " لكنه يخيفني "

لتهمس بارتباك وعيناها تتحاشيان عينيه :- " ابق حت الغد .. أخاف أن أبقى وحدي "

ظلا صامتين والرياح تعبث بالخارج .. والأشجار تدوي بحفيفها الأزلي .. البرق والرعد يتناوبان علي الغناء .. وحاجة أزلية تنمو بينهما ليتهد نادر بعد صمت طال جدا بالنسبة لها .. :- " حسناً .. حتى الغد فقط "

صفقت يديها بجزل وهي تتفافز كطفلة صغيرة فازت بعلبة حلوى :- " شكراً لك .. شكراً نادر "

قاطعها وهو يحاول ادعاء الصرامة .. يحاول ألا يبتسم وكان هذا صعباً للغاية .. يحاول ألا يتهاوى أكثر .. يذكر نفسه بمن تكون هي .. ومن يكون هو ... بحياته المعقدة .. يريد أن يبتعد عنها .. عن عينها وشفقتها .. مرحها وبراءتها .. يريد أن يبتعد عن أهوائه فهو ليس رجل البقاء هو رجل الغياب .. رجل الرحيل .. رجل المهمات الصعبة والكلمات القاطعة، لكن تلك الفتاة الطفلة لم تكن لتدعه !! اتسعت ابتسامته الجذابة وهو يسألها :- " أين سأنام "

همست بخيبة .. ومطت شفها السفلى المكتنزة للأسفل بتعبير حزين :- " هل ستنام ظننتك ستسهر معي "

بابتسامة مرحة أكملت :- " ما رأيك أنلعب بالورق قليلاً "

كانت ستهمه بكل بساطة، انطلقت ضحكته الأجشة، وهو يقول باندهاش :- " الورق ..؟ "

" نعم .. اعتدت أنا وآسروشان للعب بها .. "

لم تتوقف لتسمع رده .. جذبت المصباح وهي تهزول إلى المطبخ .. توقفت بمنتصف الطريق لتقول بخوف غريزي :-

" أتأتي معي "

أربعة أيام .. كلما أراد المغادرة بقي !!ليغادرها أخيراً بوعد بالعودة .. هي مهمته الأخيرة .. وسيعود .. سيستقر سن تزوج ..!للتوقف شريط ذكرياتها هنا .. فما حدث بعد ذلك من أحداث بشعة تذكرتها كثيراً

تذكرتها كثيراً ؛حتى أنها تريد أن تبادلها بتلك الذكريات الجديدة القديمة السعيدة، ربما حينها فقط تعود هدى القديمة من جديد !

هدأت مشاعرها ودخلت بمرحلة من الهدوء والسلام النفسي .. تذكرت كل شيء .. أخيراً تلك الثغرات التي كانت تملأ حياتها .. خمس سنوات من عمرها .. ضائعة منها .. أخيراً عادت إليها .. تهندت بصبر

" الحمد لله علي كل حال "

هتفت بها بداخلها .. نهضت ببطء وهي تتلمس العون من الجدران الباردة حولها .. بدأت تتوضأ بنية الصلاة ركعتين شكراً لله .. نظرت لوجهها بالمرآة لتدافع دموعها مرة أخرى بفرحة و أسى وشفقة على حالها .. الحقيقة كانت أقسى من أن تتحملها وحدها .. عاودت البكاء .. حتى تورمت عينها أكملت وضوءها .. خرجت .. ارتدت إسدالها واتجهت للصلاة .. أتمت ركعتين وظلت جالسة .. رفعت يديها لعنان السماء ودموعها تعاود الانهمار .. بشكروراحة .. ولسانها يردد :-

" الحمد لله الذي أكرمني .. الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه "

أخذت تناحي ربهما حتي شعرت بالرضا الداخلي يكسوها .. والقناعة والإيمان بالله ، جففت دموعها و استلقت على السجادة مادة ذراعها للأمام وكأنها نائمة .. تشعر بالراحة تغمرها ، وهي بتلك المساحة الضيقة لسجادة الصلاة .. تشعر بالراحة والأمان .. بالطمأنينة

\*\*\*\*\*

خرجت قاهرة من الحمام وهي تجفف شعرها بغيظ وغضب وجنون .. في لحظة جنون قررت قص خصلات شعرها التي يحبها كثيراً ذلك المجنون .. تشعر بالغيظ والغضب .. والحدق عليه .. تحيرها وبشدة تصرفاته معها .. لا تدري ما يريد منها ..؟! لا تدري لما ينتقل من البرودة للحرارة للبرودة بثواني .. كلما قررت أن تباعد عنه يجذبها إليه بكل سهولة .. لم

يعد لديها سيطرة علي مشاعرها تجاهه تشعر بالضعف .. وتشعر بالحدق لأنه يدرك ذلك .. يبدو في عينيه ونظراته .. لفتاته المغرورة .. ابتسامته الساخرة الواثقة .. تخبرها أنه يدرك ضعفها تجاهه .. تخبرها أنه يعرف أنها كالهرة الأليفة بانتظار إشارة من سيدها لتلتف حول قدميه بحثاً عن الدفء ، وهذا ما يشعرها بالغيظ رمت المنشفة علي السرير بعنف لتسقط أرضاً .. جذبت مشطاً وأخذت تمشط شعرها بقوة حتى كادت تقتلعه من جذوره .. حين دخل بقامته المديدة ونظراته الغامضة من الشرفة .. رائحة الدخان فاحت في الغرفة .. رفعت بصرها إليه وابتسامة شريرة حقودة تلمع بعينها.. وعدت نفسها بحقد ساقصه ...! بعد نظرة متوترة منه إليها .. توجه إلى الحمام .. توقف عند الباب ليخبرها بصوت بارد :-

" شادن تنتظرنا في الجو وهدى ونادر علي وشك النزول لتناول العشاء ثم التجول ببباريس قليلاً ، تستطيعين النزول وملاقاتهم وأنا سأتي بعد قليل "

لم تبدر منها أي إشارة أنها سمعته .. تهذب بضيق وهو يغلق الباب خلفه قذفت الفرشاة من يدها بعنف ما إن أغلق الباب .. وهي تتنفس بعمق وشعرها يتناثر كخصل مجنونة حولها .. وضعت يدها على وجنتها بانحناءة كتف للأسفل .. يجب أن تسيطر على نفسها .. حتى ولو كلفها هذا حياتها .. التفتت مرة أخرى للمرأة تتأمل نفسها .. عينها البنفسجيتين .. شعرها الأسود العجري المتناثر بخصله البالغة الطول .. وجنتها العاليتين وأنفها الشامخ .. أهدابها الطويلة وو جنتها الحمراءوين .. جبهتها المرمية وشفحتها القرمزيتين .. لم تكن تحتاج مكياج لكنها أمسكت بقلم الكحل الأسود وهي تحدد حول عينها ببراعة .. لتعطيها المظهر اللندني الدخاني حول عينها مما زاد من إبراز لون عينها الغريب .. فتلت شعرها المبلبل بيدها لتزيد من ثورته وغجريته ، ومن ثم قذفت به

إلى خلف ظهرها وتركته هكذا ثائراً .. ارتدت بنطال جينز ضيق وبوت  
أرمانى .. جاكيت جلدي أسود قصير وسكارف أخضر .. جذبت حقيبتها  
واتجهت للأسفل، هي لازالت القاهرة وستريه .. !!

\*\*\*\*\*

هدر مروان بصراخ عصبي وهو يرمي بسيجارته بعيدا بعنف ما إن خطى  
شريكة إلى الداخل بطوله الفارع وملابسه السوداء :- " أين كنت .. لماذا  
لم تجب على هاتفك بحق الله ...؟ "

ليرد الآخر بصرامة :- " لا شأن لك .. "

تقدم ليجلس بطوله الفارع ببرود وشموخ وأنفة .. قائلاً باشمئز :- "   
ماذا تريد ..؟! ها قد أتيت "

تأمله مروان بشيء من الحقد، وهو يهمس بفحيح مجنون :- " أتدري أنت  
تذكرني به .. تذكرني به كثيراً .. أرغب في قتله .. أرغب بإحراقه حياً .. "  
ليكمل بحقد مجنون :- " أخذها مني .. ! هي لي ولن تكون لأحد غيري .. "

سأله بفضول :- لماذا تكرهه إلى هذا الحد ؟

أعاد خصله من شعره للخلف وعيناه تلمعان بجنون صافٍ وحقد وبغض  
شديد وهو يقول :-

أكرههما هما الاثنان .. تركاني أتعفن في ذلك السجن .. أتعرض للتعذيب  
.. أنت لا تتخيل ما حدث لي هناك ما تحولت له .. "

بنبرة ألم أكمل :- أوشكت على الموت ..

تغيرت تعابيراته بلمحة بصر للحقد والكراهة الشديدين وهو يكمل :- لذا  
يجب عليهما هما الاثنان أن يدفعوا الثمن "

سأله بأشمنأز :- لكن ألا تجد أنه من الخسة أن يكون دفع الثمن عن  
طريق النساء

" هه أية خسة تتحدث عنها .. نحن يا صديقي أصبحنا في زمن لا وجود  
لكلمة الشرف فيه ، تلك كلمة فقدت معناها .. ألم يكن من الخسة أن  
أسجن ظلماً وغدراً .. ألم يكن من الخسة أن يضيع مستقبلي ، إن دخلت  
الغاب فيجب أن ينبت لك أنياب ..!"

رفع أصبعه بابتسامة مريرة ساخرة وهو يومئ كحكيم أعطى أحدهم  
خلاصة حكمته ومعرفته .. نظر مطولاً لضيفه يتأكد من وصول الرسالة  
واضحة إليه ليغمض عينيه ، وهو يهمس بتعب " ولهذا سأختطفها غداً  
.."

ارتفعت ضحكته السادي ، وهو يكمل :- " سأختطفها غداً خططت لكل  
شيء .. غداً "

أكمل ببغض حقيقي :- " أسر سيكون في غرفة العمليات والكل منشغل  
وحيثها "

فرقع بأصابعه وهو يقول :- " وحين يأتي للبحث عنها .. لإنقاذها كبطل  
مغوار .. سيكون الموت ينتظره "

ارتفع صوته بتحذير بارد :- " ألا تعلم من هو نادر بالحاج ومدى خطورته  
علي أعمالنا ... "

نهض بطوله الفارع ليمسك مروان من رقبتة بشراسة :- " ابتعد عنه وعن كل ما يخصه .. لا تدمر عملي الذي جاهدت لمدة طويلة حتى استطعت تحقيقه.. وإلا أقسم بالله أن أقتلك أنا بيدي العاريتين "

بان الخوف بعيني مروان وبدأ جسده ينتفض كجرو مبلول إلا أنه استمر في جنونه قائلاً وصوته أصبح مبحوحاً من شدة قبضة الآخر على عنقه :- " ما أفعله لا يتعلق بأعمالنا .. لا تنسى لولا وجودي ما كانت تمت تلك الصفقة .. ثم "

برقت عيناه بالجنون مرة أخرى وابتسامته تتسع وقد احمر وجهه بشدة، وبدأ أنه يجاهد لالتقاط أنفاسه :-

" ثم إنني .. لن أبقى على أحدهم حياً .. سأقتل نادر وشادن وزوجة أسر ..! وحينها لن يكون لها أحد سواي في الكون كله .. "

دفعه الآخر بعنف وهو يخرج عن طوره صارخاً بتوحش : " أيها المجنون .. إن فعلت هذا سأقتلك بيدي .. ألا تفهم ..! "

إلا أن مروان لم يكن يستمع له ، بل برقت عيناه بنظرة المنتصر السادية وهو يخطط للغد جيداً

\*\*\*\*\*

رن الهاتف لتصحو من غفوتها القصيرة فرعة .. بدأ جسدها ينتفض بخوف مرة أخرى .. ظل الهاتف يرن بالحاح تقدمت ببطء وهي ترفع السماعة تمتت " بسم الله الرحمن الرحيم " وضعت السماعة على أذنها ليأتيها صوت شادن اللحوح :- " هدى .. هدى هل تسمعينني ..!؟ "



غصه انتابتها .. نادر كان حبيب هدى القديمة .. هدى البريئة وليس هدى الآن ..! ويجب أن يظل الحال هكذا ..!

\*\*\*\*\*

" أخيراً أنت !! "

تنفس نادر الصعداء حين أقبلت هدى مهدوئها المعتاد .. كان يخشى كثيراً ألا تأتي أن تعود لعزلتها وصومعتها التي حبست نفسها بداخلها منذ رآها ، خاف أن تهرب منه .. أن تفعل شيئاً جنونياً بعد حماقته معها .. كيف تجرأ على التماذي هكذا .. لكنه لم يستطع الاحتمال .. لم يستطع أن تكون بهذا القرب منه ويتركها .. آاه تأمل وجهها بدقة كعادته .. كانت تبكي .. أبكاها لم يستطع أن يشيح بعينه بعيداً عنها .. يراقب كل خلجاتها .. عينها المتورمة يا الله .. وجنتها الحمراء وأنفها المحمر .. تحاشيها لنظراته بطريقة غريبة خرجت زفرة حارة من صدره لينتبه له أسر الذي كان يبدو عليه الضيق والعصبية الشديدة.. ظلل عينيه تقطبية مخيفة .. وهو يزفر بضيق هو الآخر .. أرجع خصل شعره للخلف بضيق وهو يهمس لنادر بتساؤل جاف :- " ما بك ..؟! "

قال نادر بدهشة :- " ماذا بي .. !! "

ابتسم بغموض وهو يقول :- " ماذا بك أنت ..؟! "

ليجيبه أسر بضحكة ساخرة :- " ماذا بي أنا ..؟! ..هه لا شيء "

انطلق الاثنان يضحكان بعمق رجولي على حالهما .. لتقترب منهما شادن بمرح وخلفها قاهرة التي بدا ضيقها واضحاً وهدى .. التي لم تستطع السيطرة علي نبضات قلبها وهي تسمع ضحكته ياالله يالها من ضحكة

جميلة .. لوت شففتها بأسى وهي تلوك شففتها .. لم تسمعه يضحك منذ متى ..!!؟ ثلاث سنوات أو أكثر ..! كان قلبها يضرب بين أضلعها والأنفاس تهزول بعيداً عنها .. تشتاق لأن تتأمل محياه .. تشتاق لتتأكد من وجوده .. تشتاق لتنعيم بوجوده .. فقدته .. فقدته لمدة طويلة ..! اختلست النظر إليه بينما تقدمتهم شادن .. اشتاقت لحبه ..! الغريب في الأمر أنها أحبته للمرة الثانية .. أحبته قبل أن تفقد ذاكرتها وأحبهته وهي لا تعرف من يكون .. وتحبه الآن وقد عادت لها ذاكرتها، يبدو أن حبه مقدراً لها .. وهي تشتاق لأن تحبه ..! خرجت من تأملها له علي صوت شادن المرح وهي تتساءل :- " ما يضحكما ..!!؟ "

تبادل أسر ونادر النظرات ليعاودا الضحك بانفجار حاد .. ربت أسر على كتف نادر بمودة تربيته رجولية، وهو يسترد أنفاسه قائلاً وسط اندهاش الفتيات :- " أخبرها أنت .. أم أخبرها أنا ..!!؟ " هتف نادر بدهشة وذهول :- " ماذا ...!!؟ "

ماذا يريد هذا المتهور أن يخبر تلك الطفلة ..!!؟ لم يجد ما يقوله سوى النظر لأسر بتحذير تجاهله أسر بمكر وهو يلتفت إلى شادن جاذباً إياها إلى تحت ذراعها بمرح يخالف ما يشعر به من ضيق، وهو ينظر لـ قاهرة الصامته بغموض وطلتها الفاتنة أصابته في مقتل :- " لا شيء صغيرتي كنا نفكر .. أين تريدان أن تتزهي ..!!؟ "

هتفت شادن بجزل مرح، وقد قررت أن ترتدي رداء خلو الباب :- " أووه حقاً أسر "

وضعت يدها علي فمها بحركة تدل علي التفكير دفعت بالبسمة إلى شفثيه .. وهي تقول :- " أريد الذهاب إلى الشانزليزيه أو مولان روج أووووه.. أو سانت بوليفاراممم ..أو "

وضع أسريده بمرح على فمها وهو يضحك :- " ششششش .. اصمتي قليلاً .. ما كل هذا ..!!؟ "

تهمد وهو يكمل بهدوء ضاحك ، وإن شابه رنة ما لم يلتفت لها إلا قاهرة .. التي سرعان ما عادت تتحاشى النظر إليه :- " الوقت متأخر ولدي عملية غدا إن كنت نسيت ..! "

بهتت شادن لتقول بخفوت ، وهي تنكمش إلى داخل ذراعيه أكثر :- " أسفه أسر .. بالحماقتي "

ضمها أسر بحنان وهو يقبل قمة رأسها قائلاً :- " كلا حبيبتي لا تأسفي .. ميعادها محدد من فترة .. أنا الأسف .. لن يتسنى لي وقت لأريك كل تلك الأماكن .. "

عادت الابتسامة تلون عينيه وهو يقبلها من خدها :- " لكن أعدك بعد العملية بإذن الله سنبقي هنا أسبوعين لتمرحي بفرنسا كلها "

قالت شادن بحب وهي ترتفع علي أطراف أصابعها لتقبل كتفه كما اعتادت أن تفعل منذ صغرها :- " ربنا يحفظك لنا سالمًا .. شكرا أخي .. "

نظر إليهم أسر باسما ، وهو يقول بمرح :- " انتهى النقاش إذن .. هيا بنا .. اليوم سنتجول في المنطقة المحيطة بالفندق ونتناول عشاءنا خارجا .. ثم نعود للفندق للراحة .. ما رأيكم ..!!؟ "

أوماً الكل موافقا .. ما عدا قاهرة التي اعترضت بلطف غير طبيعي ..وهي تقول :- " اذهبوا أنتم أنا لست جائعة .. لكن لدي مشوار يجب أن أذهب إليه "

اشتدت قبضة أسر علي كتفي شادن بدون وعي ما جعلها تتأوه باستغراب ، وهو يقول بغضب مكبوت :- " أي مشوار هذا الذي تريد أن تذهبي إليه الآن وبفرنسا .. من تعرفين هنا ..؟! "

ارتفعت عينا قاهرة بشموخ ، وهي ترفض أن يحدثها هكذا أمام الجميع لتقول بتحدٍ :- " لا أعتقد أنه يهكم ذلك .. أستأذنكم ودون أن تعطيه مهلة ليرد التفتت ، وهي تتعد عنهم قائلة :- " أراكم غداً "

ما إن تقدمت خطوتين بعيداً عنهم حتي أتى صوته هادراً شرساً .. غاضباً للغاية وقد تخلى عن كل تحكم بأعصابه كان يملكه :- " قاهرة "

توتر الوضع بشدة بينما فزعت شادن التي لأول مرة ترى أسر بهذا الغضب بينما اقتربت هدى تلقائياً من نادر .. نظر نادر إليها قبل أن يلتفت ليحاول أن يوقف تقدم أسر الغاضب من قاهرة .. بدا أن الوضع تفجر بسرعة شديدة وغريبة ..!همس نادر وهو يحاول إيقافه :- " اهدأ يا رجل .. اهدأ .. "

لكن أسر أزاحه من طريقه ببساطة .. وعيناه مسلطتان علي عينيها التي ظهر فيهما التحدي .. سار بخطوة طويلة حتي وصل إليها وهو يقبض علي ذراعها بعنف .. سيقتلها .. سيقتلها ..! قبض علي ذراعها بغضب حتي أقسمت أنه خلع من مكانه .. ورغم الألم إلا أنها لم تخفض عينيها بعيداً عن عينيها .. وهي تمس بفحيح شرس :- " اتركني .. "

ل يهمس هو وقد اقترب بفمه من أذنها متجاهلاً نادر الذي تراجع للخلف  
بإحراج " سأقتلك .. أقسم أنني سأقتلك "

مرت رعشة رهيبة بعمودها الفقري لتهديده لها .. نظرة عينيه والغضب  
بهما .. لم تره أبدا بهذا الحال لكنها لم تظهر له خوفها بل على العكس  
جعلها هذا أكثر تصميمًا على ما نوت .. وهي تهمس بفحيح متحدٍ غاضب  
:-: " لن تجرؤ ..! "

لترتفع يده بقسوة .. وتهوي بصفعة قاتلة .. شهقت الفتاتان و صوت  
دوي الصفعة يتردد بالصمت .. وورغماً عنها التوي وجهها من قوة  
الصفعة .. حتى شعرت وكأن فكها خلع من مكانه .. طفرت عيناها  
بالدموع وهي تشعر بارتجاج ودوي هائل في رأسها شفقة وحننا وألما هائلا  
اجتاحها ، لكنها سيطرت على تعابير وجهها بقسوة بالغة وما فعله لم  
يزيدها إلا تصميمًا على ما نوت ليرتفع رأسها بشموخ قاتل والدموع لازالت  
عالقة بأهدابها .. بينما تصادمت نظراتهما بحقد كبير ..! وعاطفة  
متوحشة لثانية واحدة فقط .. تقاطعت نظراتهما ثانية واحدة فقط  
، كشفت الكثير وأخفت ما هو أكثر ثانية واحدة فقط قبل أن يسحبه  
نادر بعيداً وهو يضربه بصدرة بقبضتيه صارخا :-: " أيها الأحمق ماذا  
فعلت ..؟! "

لم يبعد عينيه عن عينيها .. لمحة الألم التي ظهرت بهما لتختفي بسرعة ..  
ويحل محلها التحدي السافر والحقد وهي تقول بهدوء وكأن شيئاً لم  
يكن :-: " هل انتهيت ..؟! لأنني راحلة ..! "

تثير جنونه .. ترحل إلي أين ؟!! ليعاود الصراخ بفحيح غاضب :-: "  
اتركني نادر "

دفعه بصدرة بقوة بينما أمسكه نادر بإحكام :-" قلت لك اتركني .. "

ليصرخ نادر به وقد تخلي عن هدوئه في هذا الموقف المتفجر .. كان غاضباً بشدة .. غاضباً .. لدرجة أنه أراد ضرب أسر بنفسه :-" اهدأ أسر .. هل جننت ..؟! اهدأ وإلا أقسم لضربتك أنا "

نظر له أسر نظرة متفجرة .. ليستغفر ببطء و يرفع يده علامة الاستسلام والهدوء ، وهو يزيح قبضة نادر عنه بصعوبة ليلتفت نادر بصوت تحكم به بمهارة قائلاً :-" هدى .. خذي قاهرة وشادن و اتركونا قليلاً "

أومأت هدى بخوف .. فهي لم تر أسر في تلك الحالة أبداً اقتربت من قاهرة التي كانت شادن سبق وطوقتها بذراعيها بحنان :-" هيا حبيبتي .. هيا تعالي معي "

إلا أن قاهرة قالت بإصرار عجيب :-.. كلا .. لا أريد أحدا معي .. سأذهب وحدي "

قالت شادن وهي تربت على كتفها بحزن :- حتى أنا .. أرجوك قاهرة دعيني أذهب معك .. "

نظرت قاهرة لهما بتبلد لتومئ أخيراً بالموافقة .." وبدون كلمة أخري تقدمت عائدة إلى داخل الفندق وسط ذهولهم !!..

\*\*\*\*\*

بدا أسر كالبركان المتفجر .. أخذ يذهب ويجيء بعنف وطاقة مكبوتة غاضبة سوداء تسيطر عليه .. يضرب حصى وهمي بقدمه بعنف وغضب مكبوت .. هو غاضب جداً منها .. من نفسه !! غاضب لأنها دفعته لهذا !!..

غاضب ولا يريد تفسير سبب غضبه ..!كلما ظن أنها كسرهما عادت أقوى .. وأقوى وكان هذا يذهله .. يهره .. ويجعله غاضباً ..!غاضباً لأنه يخشى .. يخش

ارتفع رنين هاتف نادر .. ليقاطع أفكاره الخطرة .. نظر نادر للهاتف باستغراب ومن ثم نظر لأسر الذي لم يتوقف عن الحركة بعنف .. ليرفع الهاتف إلى أذنه قائلاً بصوت خفيض :-" نعم شادن .. أكل شيء علي مايرام .. ماذا ..؟"  
أسر "

التفت أسر إليه بشراسة وقد انتبه إلى اسمه .. سحب الهاتف من نادر وهو يقول بصوت كالزئير المتوحش :-" نعم شادن ماذا هناك .. ماذا..؟!"  
قذف أسر الهاتف ليتحطم ألف قطعة، وهو يتجه إلى الفندق بغضب داكن ،بينما تنهد نادر يبدو أن تلك الليلة لن تنتهي علي خير أبداً ..! اتجه أسر بخطوات سريعة غاضبة متهورة لداخل الفندق لا يصدق ما تفعله تلك القاهرة .. لا يصدق لقد جنت وهو لن يغفر لها .. توقف بالهو لوهلة وهو يبدو غاضباً حتى لمح شادن تشير له بخوف

ليتجه لها بخطوتين .. سأل هادراً :-" أين هي ..؟!"

همست شادن بقلق :-" في الداخل "

حين تقدم أمسكت به شادن بخوف ورجاء :-" لكن أسر أرجوك لا تقل لها ..!"

لم ينتظر حتي تكمل حديثها .. يريد أن يمنع تلك الكارثة قبل أن تحدث خطأ للداخل ليقف مصدوماً كانت خصل شعرها الغجرية الطويلة

متناثرة علي الأرض أمامها، توقفت الأنفاس في حلقة بصدمة .. و.. ذهول .. ارتفعت عيناها إلى عينيه عبر المرأة لتبدأ بالبكاء وكأنها لم تستوعب ما فعلت سوى تلك اللحظة .. ظلت دموعها تنزلق بمهارة علي وجنتها لتقف عند حدود شفيتها بصمت وكبرياء مهزوم ..! بينما وقف أسر بتبلد .. تبلى خلقته الصدمة !

"أسر ..!"

همست هدى .. لتحطم الصمت المذهول الذي أحاط بأخيها ليشتعل غضبه من جديد ، ونظرة فهد جريح تبدو بعينيه صرخ هادراً فجأة بغضب أخاف قاهرة، وجعل دموعها تجف بمأقبيها انتقامه سيكون عسيراً تقدم بشراسة لينتزعها عن المقعد .. بغضب جعل الكوافيرة تتمتم شيئاً بالفرنسية لكنه لم يعرها اهتماماً انتزعها انتزاعاً من المقعد وقدميه تدوسان خصل شعرها المترامية أرضاً بقسوة لتصرخ هي بجنون :- " اتركني "

لكنها كانت كمن يزبح جداراً فولاذياً .. جذبها بشدة وقسوة حتي ارتطمت بجدار صدره الصلب .. حاولت بارتباك أن تبتعد عنه وعن ذبذباته الغاضبة لكنه اقترب منها .. اقترب جداً ليمس بأذنها .. اقترب حتي أن الأنفاس فرت هاربة من غضبه .. من حقه .. من قوة الذبذبات التي تصدر عنه اقترب ليمس :- " قاوميني قدر ما شئت .. قاوميني .. لأنني حين أنتهي منك الليلة .. ستعرفين معنى الجنون حقاً "

حاولت ألا تظهر خوفها .. رعيها .. لكن رغما عنها ارتعشت شفيتها بدمعة تكاد تنزلق .. حتي الهواء لا تجده حولها لتستنشقه .. رفعت أنفها بشموخ كاذب .. نظرت في عينيه وهي تحاول أن تتجلد .. لكن هالها كمية الغضب والشر بهما .. ارتعشت أهدابها لفاصلة من الثانية، ثم نظرت له بتحدٍ لا

يليق إلا بها وهي تعتدل سائرة معه بكل بساطة ..! كانت قبضته علي يدها كالقيود الحديدية .. تكاد تقسم أنها فقدت الإحساس بأناملها من قبضته .. لم تحاول أن تنظر لأحد في الطريق صعوداً لجناحهما .. فكرت بسخرية غريبة .. إنها لن تهرب منه !! هي لم تتعود أن تهرب ..! وهي حرة لتفعل ما تشاء .. وهو لا يحق له أن يعاقبها أكثر من ذلك ..! حاولت أن تلقي نظرة خاطفة عليه فهالها ما رآته كان وجهه شاحباً للغاية .. غاضباً للغاية .. مكفهرأً للغاية .. و الشر يبدو في ملامحه .. لأول مرة ترى ذلك الغضب الصافي بلامحه .. حاولت التفكير بشكل سوي حاولت تذكر هدفها مما قامت به ، لكنها لم تعد تتذكر أرادت معاقبته بما تذكرت أنها ما إن رأت خصل شعرها تتساقط حولها حتي غمرها شعور مؤلم بالفقد .. بالخسار، شعور مؤلم بالوجع ذلك الوجع الذي نشعره حياً بين أضلعنا يمنع عنا التنفس .. بشكل سوي .. يمنع عنا التفكير بشكل سوي .. يمنع عنا حتي الإحساس بشكل سوي ، لكنها ما إن رأت نظرة عينيه حتي بكّت ! بكّت لأنها وجدت ما كانت تبحث عنه بعينيه فكما يبدو وبعد كل شيء حدث " أووهه "

دفعها بقوة لتصطدم بحافة السرير بعد ما وصل للجناح الخاص بهما لتصرخ غاضبة، وقد خرجت من توهانها اللذيذ بوجود أمل ما به .. وبنظرة عينيه :- " أيها المتوحش "

اقترب منها بغضب شديد وهو يجذبها من شعرها الذي أصبح قصيرا للغاية بين يديه وهو يهدر :- " أنت لم تر شيئاً من توحشي بعد "

انتفضت .. حاولت الابتعاد .. حاولت وهي تشعر بكهرباء تسري في جسدها بعد أن تخلى عن محاولاته ل غزوها .. ليبدأ بمحاولات ترويضها .. أنت بنشيج مكتوم يائس حمل احتجاجاً بلافائدة .. كان عنيداً

غاضباً مصمماً شرساً متوحشاً و فاقداً للسيطرة تماماً ارتفع رأسه  
الفخور الغاضب بعيداً عنها قليلاً لينظر إلى عينيها .. إلي شفيتها ليمس  
بصوت أجش :- " افتحي عينيك قاهرة "

فتحت عينيها ببطء امتثالا لأمره .. تنظر لعينيهِ وروحها بعينيها تغيرت  
نظرته بشكل خطف أنفاسها وهو ينحني ليقبل جبينها برقبة بالغة ..  
وجهها وشفيتها ... أنفها .. كأنه يعتذر لها عن سوء معاملته ... كان هناك  
شيئاً ما يتغير بعناقه .. كانت تشعر بهذا بروحها ما بدأ كعقاب تحول  
لشيء آخر .. شيء أحست به .. لم يعد يحاربها .. لم يعد يأمرها .. بل كان  
يواجهها .. كان هناك شيء جعلها تخضع ببساطة .. بل وترغب .. أخيراً  
فك أسريديها .. ليحيط بخصرها بهممه أجش .. كانت أضعف من أن  
تقف في وجه هجومه العنيف كانت أرق من أن تصمد أمام قوته كانت  
تحبه أكثر مما ينبغي .. لتمنع نفسها من الانجراف معه، دفنت وجهها في  
عنقه وهي ترتعش .. ياالله .. كيف لها أن تقاوم شيئاً لطالما أرادته .. كيف  
لها أن تقاوم وهو ينحني لها ليمس في أذنها بتلك النبوة السائلة .. الأبحه  
.. الأبحه

" حبيبتي ..! "

...!..كن معي سخيّاً لأبعد الحدود باختصارٍ شديد جداً

املأني بك

\*\*\*\*\*

تقدم نادر بهدوء من هدى بعد خروج أسرو قاهرة بهذا الشكل العاصف  
ما إن رآته هدى حتى رفعت إليه عينيها دامتين ومواقف مشابهة  
تعاودها بأبشع الذكريات

همست ببكاء وبحة وترت كل خلية أعصاب بجسده :- " نادر أرجوك الحق بهما .. الحق به .. أخبره ألا يؤذيها "

نظرة الرعب في عينيها .. أناملها الرقيقة التي ارتفعت بتردد تتشبث به .. جعلته يجيب بغصبة هادئة :- " لا تقلقي هدى يستحيل أن يؤذيها أسر مهما كان غاضباً "

نظرت له بعدم تصديق لتقول بانفعال وأناملها لازالت تجذب كم قميصه :- " كيف لن يؤذيها ألم ترمنظره .. سيقتلها .. سيحطمها .. سَأَأَأ "

وضعت يدها علي شفيتها بصدمة، وهي تدرك أنها كانت تتحدث عن نفسها .. ترى نفسها .. تتمنى وجوده لينقذها .. دمعة صغيرة ترقرت في عينيها ليغمض نادر عينيه بأسى، ثم يفتحهما وهو يتنهد بشجن قانلاً لها :- " لن يؤذيها لأنه يحبها كثيراً.. وهذا هو الفرق "

همست بارتباك :- " عن أي فرق تتحدث ..؟! "

ابتسم ابتسامة ساخرة مريرة، وهو لا يجد داعياً للإجابة.. أنزلت يدها ببطء ليتركها ويسير بكل هدوء ..توقف معطياً إياها ظهره ،وهو ينادي شادن الصامته بعيداً عنهم بمسافة قليلة :- " هيا شادن .. تعالي .. سأوصلك لجناحك .. "

حزن عميق اعتراه .. حزن لإدراكه أنه مهما فعل .. ستظل هدى في تلك القوقعة من الخوف والرعب .. يأس من أن تتذكره لأول مرة، وهو يرى نظرة الرعب في عينيها .. لأول مرة يدرك أنه ربما كانت محاولاته عقيمة أمام ما تعرضت له من أذى . " نادر.. "

توقف لندائها المرتجف خلفه بعدة خطوات توقف ؛لكنه لم يلتفت ..  
بينما انخفض رأسه الفخور قليلاً ما أثار رعشة بقلها جعلتها تناديه دون  
وعي منها :-" لا تتركني .. "

لم يلتفت لتقرب هي منه خطوة، وهي تهمس :-" أنا خائفة "

حينها التفت إليها ببطء التفت لتقع عيناه على عينيها .. كانت نظرة طويلة  
محملة بثثرة روح لا تهدأ .. ليمس بصوته ذي البحة الناعسة :-"   
يستحيل أن أتركك كوني متأكدة من ذلك "

لم تدرك أنها كانت تحبس أنفاسها بارتعاش .. لتبتسم ببطء وهي ترتعش  
.. تبتسم .. بل في الواقع كانت ضحكة خافتة مرتعشة باكية .. وهي تسمع  
تأكيد الذي لم تملك أن تجيبه سوى بإيماءه صامتة !!

\*\*\*\*\*

أخيرا انتهت العاصفة العشقية التي أحاطت بهما .. جذبها أسر إلى  
ذراعيه حين حاولت الابتعاد بهدوء .. وضع قبله علي جبينها بعمق .. مد  
يده بحسرة إلى خصل شعرها .. لم يستطع منع نفسه من الهمس بألم  
:-" لماذا فعلت هذا ؟!!"

إلا أنها هزت رأسها برفض للكلام ، وهي تغرق وجهها في صدره بخجل  
وحزن .. ماذا تقول له .. قصت شعرها لأنها غارت منه غارت من بعضها  
.. عليه ..! صمتت ولم يطالها هو بالإجابة .. بدا في صمتها هدوء وراحة  
.. صمت أغنى من ألف كلمة قد تقال .. مجرد شعوره بها بين أحضانه ..  
كان شيئاً مذهلاً .. أحيانا حين نتمنى شيئاً في غاية القوة .. حين نبتعد عن  
هذا الشيء في غاية القسوة .. حين يصبح ملكنا في غاية الرقة نتوه  
،وهذا ما يشعر به ما بدأه كعقاب .. انتهى كخضوع كان يريد إخضاعها

ليتفاجأ بأنه أخضع نفسه لها ولحبها ما كان يخشاه بكل أمانه أن يحدث .. حدث كان يخشى أن يتعمق في حيا أكثر فيصبح الفراق أقسى عليه وعلما كان يشعر بالخوف .. هو دائما خائف .. يخشى أن يحدث شيء لأختيه يخشى أن يحدث شيء لها يخشى أن يحدث له شيء فتحزن ..! لم يرد أن تتعلق به أكثر ، هو ليس غبيا رغم كل صراعهما لكنه متأكد أنها تحبه مثلما يعشقها بحاسة الرجل يدرك .. بحنين الأثني في عينها يعرف ، وهذا ما يبعده عنها .. تهذب وهو يدفن أنفه في خصلات شعرها .. متمماً " نامي حبيبتي .. نامي "

\*\*\*\*\*

وصل نادر وهدي لجناحهما .. والصمت ثالثهما .. اتجه إلى السرير رأساً .. لتتوقف قرب الباب بارتباك .. تخشى أن يصر على النوم على السرير كالمرأة الفاتنة .. بعد اعترافها بالخوف .. وتأكيداته الدائم لها بالأمان .. كانت تشعر بالارتباك اللذيذ .. لم تستطع أن تنكر أنها خائفة .. وتشتاق إليه ، وكانت المعادلة صعبة لتوازن بين الشعورين .. خائفة من لهفتها له .. خائفة من رفضه لها .. خائفة من ذكريات بشعة .. خائفة من خطر وشيك تشعر به وبنفس الوقت تشتاق له .. تشتاق لتخبره أنها تتذكره .. أنها تعرفه .. أنها تحبه .. لكن خوفها من رفضه لها يزعجها .. خوفها من الإقدام على تلك الخطوة تزعجها ..! وقفت تلوك شفيتها بتوتر لذيذ .. جعله يتهدد وهو يظن أنها خائفة منه بعد موقفهما السابق .. اقترب منها حتى توقف على بعد بضعة أنفاس .. لترتفع عينها بإرادة خاصة بهما إليه يا الله .. تشتاق لوسامته .. طافت عينها بوجهه بتقاطيعه السمراء .. الجذابة .. أنفه الشامخ .. شعره الأسود الناعم .. ذقنه النامية قليلاً وشفتيه .. لم تكن تستطيع السيطرة على ارتجافها المشتاق الذي فسره هو خوفها وبغضها له ، قال بصوت أجش :

" سأنام على الأريكة .. كوني مطمئنة "

التفت يسحب وسادة، حين قالت بارتباك :- " كلا .. "

توقف ، وهو ينظر لها بغموض لتكمل بتوتر وهي تفرك المنديل بيدها حتى تفتت :- " لا بأس السرير كبير ويسع كلينا "

ليبتسم بسخرية مريرة وهو بمزاج سوداوي قائلاً :- " هدى أنت للآن تخافين كشف شعرك لي .. لا تضغطي على نفسك لأجلي .. أنا أستطيع النوم في أي مكان "

سحب الوسادة وتقدم حتى الأريكة .. لتقف هي حائرة .. كان رفضه يؤلمها .. لا تدري ما تحاول فعله .. لكنها لا تستطيع النوم وهناك شيء يجثم علي صدرها .. حائرة ومرتبكة .. تشعر كما لو أنها تحفظ سر لا تستطيع بعد الآن أن تحفظه .. ورغم كثرة الوعود لنفسها بإبقاء الذاكرة العائدة سراً حتى تستعد لها ، خالفت كل ما عاهدت نفسها عليه وهي تتقدم منه خطوة بجرأة كبيرة، وقد اتخذت قرارها خطوة تبعها أخرى حتى توقفت أمامه مباشرة .. ليتفاجأ بها كان هناك شيء ما بعينها .. فتح فمه ليسألها .. ليعاود الصمت ، وهو يشعر بالفضول وهي علي تلك المقربة منه بإرادتها الخاصة حين طال صمتها وتردها .. همس بنبرة أبحه منخفضة سائلاً :- " ماذا هناك هدى ؟ "

أخذت نفساً عميقاً وعيناها تغوصان بالشمس الملتببة في عينيه لترفع يدها ببطء وهي تزيح حجابها .. لم يتحرك .. لم يتفوه بكلمة، وهو يراقب حركتها البسيطة بمعناها الكبير .. ما إن نزعت الحجاب حتي زفرت وكأنها كانت تعدو بمارثوان .. خفقات قلبها صارت غير طبيعية .. وعيناها تجولان فيها بنظرة سائلة .. بها من اللهفة والحنين ما جعل الدموع

تترقق بأهدابها .. تواصلت نظراتهما لهما لهما بتحشرج :- " والآن .. لا تجعلني أطلب منك مرة ثانية .. أنت تعلم أنني أغضب بسهولة ..!"

توقفت الأنفاس في حلقه .. بكل بساطة توقفت الأنفاس في حلقه .. شحب وجهه واهتزت جدران قلبه .. اهتزت أركانه الأربعة .. لهما ببحه غير مصدق :- " هدى ..!! "

أومات هدى بنعم على سؤاله الغير منطوق و الدموع تهمر من عينيها بلا توقف .

\*\*\*\*\*

رن الهاتف ليرفع نادر السماعه بهدوء ..حتي لا يوقظها .. كان الوقت لايزال مبكرا ..:- " نعم "

" أنا أنتظرك بالأسفل .. لا تجلب أحدا معك "

ضيق ما بين حاجبيه بنعاس وهو يتساءل " أسر "

لكن الهاتف كان قد أغلق .. نظر نادر للهاتف باستغراب يبدو أن صديقه لازال عكر المزاج .. تنهد وهو يضع الهاتف .. تمطي ببطء ثم التفت ينظر إلي هدى النائمة بهدوء وأمان ..علت شفثيه ابتسامة سعادة .. اقترب ببطء ليزيح خصلة من شعرها تساقطت حتي أخفت وجهها عنه .. انزلقت أنامله لوجنتها .. أنفها .. حتى وصلت لحدود شفثها .. لتستريح أخيراً علي الشامة أسفل ذقنها .. لم يصدق نفسه البارحة وهي تخبره .. توحى إليه بأنها تذكرته لهما متسائلا بصوت متحشرج غير مصدق :- " .. هدى .. أتذكرتيني ..!!؟ "

أومات للمرة الثانية دون أن تصدر صوتاً .. وعيناها تلمعان بالدموع ليقف محتاراً .. هو لم يكن أبداً بارعاً بالكلمات .. لكنه وفي تلك اللحظة تمنى من الله أن يهبه بضع كلمات فقط ليعبر بها عما يختلج في روحه ، مد يد ترتعش ليلمس وجهها برقة بالغة .. لتشهق بصدمة للمسته تنفس بعنف ، وهو يقترب منها ببطء .. يخشى أن يكون في حلم .. أن تهرب منه ككل مرة ، في أحلامه تكون قريبة للغاية .. حتي يوشك أن يلمسها ليصحو علي ألم تلاشيها .. فتح ذراعيه بشوق لها .. يجب أن تكون تلك الخطوة منها .. فتح ذراعيه وانتظر .. ترددت لوهلة فقط قبل أن تندفع نحوه ، وكأن قوة جاذبة تربط بينهما .. ارتطمت به بقوة اندفاعها العاصف إليه .. ليعتصرها بشدة بين أضلعه حتي كادت تن .. لكنها لم تفعل .. هي أرادت أن يزرعها داخل أضلعه .. هناك حيث النبض الثائر .. هناك حيث مكانها الذي اشتاقت إليه .. مدت يدها ببعثرة لتضعهما بالقرب من قلبه .. بينما ارتاحت أذنها علي النبض الثائر .. تستمع له بلهفة .. امتدت يدها لتحيطا بخصرها بشدة .. تسحبها لتلتصق بجسده الصلب والقاسي .. أغمضت عينها واقشعرت عندما لامست شفثاه عنقها ، وهو يهمس بحرقرة :- " كيف استطعت ألا تتذكريني .. كيف استطعت فعل هذا ..!!؟ "

أحاطت عنقه بذراعيها ، وهي تدع دموعها تسيل بغزارة علي وجنتها .. دون كلام .. فهي لا تجرؤ علي الكلام الآن .. لا تعرف ما تقول له .. تخشى وبشدة ألم بضع كلمات قد تتفوه بهما .. ليعاود الهمس بألم روح :- " ألا تدركين أي جحيم كنت فيه وأنا أراك .. دون أن أستطيع أن ألمسك .. أن أحبك .. "

ليزداد انهمار دموعها علي صدره .. كان يدرك أن معاناتها شبيهة بمعاناته وأكثر .. كان يدرك أن المواجهة ستكون صعبة .. أراد أن يعرف لم

تذكرت .. كيف تذكرت وماذا تذكرت .. أراد أن يعرف الكثير من الأشياء .. لكن إلا وهي بين ذراعيه أرجأ كل تلك الأسئلة لوقت لاحق .. تلاحقت أنفاسها وأنامله تلامس عنقها برقة لتبعد شعيراتها الناعمة عن مرمى شفتيه.. لتزداد قبالاته الصغيرة المتلاحقة لهيباً .. لتمس بخوف " نادر !!؟..

ابتعدت عنه خطوة بخجل وخوف .. وهي تتحاشى النظر لعينيه .. صحيح أنها تذكرته .. صحيح أنها تذكرت أشياء كثيرة .. لكنها لازالت خائفة .. لازال هناك ذلك الحاجز الوهمي لخوفها من الرجال .. ما أقدمت عليه الليلة بارتمائهما في أحضانه تطلب شجاعة كبيرة لم تكن تظن أنها تملكها .. لكن حين بدأ يصبح أكثر جرأة .. ذعر قديم راودها .. رغم إدراكها الفرق بينهما إلا أن تلك الملامسات تخيفها .. ابتعدت بشحوب وهي تهمس برجاء

اعطني بعض الوقت .. لأنسى

رغم ألمه .. وحنقه إلا أنه تفهم .. رغم الغصة المريرة التي استحكمت عقله وقلبه .. إلا أنه أوماً لها بصمت .. لتقف مترددة وهي تراه يستدير بعيداً عنها بصمت قطبت حاجبيها بضيق .. تغير نادر كثيراً .. لم تتوقع منه هذا .. أرادته لكنها لم تتوقعه .. توقعت أن يثور أن يخالفها الرأي .. أن يجبرها لكنه ككل مرة يخيب توقعاتها وأغضبها هذا.. بغيظ اتجهت إليه ولكمته علي ظهره ليلتفت إليها بدهشة صارخاً :- هدى أجننتي !!؟..

قالت بطفولية وغضب :- نعم .. جننت .. أيرحك هذا .. لا تعطني ظهرك باستسلام مرة أخرى .. ارفض .. أريدك أن ترفض "

يا الله

ذهل لثوانٍ لينطلق ضاحكا بعدها بسعادة وسرور وهو يقترب منها مفاجئاً  
إياها بخطوة واحدة انحنى ليلثم شامتها برقة وسعادة قائلاً :- حسنا أنا  
أرفض أن تبعديني عنك

اعتدل ينظر بعينها وهو يهمس بصوت أجش:- أرفض وبشدة .. لذا  
الليلة ستنامين بأحضانني ..

شهقت برفض غريزي لكنه رفع أصبعه أمامها بكبرياء وشموخ قائلاً :-  
الليلة وكل ليلة ستنامين في أحضانني .. حتى تصبحي مستعدة !!!

قالت بتوتر :- لم ..؟!!!"

لم يجيبها سوى بابتسامة غامضة مشاكسة، وهو يرتمي علي السرير  
بسعادة رن الهاتف مرة أخرى ليوقظه من سعادته بما حدث البارحة ..  
ليجيب وابتسامة لازالت تداعب شفثيه :- نعم

ليأتيه صوت أسرئائرا :- الأزلت بغرفتك .. أنا أنتظرك .."

وأغلق الهاتف بعنف .. لينهض نادر بسرعة وهو يدري بطبع صديقه  
المشتعل .. بالله .. ماباله تلك الأيام لايد وأن شيئاً ما يعكر صفوه فوق  
الحد الطبيعي ..! ارتدى ثيابه بعجلة .. وضع قليلا من عطره الغامض ..  
ثم التفت ليلقي عليها نظرة حنونة، وهو يراها تتحرك في نومها .. جذبت  
وسادته لتغرق أنفها بها ، وهي تتمتم ليبتسم بسعادة كبيرة ولدتها حركتها  
اللاواعية تلك .. لا يصدق أنها نامت بأحضانه .. حتى ولو على غير رغبة  
فعليه منها .. حتى و هي بكامل ملابسها .. حتى وهو يحترق ألف مرة  
بالثانية الواحدة .. ورائحة الخزامي أقرب ما يكون لأنفاسه .. لكنه سعيد  
.. سعيد .. لا ينكر هذا تهدي بقلق ولدته سعادته ، وهو يتجه للأسفل ..  
دوماً كان يخشى السعادة الكبيرة .. دوما .. هناك هاجس يخبره أن تلك

السعادة .. مخيفة استغفر الله بسره ، وهو يحول اتجاه أفكاره لصديقه  
ترى ماذا حدث بينه وبين قاهرة بعد الأمس ..؟!؟

لازال غاضبا منه لأنه صفعها .. لكن قد يكون أرضاها ..!

وصل إليه في بهو الفندق ليجده لازال متجهماً .. يشرب فنجان من القهوة  
.. يرتدي ملابس خريفية رغم الجو البارد .. ويلف عنقه باسكارف صوفي  
ضخم .. أعطاه مظهرا قرصانيا مع العبوس الذي اكتنف ملامحه .. تنهد  
نادر وهو يقترب حتى توقف أمامه ليبدو له الهزال واضحاً بعض الشيء  
عليه .. والسواد تحت عينيه .. توتره الظاهر للعين المدققة مثل نادر  
بحركة قدمه البسيطة .. صديقه .. كان خائف !! تقدم ليجلس أمامه  
قائلاً بهدوء :- " صباح الخير "

ارتفعت عينا أسر إليه ليرى بهما الضيق .. نهض من مكانه دون أن يرد  
التحية قائلاً :- " هيا بنا "

نهض خلفه نادر بطوله الفرع قائلاً ببشاشة :- " إلى أين أيها المجنون ..؟!؟ "

التفت إليه أسر بضيق ، وهو يجيب :- " أنسيت عمليتي اليوم "

أوقفه نادر بحزم بقبضة يده قائلاً بجدية :- " كلا لم أنس .. لكن ..  
زوجتك .. أختيك .. ألن ننتظرهن ..؟!؟ "

ليقاطععه أسر بصرامة ونفي قاطع :- " لا أريد وجودهن .. دعهم نائمات  
وسياتين حين يفقن .. لا داعي لإخافتهن "

توقف نادر بصدمة ، وهو يقول :- " أسر توقف .. لهننا ويكفي جنون .. ما  
بك يا رجل ..؟!؟ "

تجاهل أسر سؤال نادر تجاهل تام، وهو يستقل السيارة المنتظرة أمام الفندق .. ما إن استقر بمقعده حتي سأل بهدوء تام :- "أأنت أتِ معي أم لا ..!؟!"

تهمد نادر بضيق واستغراب شديد علي حال صديقه لكنه استقل التاكسي معه ، ما إن استقر وتحرك التاكسي حتى تكلم نادر بحلق حاول أن يسيطر عليه بشدة :- " أستحدث الآن أم ستظل على صمتك ؟؟ " التفت أسر إليه، والهيم يبدو واضحاً على محياه قائلاً وعيناه تتركزان في عيني صديقه :- " نادر بدون مقدمات .. وبدون شرح أو استفهام .. إذا حدث لي شيء فهدى وشادن وق "

اهتز صوته قليلاً توقف ليأخذ نفساً محملاً بمختلف الانفعالات ليكمل :- " قاهرة .. أمانة في عنقك "

يا الله يا صديقي .. تحملني ما لا أستطيع ولا طاقة لي به لاحتماله .. تعلقت النظرات بينهما بتوتر و خوف مهم ليس تغفر نادر بصوت مرتفع طارداً وساوسه جانباً :- " استغفر الله العظيم .. أسر ما بك يا رجل ..!؟ "

بتطمين ربت علي كتفه قائلاً يريد طمأنة نفسه هو الآخر فحالة صديقه تخيفه :- " إنها عملية بسيطة .. كن مؤمناً بالله .. تفاعل بالخير تجده يا صديقي "

أوماً أسر بهدوء وهو يقول :- " أنت تعلم أنني أفعل .. لكنه إحساس يراودني بالقلق .. فتوخي الحذر "

أوماً نادر بقله حيلة :- " حسنا صديقي .. لا تقلق "

استطرد :- " لكن ألا يجب أن نخبرهن .. سيحزن كثيرا لما فعلت ..!؟! "

قاطعته أسر بإشارة من يده :- " أنت تعلم أنني لا أحب الوداع "

هم نادر بمقاطعته بغضب .. حين أشار له أسر ليكمل ..:- " اسمعني ..

أريد أن أدخل غرفة العمليات وأنا مطمئن .. أفهمت؟ "

أوماً نادر بيأس من صديقه :- حسناً

" تهند أسر براحة ثم أخرج من جيب معطفه ظرفاً أعطاه لنادر وهو

يتحاشى النظر بوجهه :- " إذا حدث لي شيء أعطه لقاهرة "

انفعل نادر دون قدرة لديه ليتحكم بأعصابه وقد زاول أسر ضغطاً رهيباً

عليها .. حتي أخافه شخصياً :- " يا رجل ألم أقل لك لا تتحدث هكذا !..

ما بك .. لهنا وكفى أسر لن يحدث لك شيء .. ولن آخذ منك شيئاً .. ما

تريد أن تعطيه لزوجتك اعطه إياها بنفسك "

لم يجبه أسر سوى بأن مد يده بالظرف بإصرار لنادر الذي رفض أن

يلمسه حتي أمره نادر بحدة :-:- " أخبرني الحقيقة ."

تهند أسر بصمت ماذا يخبره .. يخبره أنه خائف .. يخبره أنه منذ علم

بوجود ذلك الحقيير في فرنسا ، وهو خائف حتي أوشك على تأجيل

العملية الجراحية .. إنه اتصل مساء بالطبيب .. ليخبره بتأجيل العملية

لكن الطبيب رفض وأخبره بلهجة صريحة أن أي تأجيل به خطر على

حياته لم يهتم .. فهو دائماً بخطر .. ! لكن بعد ما حدث معها .. أصبح

يخشى علي حياته .. لأجلها هي قرر أن يقوم بالعملية الجراحية .. ولأجلها

هي أيضاً يجب أن يخبر نادر حتي يأخذ حذره .. رغم معرفته بردة فعل

نادر إلا أنه لا يستطيع أن يخفي مثل هذا الخبر عنه ، قال بهدوء مبطن

بحقد .. بكره .. برغبة بالثأر والانتقام " مروان هنا .. في باريس .. "

صدمة .. جعلت نادر يهمس ببرود ..: " كيف عرفت ..؟! "

رفع أسر عينين مندهشتين، مصدومتين تشعان بالخيانة لنادر وهو يقول  
:- كنت تعرف؟! "

ليقول نادر ببرود يخفي طوفان من غضب وحقد علي مروان " بالطبع  
أعرف .. ألم أعدك أن أحميها .. "

هدر أسر بغضب :- ولم لم تخبرني .. "

ليبتسم نادر بسخرية رجولية قائلاً :- لنفس السبب الذي جعلك تخفي  
عني "

طأطأ أسر رأسه بتفكير .. هو يخشى من ردة فعل نادر ونادر يخشى من  
ردة فعله .. لكن تلك المرة كان يجب أن يعبر أسر عن خوفه .. همس :- "   
نادر أنا أخشى جنونه .. أخشى أن يؤذيها وأنا لست موجودا "

.حاول نادر أن يهدأ .. أن يجيب ببرود .. أن يطمئن أسر . وهو يفكر .. لم  
يبق إلا القليل .. اصبر نادر .. إلا أن مجرد تفكيره بأنه يلمس شعرة  
واحدة منها .. لونت كل أعصابه بلون الدم ليقول بشراسة:- " دعه  
فقط يفكر في الاقتراب منها لأنني لحظتها سأقتله مهما كلفني الأمر "

\*\*\*\*\*

" لقد وصلت الشحنة .. "

هتف بها مروان بسرور جعله يزفر بضيق وهو هتف :- " أخيراً "

نهض محمود بطوله الفارع ، وهو يضع سلاحه بجرابه تحت كتفه بطريقة  
محترفة ، وهو يسأل بصرامة :- " أين هي ..؟! "

ليضحك مروان بمكر وخبث وهو يقف بطريقة قائلاً :- " مهلك .. هل ظننت أنني غرساذج لآتي لك بالشحنة هنا !! "

رفع عينيه إليه ببرود ونظراته تبعث الرعب بقلب مروان كأبي فأرجبان يواجه أسداً ، ليكمل بحقد لونه بالخبث وشبه ابتسامة صفراء زائلة :-  
" لقد أتيت بعينة منها فقط لآراها "

التوى فم محمود، وهو يقول ببرود :- " الباقي ..؟ "

لمعت عينا مروان بالطمع وهو يقول :- " دعنا نتفاوض .. "

توترت نظراته، وهو يلتفت له بشراسة .. ضيق بين عينيه بشدة ، وهو يقول بلهجة حادة :- " نتفاوض .. ألم نتفق سابقاً ..!!! "

ارتفع حاجب مران بخبث ، وهو يعاود الجلوس متناولاً سلاحاً ما ليتأمله بشرود قائلاً :- " نعم نتفاوض .. فشروط الصفقة السابقة لا تعجبني .. صمت ليكمل بإصرار :- " لا تعجبني بتاتاً "

اعتدل بغضب ، وهو يقول لمروان بوضوح :- تذكر أنت أتيت إليّ .. أنت من سعي إليّ لعقد تلك الصفقة لا تظن أنني لم أفهم دوافعك .. ربما لم أفهمها حينذاك لكنني ، وبعد قليل من الوقت أدركت أهدافك وتعاميت عنها ؛ لأن تلك الشحنة أهم من أي صداقة قد أكون كونتها .. لا تظن أنك ستؤذي أسراً نادري .. فأنا لست مهتما لتلك الدرجة لديهم "

اتسعت ابتسامة مروان والشريينضح في وجهه :- " سنرى .. "

obeikandi.com

obeikandi.com

الفصل الحادي عشر  
ذاكرة لا تنسى

أَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَمْ مِنْ سُورِ شَيْدَتَهُ حَوْلَ قَلْبِي لِأَحْمِيهِ مِنْ غَطْرَسَةِ حُبِّكَ

وَلَكِنَّكَ .. وَبِذِكْرِ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ اسْمِكَ

تَهْدِمُ كُلَّ بِنْيَانِ بِنِيَتِهِ .. وَكُلَّ جِدَارٍ أَنْشَأْتَهُ

لِتَعُودَ وَتَسْتَحُودَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ .. وَهَذَا سِيَاسَتِيكَ سَيِّدِي ..

وَهَذِهِ حِكَايَتِي مَعَ بَطْشِكَ !!

استيقظت قاهرة بغتة .. استيقظت تماماً كانت نائمة في لحظة لتنهض فجأة في اللحظة التي تلتها ، وهي تجلس علي السرير كقطة حذرة .. لملت الملاءة حول جسدها بسرعة .. بتوتر أصغت السمع لمياه الحمام .. وحين فاجأها الصمت السائد .. أعادت إلقاء رأسها للخلف بعنف .. وهي تفكر بتشوش .. كيف استسلمت له البارحة بتلك الطريقة المخجلة .. صعدت الدماء سريعاً إلى وجنتيها حتي شعرت بهما يحترقان .. أخفت وجهها بالشراشف .. تتنفس بعمق عليها تهدهد لتفاجئها رائحته الخاصة العالقة بالشراشف .. تأوهت بضعف وهي تدفن رأسها أكثر بالشراشف .. استنشقت بعنف وطوفان من الحرارة يغمرها .. ارتعشت لتجذب الشراشف أكثر حول جسدها .. وابتسامة سعادة غبية تشق شفيتها .. أغمضت عينيها بشدة، وهي تحاول عدم التذكر هزت رأسها بضعف بلافائدة .. همس لها أكثر من مرة قائلاً :- " حبيبي .. "

استنشقت بعنف لتغرق مرة أخرى بعطره المميز فتحت نصف عين ببطء . وهي تتساءل :- " أين قد يكون ذهب .. !؟

الوقت لايزال باكراً .. وموعد ذهابه للمستشفى لم يحن بعد ..!لم تأخذ وقتاً كبيراً في التفكير بهذا ، وهي تنهض بارتباك ورعونة من السرير .. يجب

أن تبدل ملابسها .. يجب أن تكون بأبهى حلة له وحده .. حين يعود ..! يجب أن تكون مستعدة .. قوية .. قاهرة ..!

توقفت أمام المرأة فجأة، وهي متجهة للحمام .. الملمت الملاءة حول جسدها ، وهي تنظر لشعرها بحسرة كانت أول مرة بحياتها تقص شعرها .. اختفى شعرها الطويل الذي وصلت أطرافه للأرض ... لتظهر قصة راقية تلاءمت مع وجهها وأظهرت جماله جيدا .. لكن رغم هذا .. كانت تشعر بالحزن علي جنونها .. لتعاود الابتسام مرة أخرى أن كان جنونها وشعرها مقابل .. حبه فهي وبكل ثقة ليست نادمة فكرت بحيرة :- لكن أين هو ؟؟

رغم خجلها كأني أنثى .. إلا أنها أخذت تتلفت حولها باستغراب بالغ وقليل من ضيق .. ألم يستطع البقاء معها لإيقاظها كأني عروسين ..! نظرت مرة أخرى للمرأة .. لازالت هي نفسها .. لم تجد شيئا تغير .. اقتربت من المرأة أكثر .. وجهها لا يزال كما هو .. لكنه بدا أكثر سعادة .. جمالا .. توهجاً ياالله وضعت يدها تزيح خصلة تساقطت على عينيها ، وهي تبتسم مرة أخرى ببلاهة .. كان رائعا معها .. حنوناً .. قوياً .. اتسعت عيناها بصدمة لتشهق فجأة، وخاطر يمر بها اتجهت بسرعة للحمام .. وهي ترفض تصديق ظنها ..!! لا يعقل!! لن يفعل هذا..!؟

خرجت مسرعة، وهي ترتدي ثيابها علي عجل لن يفعل بي هذا ..! توقفت في منتصف الغرفة حين وجدت ورقة بيضاء بجوار السرير ، كيف لم تنتبه لها من قبل أمسكتها بيد ترتعش لتقرأ

" حبيبتي أعلم أنك غاضبة .. لكنني لم أستطع وداعك .. لم أستطع رؤيتك تبكين .. لم أرد أن أخبرك أنني أحبك على ورقة

أردت أن أقولها أمام عينيك .. لأرى ذهولك.. أعلم أنك تحبينني

ارتعشت ،وهي تجلس بضعف علي حافة الفراش وبسمة صغيرة دامعة  
تغزو عينها قائلة :- مغرور

ازدادت بسمتها ،وهي تكمل قراءة :- أعلم أنك تنعتينني بالغرور الآن ..  
لابأس أنا مغرور بك .. أنت قاهرتي سامحيني علي إيلاكم لكنني أضعف  
أمام عينيك أحبك "

سقطت الدموع من عينها بصمت ،وهي تضم الورقة إلى صدرها .. لم تدر  
لمتى بكت بحزن .. بفرحة .. بارتباك .. لتتهد وقد توصلت لقرارها .. هو  
يخشى دموعها .. يحمها ويريد أن يراها قوية .. إذاً ستريه كم تستطيع  
القاهرة أن تكون قوية

\*\*\*\*\*

تمطت هدى بأريحية، وهي تغرق في الوسادات الناعمة .. كانت تبتسم  
..تحلم..تحلم بـ

أتى رنين الهاتف ليوقظها بإزعاج تملمت وهي تنوي عدم الرد فهي لم تنعم  
بمثل ذلك النوم من مدة، وتلك الراحة المسكية العذبة تحيظها  
إلا أن الرنين كان مزعجاً ومرتفعاً للغاية مدت يدها بنعاس إلى الهاتف  
لتجيب بصوت أبح :- " نعم "

لتنفض بارتعاشة عذبة لذيدة حين أتاها صوته الأجلش هامساً برقة :- "  
صباح الخزامي "

انتفضت في السرير وشعرها يتناثر حولها بكل حرية .. أنفاسها تعلو  
وتهبط بثقل وكلمة واحدة تردد بذهنها .. نادر .. تلفتت حولها بأستغراب  
لم يكن هنا

تمتتم بخجل :- " نادر..؟ "

أجابها بهيمه أجشة ليمس بعدها بعاطفة جعلت بشرتها الذهبية  
تتلون بالاحمرار :- " ألن تقولي صباح النور..؟ "

لهمس بخجل وهي تغوص أكثر بين الوسائد تحيطها رائحته الغامضة من  
كل جانب :- " صباح النور "

حل الصمت بينهما .. ذلك الصمت اللذيذ الذي تتحدث خلاله الأضلع  
المشتاقة .. كانت أنفاسه الهادئة تتهدى إليها لتبعث الطمأنينة بقلها ..

تنحنحت حين طال الصمت قائلة بتساؤل بعث بالحنين إليه :-  
" نادر.. أين أنت ..؟ "

خرج صوته خشنا وهو يقول بهدوء :- " أنا آتٍ .. فقط استعدي أنت  
وشادن وسأتي لاصطحابكم "

قالت بحيرة :- " لكن !! "

قاطعها لا يريد أن يعطيها الكثير من الوقت لتسأله .. لتجرح أو تحزن ..  
وهو بعيد عنها. فقال بلهجة قاطعة " :- هدى .. عشر دقائق وأكون  
عندك "

قالت بقله حيلة :- " حسناً سأكون جاهزة .. "

ما إن أغلق الهاتف حتى ارتمت للخلف ، وهي تتمطى بسعادة .. سعادة لم تشعر بها من فترة طويلة .. هي آمنة .. أغمضت عينها وشيح توتر يبدو علي شفتها وتقطيبه خفيفة بين حاجبها حتي مكاملة ذلك البغيض ، ورغم رعيها منه إلا أنها تشعر وتدرك أنها آمنة فنادر لن يجعله يقترب منها أبدا أعادت الابتسام باستمتاع ، وهي تتذكر البارحة .. توترها . أفلتت ضحكة عذبة منها .. بداية من توتره هو .. نومهما على نفس السيرير .. تذكرت بطفولية كيف وضعت بينهما الوسادة .. ليبدو الحنق علي وجهه الحبيب .. ما دفع ببسمة إلى شفتها ، انتهت بشهقة وهو يرمي بالوسادة إلى آخر الحجره جاذبا إياها لتصطدم بصدرة هامسا في أذنها ووجهها مخفي بين أضلعه :- قلت إنني سأنتظر حتى تكوني مستعدة .. لكنني سأنتظرو أنت بين أحضاني وليس بعيدا عني "

لهمس باحتجاج ، وهي تشعر بحرارة صدره وضربات قلبه العنيفة تحت أذنها :- نادر "

لهمس وهو يدفن وجهه المثقل بالعاطفة بخصلات شعرها:-  
"روح نادر "

همست بمحاولة منها للحفاظ على ما تبقى من عقلها وصرامتها بين أحضانها لكنها فشلت إذ خرج صوتها مبجوحا مترجياً "ألم نتفق ..؟"  
أبعد وجهها عن صدره ..

أزاح خصلات شعرها بيده قليلا لينظر إلى وجهها الذي ورغم الظلمة كان يبدو محمرا بشدة ليقول بصرامة والعاطفة تشع من عينيه " اتفقنا أن أعطيك بعض الوقت .. لكنني أرفض أن تبتعدي عني حتى ذلك الوقت .."  
..أتبع كلامه بأن انحنى ببطء ليلثم شفتها برقة جعلتها تشهق بعنف .

كانت لمسة رقيقة خفيفة .. إلا أن تأثيرها على كليهما كان مدمرا

التقت أعينهما بلهفة وشوق عميق .. وقد تلاشى الكون من حولها .. لم تستطع في تلك اللحظة أن تفكر بسبب يدعوها للابتعاد عنه .. وهي تنظر في عينيه .وترى صدى شوقها فيهما .. صدى لهفتها وحبها فيهما .. لكنه كان هو من زفر بقوة وهو يضمها بشدة إلى صدره محذرا إياها برقة:- .. هدى .. إن أردت مني أن أكون على قدر كلمتي لك .. فلا تنظري لي هكذا "

احتارت أرادت أن تقول له لا تكن .. لا أريدك أن تكون!..

لكنها خافت .. خافت ألا تكون هي على قدر الموقف لازالت جروحها عميقة لازالت تخشى العديد من الأشياء .. لازالت تريد أن تتمتع بأحضانة الأمانة.. فصمتت، وهي تمد يدها لتلف خصره بحب وحنان هامسة ":- إذن فلننم "

وضعت هدى يديها علي وجنتها تخفف من حرارتها وهي تستيقظ من أحلامها السعيدة .. نظرت للساعة بيدها لتشبهق و هي ترتدي ملابسها بعجالة..

\*\*\*\*\*

أنهت هدى ارتداء ملابسها بعدما اتصلت بشادن لتستعد .. ابتسمت، وهي تلف حجابها بهدوء ورضى .. فوجود نادر إلي جوارها يشعرها بالرضى والحمد .. تنهدت وتفكيرها يذهب لمشادة الأمس بين القاهرة وأسر صحيح أنها لم تستطع أن تصادق القاهرة في ذلك الوقت الضيق وتلك الفترة الصعبة في حياتها لكنها أحببت سموخها ..قوتها ..كبرياءها ونديتها لأسر فهو يستحق امرأة مثلها امرأة تستطيع هزم شياطينه ..نظرت لنفسها تتطمئن علي مظهرها وضعت هاتفها في

الحقيقية حين أتى صوت نادر الهادئ وقد أصبح بمنتصف الغرفة :-..  
"هل أصبحت جاهزة :-"

انتفضت بفرع ، وهي تذكر اسم الله

لازالت تخاف بسرعة .. حتي حين تسرب إليها صوته لا تنكر أنها فزعت  
لوهلة ، وقد أدرك هو ذلك بنظرة ضيقة من عينيه وهي تلتفت إليه ..  
ليتحول فزعها اللحظي لابتسامة معاتبة لنادر وهي تقترب منه .. لم  
تستطع أن تقاوم تأمل ملامحه الرائعة .. ملابسه الخريفية الرمادية  
والاسكارف الصوفي بلون عينيه البنيتين بشذرات خضراء .. ما إن توقفت  
أمامه ملاحظة الإرهاق البادي علي وجهه حتي زادت ضربات قلبها دقة أو  
اثنتين قلقاً عليه .. لكنها تجاهلت زخم مشاعرها وهي تقول بما  
استطاعت من بساطة :-.. كيف دخلت هكذا دون أن أشعر بك  
..أخفتني؟!"!

ضيق نادر ما بين عينيه ..أراد أن يصرخ بها للمرة الألف .. ألا تخاف في  
وجوده أو منه أو حوله لكنه كظم ضيقه .. فهناك ما هو أخطر ويستدعي  
كل رصانته ليخبرها به ..مسح علي وجهه بإرهاق وهو يقول:-

"أسف حبيبتي لم أقصد أن أخيفك "

لازالت تلك الكلمة تدغدغها .. حبيبتي . وخاصة حين تخرج من شفثيه  
هو بتلك التلقائية والعفوية .. اقتربت منه دون إرادة منها تقريبا .. شيء ما  
به يلغي كل الحواجز التي تضعها من خوف ورهبة وخجل .. اقتربت حتي  
أصبحت على قيد أنفاس منه .. لتهمس بقلق وهي ترى إرهاقه البالغ :-  
نادر ما بك ؟!!"

أزاح يديه عن وجهه وهو يقول لها بهدوء " : اجلسي هدى أريد محادثتك بأمر ما "

ارتعبت هدى كعادتها ليعاودها خوفها الدائم ، توترت ملامحها وارتعشت يديها وهي تهمس بصوت مبحوح :- نادر .. ماذا هناك ؟! "

مد يديه القويتين ليمسك يديها الرقيقتين بداخلها .. هاله ارتعاش يديها .. كأنها تتوقع الأسوأ دائماً لا يعرف كيف يبدأ حواراً معها نظرياً عينها يطمئنها يبثها شيئاً من قوته فهو يحتاج قوتها الآن

لتدرك جنون الأحمق الآخر .. رفع كفيها إلى شفتيه ليلثمهما كانت أنفاسه دافئة بل حارة أثارت رعشة بجسدها لم يغفل عنها وهي تشيح بعينها بعيداً عنه بخجل .. لتلتوي شفتيه بنصف بسمة واعدة إلا أنه قطع حديث العيون بقوله ببطء وهدوء " : هدى أتتقين بي ؟! "

يبدو أنه مصر على إخافتها .. تلك الجملة خلفها الكثير .. همست بشحوب " :- ماذا هناك نادر ؟! "

ماذا حدث ؟! "

إلا أنه أصر قائلاً :- .. أجيبيني أولاً "

رغم خوفها وحيرتها إلا أنها أومأت قائلة " : بالطبع .. لكن لا تخيفني هكذا أرجوك .. أخبرني ماذا حدث ؟! "

بدون تردد أو تفكير وبلهجة هادئة قاطعة قال " :- أسر بغرفة العمليات " شحبت وتوترت .. حاولت سحب كفيها من بين يديه إلا أنه رفض بإصرار وهي تقول " :- ماذا .. كيف ذلك ؟! "

رفعت عينها تسأله باستجداء للنفي .. أن يخبرها أن تلك مزحة ما:-  
"أليس موعده ظهرًا .. أنت تمزح .. أكيد تمزح لم يكن أسر ليفعل بنا  
هذا"

.. دموعها تقتله .. تعذبه .. تمحوه من الوجود .. جذبها لأحضانه بلهفة ..  
لا يريد لها ضعيفة هكذا .. لا يريد لها حزينة هكذا .. ضمها إلى صدره بشدة  
.. وهو يهمس بين خصلات شعرها :-: .. هدى الهدى حبيبي .. أريدك قوية  
.. أريدك أن تساعدني .. أن تكوني لي عونًا.."

رفع وجهها الباكي له ، وهو ينظر في عينها يمنحها شيئًا من قوته وعزمه ..  
:-: أنت تعلمين جنون أخيك .. حين يقرر شيئًا لا يستطيع أحد إرغامه  
على تغيير رأيه .."

أكمل بمحاولة لتبسيط الأمر لها .. ببسمة مقتضبة :-: إنه حتي لم يخبر  
زوجته.."

شهقت هدى ما إن تفوه نادر بتلك الجملة .. بالقسوته .. أخواها .. لا تدري  
من أين أتى بتلك القسوة

أو لا تدري حقاً .. لاحت لها صورة أب .. كان من القسوة أن باع ابنته  
.. لتترقق الدموع في عينها بلاخجل أمام نادر .. هي تهمس بتقطع :-:  
"كيف نادر .. كيف تركته يفعل هذا .. بنا .. بها ..؟!"

تصلبت ملامح نادر أمام عتيا الرقيق، وهو يقول بضيق :-: لم أستطع  
منعه ألا تعرفين عناد أخيك "

ثم وكأنه استعداد تركيزه أمام عينها .. قال بطريقة جازمة وكأنه يدرك ويعرف أنها قادرة على فعل ما يطلبه منها " :.. وأنا أريدك أن تذهبي إليها لتطمئني عليها .. فبي لا تجيب هاتفها "

وبحيرة طفيفة سلبت قلبها من نادر الواصل دائماً أكمل بشيء من الخجل " :وأنا لا أعلم ما علي عمله "

أرادت أن تحتضنه .. أن تقبله بلا خجل .. وقد استطاع بلمحة منه وبضع كلمات أن يخرجها من صدمتها .. ومن مركز الضعف الذي كانت به لمركز القوة والمسئولية .. ابتسمت بشكل طفيف فمنظره في تلك الحيرة بعينين اعتادت القوة خلبت لها تماما .. أوامأت بصمت ..

أفلتت أناملها منه، وهي تمسح عينها .. بينما وقف نادر ينظرها بإعجاب، وهي تظهر قوتها .. كانت قوتها وهدوؤها شيئاً جديداً عليه! .. بدا أنه يرى هدى جديدة أمامه .. لم يكن يدري أنه هو سبب قوتها تلك

رفعت نظرها إليه أخيراً ،وقد استعادت سيطرتها علي نفسها وهي تقول برقة ونبرة حازمة :- .. حسنا أنا ذاهبة لقاهرة وقد أتأخر قليلاً عندها .. ويبدو أن أسر سيضطر للبقاء وحده كما أراد اتسعت ابتسامة نادر الغامضة، وهو يرى هدى مشعة بالغضب وهي تكمل حين وصلت لباب الجناح خارجة منه :- فقد حصل علي ما أراده في النهاية !!..

\*\*\*\*\*

أخذ نادر يطرق علي الطاولة ببطء وتركيز .. وعيناه مركزتان علي سيجارته التي أشعلها وظل يتأمل رمادها والدخان المتصاعد منها .. حذره الأطباء كثيراً من تلك العادة السيئة .. حذره رؤسياه من التدخين حيث يؤثر على

صحته ولياقته الجسدية المطلوبة لمهامه الخاصة .. لكنه بكل بساط لم يكن قادراً علي تركها.. هناك الكثير مما يشغل باله .. لا ينكر أن ما حدث لأسر غير الكثير من خطئه لتلك الفترة ..كثير من مهامه تعطلت .. بدأت الاتصالات تتوالى عليه تنبيه تحذره من فترة لكنه تجاهلها .. فلم يكن هناك داعٍ للقلق .. أو هكذا كان يظن ..!!؟

نظر للسيجارة التي أصبحت مجرد خط طويل هش من الرماد .. وبضغطة أصبع تفتت .. كان يدرك أن عادة التدخين بدأت معه في أول يوم عاد ليجد هدى قد ضاعت من بين يديه !! ولأنه لم يستطع إحراق أحد .. قرر ساعتهما أن يحرق نفسه!..

عله يجد راحة ما كان يظن أن هدى آمنة .. كان يظن أن مروان تحت سيطرته ..؟! كان يظن أن محمود ...؟! ارتفع رنين الهاتف ليخرجه من شروده نظر للهاتف ليميز رقم الأمن الخاص الذي تركه ليحرس غرفة أسر .. بوجود مروان بمحيطها .. دون أن يدرك أين هو تحديداً .. يجب ألا يدع أي شيء للفرص .. هو يعلم كم أن مروان شخص مختل عقليا ، ويملك من الأموال والمساعدات ، وخاصة في بلد أوربي ما يجعله يمثل خطراً كبيراً إن أراد إيذاءهم أجاب باقتضاب وصرامة :- نعم نهض نادر بطوله الفارع والتوتر يبدو على محياه .. يظلل عينيه بكآبه اعتاد عليها عند الشعور بالخطر.. جذب مفاتيحه ، وهو يقول بصرامة تناقض ما يشعر به من قلق :- كلا أنا في الطريق إليكم أغلق الهاتف وهو يضيق ما بين حاجبيه .. يعلم أنه يلعب بالنيران لكن لا وسيلة أخرى أمامه للقضاء على مروان مرة واحدة وإلى الأبد

\*\*\*\*\*

أخيراً .. خرج أسر من غرفة العمليات ..

وقفت تتأمله من بعيد .. لا تجرؤ علي الاقتراب .. رغم كل شيء .. هي لا تجرؤ علي الاقتراب .. رغم ادعائها الشجاعة.. إلا أنها بقرارة نفسها كانت خائفة أن تقترب منه وهو بتلك الحالة من الضعف تخشى أن تضعف هي .. لا تريد أن تراه إلا وهو بقمة قوته "اقتربي قاهرة .. اقتربي ألا تريدين الاطمئنان عليه ..؟"!

أتى النداء من شادن لتمزق قاهرة رأسها ببطء، وهي تقترب "

خطت ببطء حتي توقفت أمامه لازالت عيناه ونصف رأسه محاطتين بالشاش الأبيض صدره العاري مخفي تحت شراشف المستشفى الزرقاء المميزة .. مغذي معلق بيده اليسرى بينما ارتاحت يده اليمنى إلى جواره .. جلست على المقعد المجاور له تتأمله .. لأول مرة منذ معرفتها به تتاح لها تلك الفرصة لتأمله بينما يحيط بهما الهدوء

..لم يكن شاحب الوجه كعادة المرضى بدا مسالماً للغاية .. متعباً للغاية .. هادئاً بطريقة آلمت قلبها بتهنيده وضعت رأسها علي يده اليمنى تريحها .. تستغرب كيف يكون هو سبب وجعها وراحتها نبضات قلبها تخبرها أنها لا تستطيع ولا تتخيل الاستغناء عنه .. لاتدري لما ..؟

هو لم يعاملها بطريقة جيدة أبداً إلا أنها تلك اللحظات البسيطة .. التي كانت تبدر منه دون إرادته .. شبح ابتسامه لاح علي شفيتها .. فبكل قسوته كان حنوناً ..حتي وهو يحاول جاهداً أن يداري ذلك الحنان .. لازالت غاضبة منه .. لكنها تريد أن تبقى فقط بجواره..

"قاهرة" ..

خرج صوته الأبح الخفيض لتفتح عينها بصدمة .. كيف عرف أنها هي..؟  
لم تع متى خرج الآخرون من الغرفة .. ومتى بقيت وحيدة معه  
حاولت الابتعاد عنه دون أن تجرؤ على النطق إلا أن ذراعه أمسكت  
بيدها قبل أن تبتعد تماماً لـ يهمس لها بإرهاق :- " لا تبتعدي "  
ظفرت الدموع من عينها .. ألا يشعر بما يفعله بها ألا يشعر  
وكأنه أحس بها إذ همس ببطء، وهو يحاول أن يعتدل :- "اقتربي ..  
قاهرة . اقتربي .. رجاءاً" ..

كان الرجاء يبدو غريباً للغاية من بين شفثيه ما دفعها للاقتراب خطوة  
دون قدرة على رفض طلبه .. ليجذبها إليه بشيء من الخشونة .. حتى  
وقعت على صدره .. حاولت الابتعاد إلا أنه تأوه ما دفعها للسكون ..  
لهمس بأذنها ببطء \_:- "نامي إلى جوارى .. أريد أن أشعرك إلى جوارى ..  
هزت رأسها بصمت وهي تبتلع غصة . لتعتدل بالسرير الضيق .. ليسحجها  
إلى صدره ضاماً إياها وهو يتهد ليذهب بعدها بنوم عميق بعدما همس  
لها بتعب :- "شكراً لأنك إلى جانبي" ..

\*\*\*\*\*

استيقظت هدى فجأة، وهي تشعر بألم برقيبتها .. أين ذهب الجميع ..  
نظرت لساعة يدها كان الوقت متأخراً للغاية .. لكنها لم تستطع الذهاب  
قبل الاطمئنان على استيقاظ أسر .. نهضت من مكانها وهي تتلفت حولها  
.. لم يكن هناك أحد بالممر، الحارسان اللذان عينهما نادر لحراسة غرفة  
أسر .. غير متواجدين بينما بدت الممرضة ناعسة على مكتبها .. اتجهت

لغرفة أسر .. وقفت خارجاً تنظر من الزجاج الشفاف لتبتسم باستغراب .. مجنونان .. يستحقان بعضهما تماماً ..

تلفتت حولها باستغراب .. أين قد تكون ذهبت شادن ..؟

ونادر...؟

انتابها الخوف والقلق .. لتتذكر ليلة أخرى شبيهة بتلك .. حين كان أسر بالمستشفى أيضا .. حين هاجمها مروان...نفضت أفكارها ، واستعادت بالله من الشيطان الرجيم .. لن تسمح للخوف أن يصيبها مرة أخرى هي تغيرت .. استعادة روحها .. و مروان لا يستطيع الاقتراب منها لا يملك إلا التهديدات الجوفاء .. ستخبر نادر .. هي فقط أرادت أن تجد الوقت الملائم .. حين تطمئن علي أسر .. ستخبر نادر

..تحتاج إلى بعض القهوة .. لتستيقظ تماماً .. أصدرت معدتها أصواتا لتبتسم بخجل .. فهي جائعة .. ربما تتناول سندوتشا ما من مقهى المستشفى .. قد تكون شادن هناك .. توجهت للأسفل بعدما سحبت حقيبتها من على الكرسي .. كان حذاؤها يطرق الأرض الرخامية برتابة .. و شيء ما ينتفض بداخلها إحساس سيئ .. حاولت تجاهله لكنها لم تستطع .. أصبحت أمام المصعد .. ترددت لوهلة قبل أن تضغط علي الزر المتجه للأسفل .. فتح الباب ببطء لتشهق برعب.. ما لبث أن تحول إلى ابتسامة متوترة، وهي تهتف :- نادر ألن تكف عن إفزاعي ..؟"

تلونت ابتسامة نادر الشاحبة بضيق واضح وهو ينظر لعينيها قائلاً:-

"يجب أن تكفي عن قول ذلك .. فقد أصدقت يوماً .."

شعرت أنها جرحته ،حتي وأن أخفى ذلك ببراعة .. تقدمت للدخال ووجهها تلون بالاحمرار الطفيف ،وهي تقول بارتباك :- أسفة أنا لم أقصد" إلا أن تعابير نادر لم تتغير .. كانت ملامحه غامضة بشدة .. وحاجباه مقطبان .. نظرة عينيه خطف قلبها ،وهو يقول :-.. أنا لا أقبل أسفك" .. شهقت ..لا تصدق أنه غاضب فعلاً .. اقتربت منه أكثر بارتباك .. حتى أصبحت أمامه تماما .. وهي تقول بصدق بينما وضعت يدها علي صدره دون تفكير تترجاه :-نادر.. أقسم إنني لم أقصد..

"بطفولية أكملت، وهي تلوك شفقتها بارتباكها اللذيذ دون أن تدري ما يفعله منظرها به وبسيطرته على نفسه :- نادر لا تغضب مني .. لا أتحمل ..."

جذبها إليه بيد واحدة محتضنا إياها بصمت المستشفى قائلاً ببحة، بينما يده الأخرى تسللت لوجنتها تلامسها بشغف بينما اخذتها المفاجئة على حين غرة :-وأنا لا أتحمل هذا القرب مني دون قدرة على ضمك إلي صدري "

ذابت تماما علي صدره بضعف .. جعل العاطفة المتوحشة تستوطن عينيه ،وهي تهمس بمحاولة ضعيفة منها للإفلات بعيدا عنه :- اتركني .. نادر "

قال بمكروعيناه تعانقان تفاصيلها برجولة أسرتها:-

"توقفي عن مناداة اسمي بتلك الطريقة وقد أفكر بتركك" حاولت الابتعاد عنه بارتباك وخجل ..إلا أنه لم يتركها ببساطة .. رفع وجهها إليه لتقابلها عيناه و الأنفاس تتغير وتتبدل بينهما .. كانت ملتصقه به تماماً .. يداها على صدره الحار .. بينما تطرق نبضاته الثائرة تحت

كفها تماما ولم تعد تستطيع الابتعاد ..ليتغير رجاؤها .. همست :- نادر قد يرانا أحد" !..

بابتسامة ماكرة همس بالقرب من أذنها .. بينما داعبت أنفاسه شعيرات رقبتها لتبتث قشعريرة لذيدة بجسدها :- الوقت متأخر ولا يوجد أحد" ..

لازالت تحاول أن تتملص منه .. حين تركها فجأً وهو يضغط بيده علي زر المصعد ليغلقه .. يوقفه تماما عن العمل وهو يقول بابتسامة كسولة :- ها قد أصبحنا وحدنا" ..

".. عادت إلى الورا خطوة بسرعة لتستند علي جدار المصعد بعدما أغلق ، وأنفاسها تعلو وتهبط بعنف أثاره .. جذبها إليه بخطوة واحدة بالحيز الضيق ، ووعد بالسعادة يشع من عينيه .. لهفة .. شوق .. جوع عميق تسلل للملامحه ، وهو يخفض رأسه تجاهها .. بينما التصقت به .. وقلبيها يثب بشوق .. يبعثرها .. يبعثرها .. كلماته .. صوته .. عيناه .. وتلك البحة السائلة التي يهمس بها اسمها كما الآن:-

"هدى"

همس بعاطفة قوية :.. متى ؟..

"متى هدى .. لا أستطيع الانتظار أكثر .. أحبك .. أحتاجك .. أحتاجك بشدة" ..

كانت تشعر بالحرارة الشديدة .. لا تصدق .. لا تصدق أن لمسة منه تجعلها هكذا .. لا تستطيع الإنكار بعد الآن أو المقاومة بعد الآن أو الخوف بعد الآن هي تحبه وتحتاجه كما تحتاج الماء والهواء .. بوجودها بين ذراعيه كما الآن يمحي الماضي بلمسة منه ارتفعت علي

رءوس أصابعها لتهمس بالقرب من ذقنه وشفاتها تلتثمان عنقه برقة جعلته يرتعش شوقاً قريباً "

دفن وجهها بصدرة .. وهو يبتسم بسعادة .. قريباً تنتهي كل مشاكلهما .. قريباً ارتفع رنين الهاتف ليخرجهما من خلوتهما المجنونة .. ليبعدها نادر قليلاً عن صدره، وهو مرتبك لجنونه .. رفع الهاتف لأذنه .. ليقول بصوت أجش ونبضاته الثائرة لم تهدأ بعد :- نعم .. حسناً .. نحن بالطريق " أغلق الهاتف بتفكير عميق .. جعلها تسأله بقلق :- نادر ماذا هناك :- خرج من شروده ليحجب بابتسامة لم تصل لعينيه :- لا شيء " عاد لطبيعته نسبياً ، وهو يسألها :- أين شادن .. وقاهرة ؟ "

كانت لا زالت ترتعش من قرينه لكنها همست :- قاهرة بجوار أسرفي حجرتي .. أما شادن .. لا أعرف كنت بطريقي للأسفل لأراها بمقهى المستشفى .. لماذا ؟ "

"أجاب بلامبالاة :- حتى آخذكما للمنزل .."

ضيق ما بين عينيه قليلاً بتفكير .. وجود قاهرة بالأعلى وشادن بالأسفل يعيق خطته قليلاً .. أخذ نفساً عميقاً جعل عينيه لا إرادياً تتجولان فوق صدره .. وهو يقول :- حسناً ما رأيك أن تنتظريني بالأسفل مع شادن حتى نعود للفندق .. سأطمئن فقط على أسر وألحق بك "

أومات وهي تقول بهدوء :- حسناً لا بأس بهذا "

أعاد تشغيل المصعد .. ما إن خرج منه ، التفت لها بتحذير بسيط .. أخفي خلفه توتر بالغ ، وهو يقول :- لا تتعدي .. انتظري بالمقهى مع شادن .. أومات ب : حسناً

والمصعد يغلق بينهما .

\*\*\*\*\*

نظرت هدي لمرآة المصعد وهي تبتسم .. كان إحساسها بالسعادة شيء جديد عليها .. شيء كانت تخاف منه لكن ليس بعد الآن هي من حقها أن تحيا .. وتسعد بحياتها .. نادر يستحق أن يسعد هو الآخر .. نالا نصيبيهما من الأحزان والفراق .. هي أخذت قرارها .. ابتسمت بشوق للقادم .. وتلك السعادة الوليدة أخذه بالانتشار بداخلها كزهرة عذبة الرائحة تتفتح .. ببطء وتروي .. تهتد بشوق .. كيف استطاع في أيام معدودة أن يجعلها تنسى الماضي المؤلم البشع الذي عاشت فيه لسنوات .. بدا أن كل دقيقة تمضيها معه قادرة على محو سنة من العذاب الذي مرت به!.. فتح باب المصعد لتلتفت والبسمة لا تزال علي شفطيها لتتجمد برعب وهي ترمروان بضحكته المقيتة .. وخلفه شخصان ضخما الجثة بطريقة مفرعة .. أحدهم يمسك بشادن مكماً فمها والرعب يبدو بعينها .. ليقول بنبرة جمدت الدماء بعروقهها :-

"أخبرتك .. أنت لي" ...!

ما حدث بعد ذلك لم تع هدي منه الكثير حيث كان الرعب مسيطراً عليها .. وهي تنظر لعينيه الكريهيتين .. حين رفع مروان يده وهو يطلق بخاخ ما بوجهها .. أرادت أن تصرخ .. أرادت!...

لكن بدا أن فمها .. لا يطيعها .. لتقع بعدها في غيبوبة سوداء

\*\*\*\*\*

"أااه"

.. تأوهت شادن ببطء .. تشعر برأسها ثقيل للغاية .. مدت يدها لتلمس مكان الصداع .. لتتاوه بشدة .. يبدو رأسها وكأنه مجروح .

كانت تسمع أصواتا بالخارج أغلبها بالفرنسية .. و الإنجليزية .. إلى جانب العربية .. قطبت حاجبها بمحاولة للتركيز .. لكنها تشعر بصداع رهيب .. فتحت عينها ببطء ليواجهها الظلام .. لم تتحرك من مكانها .. تشعر بالخطر قريب منها .. مدت يدها لتدعم نفسها حتى تعادل لتشمئز، وهي تشعر بمياه رطبة تحت يديها .. ورائحة عفونة بدأت تنتشر حولها ... تلمست حولها ببطء، وهي تعادل .. همست بخفوت " : .. هدى ..؟! ..!! أنت هنا ..؟" !!

لا رد يصلها .. ياالله .. بدأ الرعب يتسلل إلى صدرها.. بخفوت وخوف نادته مرة أخرى:- هدى "!! ...

لا شيء .. بدا أن الأصوات بالخارج خفتت قليلاً .. مما أجبرها علي الصمت .والرعب يزحف بخلايا بشرتها .. كان شعورا مقبها .. تشعر أنها تنتفض .. إنها تود الصراخ لكنها لاتجرؤ .. تود البكاء لكنها لا تستطيع..تود التركيز والتفكير بتعقل .. بلا فائدة!.. أول مرة تدرك نعمة فقدان الذاكرة .. مروان ..؟! ..!!

لا تستطيع أن تصدق .. مروان ابن عمها!!..

يفعل بها هذا ..؟! ..

وبهدى!

شهقت بخفوت ، وهي تضع يدها على فمها تكتم شهقتها .. حين رآته  
بالأمس .. حين فاجأها بالمقهى، وهو ينحني عليها وهي شاردة .. فزعت لأول  
وهلة .. كانت في عينيه نظرة غريبة أشعرتها بالخطر لكنها تجاهلتها ، وهي  
تراه يبتسم بود وشحوب كعادته القديمة لها جلس أمامها، وكان لديه كل  
الوقت بالعالم وهو يسألها :- كيف حالك شادن ..؟" !  
ارتبكت .. وذكري كلمات هدى لها تعاودها !.. ذكري ما فعله بأختها  
لسنوات تصفعها .. مما جعل الحذريتسرب إليها

أجابت وهي تقبض بيديها الباردتين على كوب القهوة بتوتر:-  
"بخير .. وأنت مروان ..؟" !!

ابتسامة صفراء مقببة ظهرت علي شفثيه ، وهو يجيب:-

"لست بخير أبدا "

اقترب فجأة منها حتي أصبحت أنفاسه تصفع وجهها برائحة كريهة !..

لهمس بفحيح مقبب :-: أين زوجتي ..؟" !!

فكرت برعب زوجته ..؟!

يقصد هدى !!... ياللهول

همست بما تستطيع من لطف :-

"مروان يجب أن تنسى هدى .. وتعيش حياتك .. هي الآن زوجة رجل آخر  
..!"

برقت عيناه بالشر، وهو يقول :- ليس لوقت بعيد"

لتسأله شادن بخوف :- ماذا تقصد ..؟!!

لم يجيبها بل أعاد ظهره للخلف ، وهو يرفع يده بإشاره ما ليظهر اثنان ضخما الجثة أثارا الرعب في نفسها .. تلفتت حولها لتطمئن قليلاً فهناك .. بضعة أشخاص حولها .. أحدهم نائم على الطاولة .. اثنان ناعسان تماماً .. وعامل القهوة بدا أنه اختفى .. بدا الخوف علي محياها، وهما يقتربان لتهمس بريق جاف :-ماذا تريد مروان ..؟!"

اتسعت ابتسامته والحقد والجنون يلتمعان بعينيه، وهو يقول:-  
"أنا لا أريد منك شيئاً .. أنا هنا لأخذ زوجتي وأرحل"!!!

نهضت شادن بعصبيه وهي لا تعي جنون ما يقول فكرت برعب وسرعة ..  
من سيسمح له .. ؟!

نادر .. يجب أن تخبر نادر .. يجب أن تحذر هدى.

ليصرخ فجأة بصوت غاضب بينما اقترب الضخمان خطوة للأمام بتحفز :-  
إذا قمت بأية حركة .. هذان الاثنان لديهم أوامر بقتلك وقتل كل من يعترض طريقي .. أتفهمين ..؟!!

همست بشحوب ورعب :- أنت مجنون ..

اتسعت ابتسامته المقيتة، ونظرة جنون صرف تبدو بعينيه وهو يقول:-  
"أعلم"!!

مد يده بحركة مفاجئة ليجذب يدها حتى وقعت علي الطاولة أمامه وهو يقول بفحيح شرس : -وذنب من هذا .. ها .. ذنب أخيك الحيوان وصديقه الأحقر منه !.. تركوني لأتعفن بسجنهم .. لينجوا بحياتهما" ..

بان العذاب بعينيه في لحظة واحدة، وكأن الماضي يمر أمام عينيه ..  
لممس، وكأنه لم يعد معها في الواقع .. بل بواقع آخر مختلف تماماً:-  
ترك ابن عمه .. تركني .. وهو كان كل شيء لي .. الأخ .. القدوة .. المثل  
الأعلى .. ولأجل من!..

برعب .. وخوف ... حزن ..همست بعدم تصديق وذهول :- .. أي سجن  
مروان ....؟! !!

حين لم يجب بينما بدت بعينيه نظرة متوترة .. حذرة يشوبها لمحات من  
جنون وعذاب .. أكملت بعدم تصديق ورعب وجسدها كله ينتفض حتى  
شكت أنها ستسقط أرضاً :- تقصد أسر ... كنتم بالسجن .. بتلك الرحلة  
الغريبة التي اختفيتم بها ليصرخ فجأة\_ ... لا تدعين الجهل أنا أعلم أنكم  
تعلمون ..!?!

هزت رأسها بنفي دون قدرة علي الكلام .. ليجذبها بقسوة بالغة من  
ذراعها حتى أصبحت رأسها أمامه على الطاولة .. ليرفع يده ويضربها بقوة  
.. بشيء حاد وصوت مكتوم .. جعلها تئن بألم ورعب .. إلا أنه أحنى رأسه  
في نفس اللحظة يخفي وجهها عن فضول من حولهم .. وهو يهمس بأذنها  
بفحيح :- الآن ستأخذيني إليها بكل هدوء .. حتي لا أقتلك "  
بدأت بالبكاء، وهي تشعر بالدماء تنزف علي جبهتها ، وهي تومئ بالإيجاب  
بصمت بينما أخذت تدعو الله في سرها أن ينقذها وهدى منه!..  
صوت صرير الباب أفرعها ، وجعلها تعود لأرض الواقع .. بخوف ورعب  
نهضت مرتعشة بصعوبة وتحفز .. والرعب يسيطر عليها وذلك الجلف  
البشع المظهر يقترب منها .. لا تعلم أين هدى .. ؟ !!

لا تعلم ماذا سيفعل بهما مروان .. ؟ ! لكنها لن تصمت .. لن تستسلم ..  
بداخلها وبمكان قررت أن تدفنه بلا رجعة .. انبثقت أمام عينها .. عينيه

بلون الظلام .. بلون بئر عميق .. مليء بالأسرار عينين مجرد التفكير بصاحبها .. دفع بالدموع إلى عينها !.. قبضت بيدها بشدة علي مبرد أظافرها بجيب بنطلونها .. وهو الشيء الوحيد المتوافر معها .وقد تستخدم كسلاح .. وهي تقرأ النية البشعة بعينيه..

كانت أنفاسها تعلو وتهبط برتم متوتر مرتعش لكنها لن تسمح له .. لن تسمح له بلمسها حتى!! .. اقترب منها وهو يبتسم ببشاعة .. حاولت أن تنظر للخلف تبحث عن مروان لا تصدق أنه ورغم بشاعته ، ورغم كل ما فعله بهدى سيترك هذا يحدث لها لابنة عمه دمه ولحمه اقترب الرجل بشدة حتي توقف أمامها وأنفاسه الكريمة ورائحة الخمر تنبعث منها تلفحها وتثير رغبتها في التقيؤ لتصرخ بوجع:- مروان" .. امتدت يده لتقبض علي فكها ونظرة شريرة تلمع بعينيه قال لها بالإنجليزية:- .. لن ينقذك مني أحد اليوم .. أنت لي" .. لم تعيره انتباها ورغم ألم فكها إلا أنها صرخت مرة أخرى برعب وخوف وهي ترى مروان ينظر لها ببرود غريب من الخارج :- مروان أنقذني أرجوك"

اقترب منها المتوحش بأنفاسه الكريمة ليقبلها بوحشية وقسوة .. لكنها تراجعته للخلف، وهي تدرك أنها ميتة لا محالة سواء الآن أم بعد أن ينال منها ما يريد تحت مرأى ابن عمها القذر رفعت يدها فجأة حين أغمض عينيه ، وهو يقبلها لتطعنه بالمبرد لازل مزروعا هناك بوجنته لطمها بكف يده بقسوة ووحشية حتى شعرت بارتجاج برأسها لم تفق منه إلا علي جذبها من خصلات شعرها حتى أقسمت أنها اقتلعت من جذورها، وهو يصرخ ويسب بأقذع الألفاظ .. رفع رأسها إليه بقسوة، ويده تسحبها من خصلات شعرها بوحشية لتقع عينها بعينيه الخاليتين من الأدمية.

ذعرت وهي تراه يسحب المبرد من وجنته بقسوة، وهو يقول لها بجنون ..  
:-أيتها اللعينة "

رفع المبرد لتشبهق مرعوبة، وهي تراه يدفع به إلى عينيها .. أغمضت عينيها  
بحتمية الرعب والفرع لضياح عينيها بأي لحظة حين أتى الصوت قويا  
هادرا صارما متوحشا يصرخ بالإنجليزية:- توقف مارك!...

رغم كل شيء

ورغم أنني عاهدت نفسي .. كثيراً

لازلت أنقض ذلك العهد

وأشتاقك

\*\*\*\*\*

ما إن فتح باب المصعد حتى شعر نادر بتوتر وتحفز كان الممر هادئاً ..  
ضيق عينيه بتحفز .. الحرس لا وجود لهم .. أسرع خطواته بنبضة  
مفقودة .. فتح الباب وهو يجبر نفسه علي التريث .. والهدوء .. لتعود  
أنفاسه إلى صدره، وهو يجد قاهرة نائمة بهدوء جوار أسر تتوسد صدره  
.. أشاح عينيه بحرج ، وهو يغلق الباب خلفه .. مسد علي صدره انزلاقاً  
لمعدته التي شبت النيران بها لقلقه .. إذن أين ذهب الحرس  
هناك شيء ما خاطئ ..!!؟

لم يضيع لحظة أخرى في التفكير، وهو يتجه للمصعد بسرعة.. هدى في  
الأسفل وحدها!!!

ضغط على المصعد بقلق، وهو ينظر للإشارة الحمراء التي تنم عن صعود للأعلي بتوتر متصاعد ثواني بطيئة للغاية، شعر بها كأنها ساعات حتى توقف المصعد بالدور السفلي،

رمش رمشة خفيفة و توتره ارتفع لأقصى درجاته .. حتى أسرع بخطواته المتعجلة لمقى المستشفى .. لم يجد أي منهما .. بدأ الخوف يعتريه .. إذ لا أثر لهما أخذ يدعو في سره وخطواته المتوترة تفتش كل مكان .. أخذ يدعو الله أن يكون خوفه وهما لا أثر له من الصحة .. أن يجدهما عند مدخل المستشفى أقسم سيكتفي بتوبيخهما فقط .. كلا بل لن يوبخهما نهائيا .. لن يتفوه بحرف .. فقط إن وجدهما .. لتتوقف قدماه بصدمة حين وصل للممر الخارجي الخالي للمستشفى .. رفع هاتفه بيد صدم أنها ترتعش .. بتوتر أخذ يتصل بها، وهو يأخذ أنفاسا عنيفة أحرقته صدره لا يريد أن يصدق الأسوأ

لا يريد! بل لا يستطيع!..

كان المطر ينهمر بغزارة .. والظلام يسود المكان .. تلفت باضطراب .. عله يلمحهما .. هنا أو هناك .. لكنه كان يدرك أنه يماطل .. وأنه يدري يقينا ما حدث .. كان يماطل بالتقين وهو لم يعتد المماطلة!..

توقف رفع بصره للسماء يترجى لتتساقط قطرات المطر على وجهه قطرات باردة إلا أن برودها لم يستطع أن يطفى لهيب صدره

لم يأخذ أكثر من ثوان في تلك الحالة من الصدمة الذهول .. ليعود لطبيعته ولو نسبياً بخطوات هاله أنها ترتجف، عاود للمستشفى ..لم ينتظر المصعد تلك المرة!..

يريد أن يحرق غضبه قبل أن يحرقه يريد أن يصبح قادراً علي التفكير بخطوات قوية .. حازمة .. غاضبة أصبح بالدور الرابع للمستشفى لم يتوقف ليليه حتى بل استمر بخطواته الغاضبة للأعلى أخذ يفتش الممر بججراته، ساعده هدوء المستشفى الخانق حتي توقف مصدوماً بجثتي حارسه المختفين توقف فجأة، والصدمة تتجلى على وجهه شحب وجهه واختنق صدره بشهيق لم يستطع أن يزفره .. كان يأمل .. كان هناك أمل يداعب خفقات قلبه المضطربة ببطء أن يكون كل هذا وهم

وبدون مقدمات شعر بانخفاض حاد بشرايينه يجبره على الانحناء والسقوط أرضاً ثارت عليه معدته تلك المرة بشكل غير قابل للجدل ليجد نفسه يتقيأ وبشدة نار حارقة كانت تصعد من معدته عبر صدره .. نأاااااااااا أخذت تتصاعد لتقضي على البقية الباقية أنفاسه وهو يرى الدماء تتساقط من فمه ، هي نظرة واحدة لم يعيرها اهتماماً أكثر من هذا ، وهو يقف ليمسح فمه باشمئزاز من نفسه أقسم بعنف وغضب وقلبه يرتعش

سيقتله

..سيقتل

الحقير مروان

سيقتله بيديه العاريتين !

وجع قوي .. مزقه .. حطمه... جوفه يشتعل بغضب .. بألم ، بجرح قاسٍ ضرب الجدار بقوة عنيفة ، ليخترق قبضته مسماراً مخفي بلا اهتمام ليخترق كفه بألم فاق ألامه النفسية لوهلة فقط شعر

بجسده يرتجف للألم الذي رحب به عله يخفف مما يشعر به  
يشعر أن عقله بحالة تبلد ..يشعر أنه فاقد السيطرة دم ، حرارة ،  
رجفة!..

خوف لم يشعر به من قبل .. ولم يتوقع أن يشعر به في يوم من الأيام  
ماعدًا ذلك اليوم من عدة أشهر حين اختطفها مروان المرة الأولى وها هو  
الموقف يتكرر وشعر بروحه اندثرت للأرض ، صارت فُتاتًا ، وتناثرت مع  
نسمات الهواء أضاعها

أضاع رُوحه!!!..

سحب كفه بألم ليخرجها من المسمار، وهو يضغط علي شفته بقوة  
وغضب .. وبتبلد تام نظر إلى الدم المتساقط منها لبيت هذا الدم يتساقط  
من قلبه ولا يكون بهذا الموقف يجب أن يتصرف وسريعا  
كل ثانية مهمة .. لا يصدق .. لا يصدق أنه بغبائه وضعها بنفس الموقف  
للمرة الثانية كيف ستثق به بعد الآن دعا الله برجاء  
لا يريد أن تثق به .. لا يريد أن تحبه أو تعود إليه حتى يريد فقط  
أن تبقى سالمة ألا يلمسها ذلك الحيوان القذر المجنون السادي  
ألا يقترب منها حتى لأنه لو فعل ثارت الدماء بعروقه وانقبضت عضلة  
قلبه بشدة ؛حتى أوشك علي الاختناق إن فعل فسأقتله لن يشفي غليله  
يجب أن يبدأ .. حك بأصبعه وسط جبينه بتوتر ..وحزم فكل خطوة يقوم  
بها قد تكلفه حياة هدى وشادن

الإجابة عند محمود

يجب أن يصل إليه!...

\*\*\*\*\*

أفاق أسر ببطء .. وهو يشعر بإرهاق بآلم حاد بعينه وحاجة فظيعة لجرعة ماء حاول التحرك لكن شيئاً ما كان يعوقه ليبتسم برقة بعيدة عن طبعه المتوحش وتنهيده تخرج من أعماق صدره .. و لسانه يردد اسمها بعدوبة :-قاهرة

توقع أن تتركه وترحل .. صدقاً توقع هذا وما كان ليلومها !.. لكنها ككل مر تفاجئه أكثر !.. ويعشقها أكثر حاول أن يحرك ذراعاه ببطء .. دون أن يوقظها إلا أنها انتفضت ببطء.. وهي تهمس :- أسر .. أنت بخير؟ قال بحشجة :- أريد بعض الماء

بدون كلمة ابتعدت عنه والخجل يغمر كامل جسدها .. ليتحول إلى غضب .. غضب حاولت السيطرة عليه كما وعدت نفسها .. لكنها لم تستطع !.. لازال ألم قلبها يقتلها !.. ولازال هو بنفس العجرفة .. لم يكلف نفسه حتي الإجابة عن سؤالها.. تنهدت وهي تصب الماء .. وتتقدم منه بصمت يشيء عن ذبذبات غضبها !.. لم يكن يراها .. ويشعر بالإنهاك .. لكن غضبها .. عصبيتها .. حنقها .. وصله ما جعل طيف ابتسامة متعبة تعانق شفثيه بصمت ما إن اقتربت منه ،وهي تقول بغيظ طفيف وأدب غريب عليها:- تفضل

..لم يكن بكامل قواه العقلية لكنها استفزته .. حتى بحالته المرضية .. هي الوحيدة التي تجعل كافة حواسه تتيقظ .. وتنتبه .. غريزة الصياد به تشتعل .. و بكل وداعة قرر أن يستغل الوضع .. يا الله هو يشناق وجودها حتى وهي معه:قال بأمر خشن وإن خرج من شفثيه بإرهاق :- اسقني" ..

حين لم تتحرك قال بسخرية مريرة يحثها على الاقتراب :- إذا كنت لم تلحظي ..فأنا لا أرى" ..

شبهت بخفة ،وهي تعض شفتيها بغيظ .. لكنها اقتربت منه ببطء وصمت .. وقفت حائرة لوهلة في كيفية الاقتراب منه دون أذيته .. لحسن حظها كان المغذي بيده اليسري وهي كانت بالجهة اليمني .. وضعت الكوب علي الطاولة المجاورة مدت ذراعها بخجل خلف رأسه .. ببطء لترفعه .. لكن ملامستها لخصلات شعره ..غوص أناملها بهم .. دفعت برجفة لذيدة لجسدها حاولت أن تسيطر عليها بقوة ..لكنها لم تستطع ،ويدها تنزلق لكتفيه العاريتين وظهره الحار .. يا إلهي ..فكرة القرب منه عذاب عذاب خالص بينما لم يكن حاله أفضل منها بهذا القرب .. ورائحتها تحيطه .. دفؤها .. يداها علي جسده ..ولم يكن ليتركها تبتعد .. ما إن اعتدل ببطء حتى حاولت الابتعاد إلا أنه لم يسمح لها .. لم يستطع تركها تبتعد هكذا .. يدرك أنها مجروحة منه ولها كل الحق .. لكنه لا يستطيع أن يتغير هو هكذا هذا هو طبعه .. حين يخاف .. يبتعد ليس سهلا عليه أبدا أن يجعل أحد يرى خوفه فماباله بالقاهرة

القاهرة التي كان يستمد من عنفوانها .. قوته من سموخها .. رجولته من حنانها .. إنسانيته

أمسك بأناملها بين يديه برقة .. لكن حين حاولت سحيمها منه قبض عليهما ببعض القوة ..وهو يجذبها لتقع علي صدره .. حاولت الاعتدال باضطراب وشهقة ذهول تغمرها .. أهذا حال شخص لازال لم يفق بعد من تخدير العملية .. هتفت بحنق ولا شيء ببالها سوى أنه يغيظها كعادته الكريمة :..أسر

إلا أنه أخفض وجهه إليها .. وهو يهمس بصوت أجش :- قلب أسر رجف جسدها ،وهي تفتح فمها فاغرة فاها بذهول وتلك النبرة السائلة

الخشنة ..تمر بكل عصب حي بجسدها لتفجره .. حاولت أن تجيب .. أن تنفوه بأي شيء .. أن تصرخ بغضب .. بحنق .. لكنها وجدت نفسها تصمت .. بحزن .. بمرارة .. هي ارتضت أن تبقى ويجب أن تكون على قدر قرارها .. قد يراه البعض ضعف .. انهزام .. لكنها تراه عشقا ..! بكل بساطة هي بداخلها تدرك أنها لا تستطيع تركه .. تدرك أنه قد يمر وقت طويل قبل أن يستطيع هو أن يحبها كما ترغب به أن يفعل .. لكنها أيضا بحس الأنثى لديها تدرك أنه يحبها ،وهي لا تحتاج للكلمات لتعرف هذا هي فقط تعرفه لكن ذلك لا يمنع من الحفاظ على كبرياءها .. كرامتها .. هو أخطأ، ويجب أن يعرف أنه أخطأ بحقها كثيراً حاولت الابتعاد مرة أخرى بصمت .. تعذبه بصمتها .. تباعدها والآن .. هو لا يستطيع التفكير بشيء سوى قربها منه .. ربما يوماً ما يستطيع ان يحكي لها كل ما يخبئه بصدرة ويؤمله .. لكن ليس اليوم وليس الآن امتدت يده بلهفة وهو يمس بخشونه:- ابقى كما أنت" ..!

أه يا إلهي من أين تستطيع أن تستحضر قوتها ،وهي مستلقية تقريبا بأحضانها .. مد يده ببطء وهو يرفع وجهها إليه لتقابلها شاشتان بيضاويتان .. بدل عينيه الرماديتين .. ما سمح لها أن تتأمل تفاصيله بجوع .. بانهار واطمئنان .. أن تسمح لنفسها بظهور الحنان .. الرقة .. والحب .. بعينها العاشقتين امتدت يده ببطء تستكشفان ملامحها .. وهو يمس بلهجة سائلة حزينة بعض الشيء -لطالما أرادت فعل هذا "

ارتعشت أهدابها بندى حزين .. وهي تتركه يمر بأنامله القاسية علي حاجبها .. عينها .. وجنتها .. كانت مبهورة بكافة الانفعالات التي تمر بوجهه حتى أنها كانت تحبس أنفاسها التي أصبحت تخرج بشهقات متقطعة خافتة، حتى وصلت أنامله إلى شفيتها .. مد أصبعيه السبابة والوسطى .. ليمسك بطرفي شفيتها من الجانبين

قال بخفوت ومزح :- فمك .. كبير بعض الشيء

لم تستطع أن تسيطر على رد فعلها وهي تزم فمها بغضب قليلاً ليشعر هو بها .. حاولت الابتعاد تلك المرة فعلا وقطع ذلك السحر المجنون الذي يحيطها به حين خفض رأسه حتى تلامست شففتيها .. ببطء وأنفاسه تلفحها وهو يقول بحنان أذاب عظامها : لكنني أحبهما .. هما لي هاتان الشفتان لي .. أنت كلك لي .."

كانت نبرته من الرقة بحيث دفعت بالدموع إلى عينيها .. لمهمس بعاطفة وصدمة وملوحة الدمع تعانق شففتيه : لا تبكي

بمرارة أكمل ويده تمسح دموعها برقة .. تستكشف ملامحها ببطء .. بحسية ولهفة .. بشوق لم يستطع السيطرة عليه :- أنا لا أستحق دموعك تلك .. أنت القاهرة .. أنت قاهرتي أنا .. وأنا لا أستطيع رؤيتك تبكين حتى ولو كنت أنا السبب "

شهقت وهي لا تستطيع التحكم بنفسها أكثر من هذا لهتز جسدها بالبكاء بخفوت .. يا الله كم هي مشتاقة لحنانه

حنانه هذا الذي لم ترمه إلا الفتات ذلك الفتات الذي يجعلها جائعة للمزيد منه .. لم تكن لترفض ذلك ، ولو كلفها الكثير .. عاودت البكاء بدلال ، وهي تضم جسدها إليه أكثر لتهمس بألم :- حتي حين أبكي منك .. فأنا أبكي إليك "

انتفض جسده وارتجف .. شعر بشيء حار مفاجئ يجري بعروقه، وهو يشدد من احتضانها على صدره بيده الحرة .. يا الله إنها تتفنن في جعله يغرق بها أكثر

يغرق

ولم يعد يريد النجاة بعد

الآن!...

كم خيبة يجب أن تحدث

لأكف عنك

"اتركها"..

لم تعي شادن إلا وهي تقع أرضاً بينما أخذ محمود يكيل اللكمات والضربات لذلك الضخم بكل غضب .. طرحه أرضاً وأمسكه من تلايبب قميصه الذي أصبح بلون الدماء المتفجرة من وجهه وهو يضرب ويضرب ويضرب حتي أصبح كالخرقة البالية بين يديه .. لكن ذلك لم يشف غليله ،فكرة أنه تجراً فقط ولمس شعره منها كانت تدفع به لمزيد من الغضب أخذ يكيل الضربات لكل جزء تقع قدميه عليه لم يوقفه إلا نداء شادن الضعيف المستجدي بالظلام وهي تهمس ببكاء غير مصدق وذاهل جعل كل خلية بجسده تنتفض

"محمود"

لم يلتفت إليها فوراً .. توقف جسده تماماً عن الحركة فجأة دون قدرة لديه على النظر إليها .. لتعيد هي النداء بالظلام .. بغصة وخوف مزقاً أضلعه ضلعا ضلعاً

"محمود"

تقدم منها خطوة واحدة حتى أصبح أمامها ،وهي متكومة تحت قدميه منكمشة على نفسها بخوف لم تكن ترى ملامحه بوضوح .. بل إن كل ما يصلها هو أنفاسه الحادة، وهو ينحني ناحيتها لكنها لم تكن تحتاج لتراه .. استندت علي قدميها ببطء ،وهي تقف ورائحة الريحان الغاضب تغمرها .. ما إن وقعت عينها بعينيه حتى تساقطت دموعها بخوف وذل وهي ترمي نفسها بين ذراعيه ببيكاء وجسدها كله يرتعش ..

أخذت تشد على قميصه بشدة .. تريد أن تختبئ به .. لا يهمها ماسي فعل المهم أن يخرجها من هنا .. بدا أنه قد صدم لوهلة قبل أن تشتد ذراعاها حولها بقسوة .. تخفيها .. تزرعها داخل أضلعه ..

مد أصابعه بيد ترتعش تلامس شعرها، وهو يمس بعاطفة فجة غاضبة :-هل أذاك...؟" !!

أخذت تهز رأسها برفض، وهي تتكئ عليه بضعف مزقه حاولت أن تنطق لكن محاولتها فشلت ،وهي تبكي بصوت يمزق نياط القلب ليمس برجفة :-لا تخافي" ..

جمد لثوانٍ لمراى نظرتها المكسورة ثابتة عليه و هي تطالعه، و الدموع تنزلق من عيونها بشكل يرعب .. لم تكن أول مرة يرى منظر بهذا الشكل لم تكن أول مرة يرى أحدا يبكي و ينوح بهذه الطريقة الخفيفة .. و التي تؤلم القلب بقسوة و لكن تلك النظرة المكسورة انحفرت بقلبه قبل عقله .. أخذ يحاول بلع ريقه باستمرار ودون جدوى شيء ضخم كان يجثم علي صدره ليخنقه ببطء ..حاول يبعد نظره عنها لكنه لم يستطع حركة صاخبة خلفه .. جعلتها تعاود الانكماش كطفلة صغيرة بينما أخفت وجهها بصدره مرة أخرى برعب دفع ببسمة ألم ساخرة على شفثيه ..حاول إبعادها عن صدره ببطء لكنه لم يستطع كانت متشبثة به بقوة

غريبة .. لا تريد أن تبتعد عنه لا تريد أن يلامس الهواء وجهها حتى .. إذا ماتت واختنقت هنا بصدرة أفضل لها من الكابوس الذي تمر به بنظرة لا مبالاة لمروان ورجاله الذين تقدموا للغرفة بعنف.. أبعد وجهها ببطء عن صدره .. حضن وجهها بين يديه المرتعشة انفعالا.. قرب وجهه من وجهها ليركز نظراته السوداء الغامضة بعينها الباكيتين .. المصعوقيتين .. لهمس لها بحنان وشفقه دفعت بالدموع لعينها مرة أخرى : " أنت بخير .. لن أسمح لمكروه أن يصيبك"!!

"ماذا تفعل...!!؟"

صرخ مروان بجنون وهو يقترب منهم بشر .. وكأن ما فعله محمود أفسد خطته السادية التي كان يتابعها بدقه من الخارج .. توتر جسد محمود بشدة في حين لم تفته شهقة شادن المرعوبة ليدفع بها خلف ظهره يحمها وهو يقول بقسوة وصرامة :- " لا تقترب أكثر وإلا قتلتك" توقف مروان بخوف رغم ابتسامة السخرية التي أظهرها .. ورغم الخوف الذي تراقص بعينيه ابتلع ريقه الذي جف فجأه خوفا من محمود كأبي جبان يخشى من لا يخشاه حاول أن يتحدث بنبرة قوة عنيفة :- " ألم نتفق سابقا يا محمود .. اتركها لا شأن لك بها .. لا تدمر كل خططك لأجلها"

إلا أن نبرته خرجت منه ضعيفة متوترة حملت آخر حروفها بعضا من قوة زائفة أراد إظهارها ، وهو يكمل بنظرة ازدراء :- هي لا تستحق" .. بإصرار أكثر وحنون حين رأي نظرات محمود تصبح شديدة السواد والغضب :- لا تستحق!"

ابتسم محمود بألم على كلمة " لا تستحق " التي كررها مروان أكثر من مرة لا تستحق .. أه لو يدري ..

أغمضت شادن عينها بشدة، وهي تدعس وجهها بظهره من شدة الألم ..  
الخوف وطعنة الغدر من ابن عمها .. مروان ... تطعنها بالصميم .. شهقت  
بقوه ، و أكتافها تهتز بارتعاش مع كل شهقة تأخذها.. انقبضت عضلة قلبه  
بعنف لحركاتها الطفولية الخائفة التي تعذبه بها هو لا يستطيع الآن ..  
فكر بعنف لا يستطيع أن يفعل شيئاً ويحطم به تخطيط سنوات .. لكن  
آه من تلك الأناث الخافتة التي تزفرها بظهره

أناث حارة آلمت كل خلية بكيانه آلمتها!!! جعلت كل جسمه ينقبض.. و  
كل شرايينه يرتفع ضغطها لكنه تسلى بالبرود الذي كلفه كثيراً من  
أعصابه ، وهو يقول :- لم نتفق علي هذا مروان "

ضحك مروان بجنون، وهو يقول بحقد : لم نتفق لكن هذا ما أردته"  
اقترب منه أكثر والشر ينضح بعينه، وهو يقول : "وما أريده لا أحد"  
شدد علي الكلمة، وهو يكمل : - " لا أحد .. ولا حتى أنت .. يستطيع أن  
يقف بوجهه"

ضغط علي أسنانه بشدة ومروان يكمل بلؤم :- وإلا خسرت الكثير"..  
توتر محمود وهو يقول بتحفز :- ماذا تقصد "

تحرك مروان، وقد عادت إليه ثقته لرؤية التوتر يحفر ملامحه علي وجه  
محمود الغامض وهو ينظر لشادن شذرا بلؤم قائلاً:- هل تعرف ابنة عمي  
العزيزة صلتك بنا "

اشتدت قبضة محمود لا إرادياً علي يدها المتمسك فيه لتتاوه باستغراب  
ومحمود يمس بشراسة وعيناه بعيني مروان  
"إياك" ..

انطلقت ضحكة ساخرة من مروان وقد أدرك موطن ضعفه ليقول  
"إذا هي لا تعرف"

اقترب منها بمكر .. ليلمس شعرها باستفزاز .. لتنتفض فزعة، وهي  
تنكمش أكثر بمحمود الذي سحها خلفه تماماً .. يحميها بصدره العريض،  
وهو يهمس بفحيح غاضب: ارفع يدك عنها" ..

رفع مروان يده بطريقة مسرحية، وهو يقول: "لا تغضب ها أنا أرفع يدي  
عنها" ..

بابتسامة صفراء أكمل :- " أنت تعلم أنني لا أستطيع إغضابك .. تلك  
الصفقة التي سترى من خلفها الكثير أنا أيضا سأرى منها كما تعلم "

ضغط على شفته العليا بعصبية .. وهو يسيطر على نفسه بكل قواه لا  
يستطيع أن يخسر صفقة السلاح التي عانى كثيرا حتى يستطيع  
الحصول عليها تحالف مع الشيطان نفسه متمثلا بمروان الحقيير  
وصحبته من الأمريكان ليحصل على ذلك السلاح , لكنه لا يستطيع أن  
يخسرها تغيرت نظراته ،وهو يدرك أنه لا سبيل أمامه ..دوناً عن إرادته  
لابد له أن يجاري الحقيير بحقارته فقال بكل ما يستطيع من برود  
"لا داعي لأن يخسر أحدا أي شيء "

سحب شادن المذهولة من خلفه ليجعلها تتقدم لتقف بينه وبين مروان  
،وهو يقول بكل برود :- " أتريدها .. خذها "

جمدت أعضائها كلها بثوانٍ .. حتى عيونها توقفت عن الرمش حراره  
هائله غمرت جسدها بينما فتحت فمها بصدمة وذهول وصدمة  
لكن مروان قال بغضب وقد تفاعلاً :- " أنت تعلم أنني لا أريدها "

بحقد أكمل :- " لكنني أريدها أن تتعذب .. تحترق .."

كانت شادن توشك على الإغماء من الرعب، تعالت شهقتها وهي تسمع مروان يقول هذا .. كيف له أن يفعل هذا .. هي ابنة عمه .. بحق الله استمر مروان بكلماته المسمومة، وصوته يعلو :- " أريدهم جميعا أن يحترقوا .. كما احترقت أنا"

سحبها من ذراعها بقسوة بعيداً عن محمود الذي تسمر بمكانه بصعوبة بالغة وهو يري مروان يرفع وجهها إليه بينما توترت كل خلية حية بجسد محمود ،ومروان يمسك بشفتها بقسوة بين أصبعيه ... لتهمر دموعها الصامتة علي يديه بخوف وعدم تصديق ورعب .. وهي تغمض عيناها بشدة..لاتريد أن ترى ,,لا تريد !!

همس مروان بحقد :- " أريد أن أرميها للكلاب خلفك .. أريد أن أسمع صراخها يعلو .. " هي وأختها "

\*\*\*\*\*

اقترب منها محمود بهدوء ،وهو يهمس لها ما إن أقنع الحيوان بالخروج ليوافق مروان فجأة بهدوء غريب أقلقه ،لكنه لم يفكر كثيرا فنادر أو شك علي الوصول يدعو الله أن يكون قد وصل وإلا :- هشششش اهدئي لن أؤذيك .."

ابتعدت عنه وهي تنظر له بعيون باكية .. ذاهلة .. يبدو أنه لا يعقل ما يقول!!..

لأن كلامه بالنسبة لها غير مفهوم .. كانت بحالة من عدم التوازن ما جعلها تنظر بصدمة إليه.. ألن يؤذيها ألم يسبق له وفعل ؟؟ صرخت

بصوت هستيري خائف، وهي تتراجع لتلتصق بالحائط أكثر بعيدا عنه  
وكانه أصبح مصدر كل رعبها :- من أنت ..؟" !!

ظهرت الصدمة علي وجهه لثانية .. اقترب منها خطوة لتشهق من جديد،  
وهي تهمس بخوف ورفض :- ابتعد .. لا تقرب مني أكثر"  
مد يديه لها بجرح وصدمة ورجاء :- شادن" !!!..

هزت رأسها برفض هستيري :- لا تنادي اسمي ..أنا لا أعرفك .. ماذا تريد  
مني ..؟" !!

ثم بألم ..بقلب جريح صرخت ،وهي تضع يدها على صدرها كأنها تعاني  
لتتنفس :- لم فعلت هذا ؟!" !

كان يعلم أنها تسأله عما فعله منذ قليل ،وهو لم يكن يملك إجابة ..  
!كيف يشرح لها .. ؟!

كيف يفسر أنه كان.. مضطرا للتعامل معهم لأجل بلده .. وطنه  
فلسطين

كيف يشرح لها أن السبل ضاقت بهم كثيراً ،ولا أحد يشعر بهذا .. أنه لم  
يكن لينتظر ،وهو يرى أهله وأصدقاءه يموتون كل يوم ،وهم جالسون  
كالجبناء بانتظار مساعدات قد تأتي أو لا تأتي اعتراه الغضب .. هو ليس  
مضطرا ليفسر لها كان يعرف منذ رآها أول مرة أنه لا أمل لهما معا، هي  
الغزال الصغير الشارد كاسمها ، وهو..ابتسم بمرارة لاويا شففته بسخرية  
هو ماذا ؟ بطل ؟!

هو أبعد ما يكون عن بطل هو فلسطيني

نعم هو فلسطيني تلك الكلمة التي تلخص كل شيء؛ ولأنه فلسطيني فهو فداء لوطنه، هو و مشاعره وأحلامه ونفسه .ولو اضطر لبيعها للشيطان بشخص مروان الذي سيوفر لهم السلاح للمقاومة من جديد حتى إن عني هذا أن يضحى بها هي

كن الآن.. وهنا !!.. أدرك أنه لا يستطيع، هي اختلقت بعروقه ودمائه .. وأصبح ينبضها كما ينبض فلسطين

ليس لديه ما يخسره أكثر من هذا !!.. لكنه سينقذها ولو عني هذا أن تكرهه لأخر يوم بعمرها، لقد أصبح معتادا على هذا علي البعد الكره الحنين والاشتياق همس :- أنت تعرفين من أنا شادن .. لكنك لا تعرفين ما أكون ..؟! !!

شهقت من جديد ودموعها تنزلق بشكل هستيري على وجنتها .. ترفض أن تصدق أن له صلة بمروان همست برجاء .. بتوسل .. ببيكاء :- أخبرني .. أخبر رني .. أنك كذبت لإنقاذي .. أخبر رني .. أرجو وك .. أن لا صلة لك بمروان ..؟! !!

ارتفع صوتها بصراخ هستيري ،وهي تقرب منه لتضربه بقبضتها الضعيفتين علي صدره بينما لم يتزحزح هو قيد أنملة" أخبرني .. أخبرني .. اكذب علي .. أريدك أن تكذب آآآاه"

أمسك قبضتها الصغيرتين بقسوة بقبضة يده وهو يحاول تهدئتها :-.. ههشششش .. اهدئي .. يجب أن تهدئي"

صرخت فيه وهي تحاول أن تتخلص من قبضته ،وهي تضربه بقبضة يدها بدون هدف محدد ،وهي تريد أن تفك أسرها منه .. صرخت بهستيريا :وكأنها لا تطيق أن يلمسها :-اتركني اتركني"

شعر أنها ليست بوعمها أبدا .. من الرعب الذي شعرت به فكر بسخرية أكيد مرعوبة مما فعل .. لكن لو لم يفعل هذا لكان مصيرها أسوأ مليون مرة .. يجب أن يصدق الجميع حقارته .. التي أصبح هو نفسه يشعر بها .. إلا أنه وهنا .. وأمام عينيها الباكيتين .. لا يستطيع إلا أن يشعر بالألم .. هي فقط !..كان يريد أن يظل طاهرا أمامها .. بطلاً..

هي فقط من جعلته يرغب وبشدة أن يكون أنانيا .. أنانيا لأنه كان يتمتع بحبها الطاهر البريء له بارتباكها أمام عينيهِ بغموضه ، تنهد بيأس وهو ينظر لها .. تبدو كمن فقد عقله من الصدمة .. يرغمه صراخها اليائس أن يتركها !... إلا أنه فعل العكس تماماً إذ قربها إليه بشدة، وهو ينظر لوجهها يريد أن يتأكد من سلامتها .. يريد أن يصبح أنانيا أكثر .. فأحلك لحظات حياتها .. أصبحت تتضمن اسمه

وهي لن تسامحه قطً، وضع جبينه على جبينها بتعب روح وهو يتنهد بحرقه .. سمرتها فجأة وجعلت كل جسدها يركن للهدوء.. هذا القرب منه يؤلمها .. يمزقها .. يجعل نبضاتها ترتجف بشوق .. لكنها مرتبكة .. خائفة .. أغمضت عينيها بيأس، وهي تهز رأسها برفض ضعيف .. بدون تصديق .. كيف يعقل أن يكون محمود .. جزءا من مؤامرة مروان .. كيف يعقل .. وأي صفقة يتحادثان عنها !!.. خالطتها رائحة الريحان التي تعشقها ،وهو علي هذا القرب منها لمهتز جسدها برجفة باكية مرة أخرى .. دون إصدار صوت تلك المرة سوى شهقات خافتة متقطعة حزينة !.. هاله شكلها المرعب بعيونها الحمراء وخطوط الكحل التي سالت لتشكّل لوحة سيربالية علي وجنتيها .. وجهها كان يبدو منتفخا من شدة البكاء والخوف في نفس الوقت .. أغمض عينيهِ.. وكأنه قادر بتلك الحركة البسيطة على محوها من باله .. وكأنها لم تكن مركز كل تفكيره .. وكأنه لم يحاول جاهداً بتلك السنة والسنة الماضية أن يزيحها بكل قوة من

تفكيره .. ليكتشف أنها تترسخ أكثر وأكثر بأعماقه .. بكل هدوء! .. ودون أن تحاول حتي أن تبذل أي جهد.. منذ اللحظة التي رآها بها بعرض البحر .. لا يستطيع للآن أن ينسى ذلك الشعور الحارق .. حين نظرت بعينيهِ وسط الأمواج المتلاطمة .. كانت عيناها بغاية الصفاء .. تلمعان .. بشذرات من الذهب .. ووجهها بغاية البراءة .. شفاتها المرتعشتان قتلته بالضميم لأول مرة بحياته يشعر بذلك شعور أنه أمام امرأة تحمل كل فتنة النساء وبراءتهم بنفس الوقت، وكان يجب أن يبتعد فهو ليس بقاموسه كلمة تسمى

البقاء هو رجل البعاد رجل الرحيل!..

كان يجب عليه أن يتوارى .. ويتركها تحلم بأشائها البسيطة .. الجميلة .. الوردية من بيت وأسرة وحب لذا أنكر أنه من أنقذها .. أنكر وظل ينكر ولو خيروه سيظل ينكر هذا حتى يموت كان يجب أن يعرف أن مروان سيخدعه .. كان يشعر بهذا لكنه تجاهل إحساسه منذ تلك اللحظة التي تجاهل إحساسه بها .. أصابه خلل ما بأحاسيسه لشدة رفضه لهم لم يعد يثق بمؤشر الأحاسيس لديه ، وسمح لمروان بخديعته، قال بصوت مسموع وبنبرة غريبة - : لن أسمح له أن يؤذيك ..!! "

شادن انتحبت أكثر وهي ترتجف وهي تشعر بنفسها تموت كيف .. !!؟؟

أي منطق يتحدث ابتمس محمود بسخرية مريرة لحركتها .. :- ألا تصدقيني ..؟؟

همست بشحوب :- لا أعرف .. لماذا .. لماذا تريدني أن أصدق أنك لن تؤذي ..!! ؟

رفعت عينها لعينيه .. لتتفاجأ بلمحة حنان مناقضة للشراسة التي  
يمسكها بها .. جعلتها تغص بما تريد أن تقول لكنها أكملت مع ذلك ..  
بصوت مبجوح .. متعب .. أجش .. مزقه من الداخل .. قالت:-  
أنت تؤذيني الآن .. بإمساكك بي بتلك الطريقة التي لا تحقق لك .. تؤذيني  
.."

رؤيتها هكذا دمرت قلاعاً بنتها أياد فرعونية ضخمة حول قلبه ... هو  
يظل رجلاً ، ومن أمامه امرأة وليس أي امرأة أنها حلم طال حرمانه منه ..  
.. وما تفعله حفزه الشوق ليكون كغيره من الطبيعيين !!

لا يمكن أن أكون لها ... لا يمكن أن تكون لي لا يمكن أن يجمعنا شيء

هذا ما ظل يردده على نفسه منذ رآها بلا فائده فكلما ابتعد عنها كان  
يقترّب أكثر !.. لم يكن يوماً ممن امتلكوا أحلاماً طبيعية .. بشرية ..  
واقعية .. ممكنة التحقيق !.. لم يكن لديه سوى حلم واحد منذ وعى علي  
تلك الحياة منذ فقد رائحة الوطن.. عبق الوطن منذ وعى أن ذلك الشوق  
الذي يسكنه .. تلك الرائحة التي تغمره بليل الشتاء البارد.. هي رائحة  
الوطن البعيد .. القريب !.. تلك الرائحة التي تحطم جدران صدره شوقاً  
إليها هي لحفنة من تراب مغموس بدماء أهله !.. أبوه وعمه وجدده .. وظل  
الحلم يلامس سماءه لينتهي به الأمر تائهاً بين كومة من السحب ..  
العواصف .. وأنصاف الحلول .. فلم يجد منها سبيلاً للهرب! ظل ما تمناه  
معلقاً على علو ، علو لا يظن بأنه سيمسه يوماً فهو لا يود قطرة غيث

كلا

هو يريد الغيث .. كله من عند الله

لكنها هي من أتت على غفلة منه ومن أحلامه التي تناساها .. أتت على  
غفلة من قلبه لتسكنه مباشرة وتترعب على عرشه فكر بسخرية مريرة ..

كان يعلم أنه سيموت .. كان يحيا بانتظار ذلك الموت .. ويرحب به .. لكنه لم يفكر في يوم من الأيام أنه سيموت .. على شفا حب .. شعور موجه تغلغل بشرايينه.. موجه .. هي لحظة .. خارج الزمن ..

تلاقت بها عيناها .. وبينهما أناملها التي تتشبث به بطريقة موجهة لقلبه .. أجبرته على اتخاذ القرار .. لم يكن أمامه سوى طريقة واحدة لينقذها .. وينقذ شحنة السلاح طريقة واحدة فقط ! ..

اقترب بوجهه .. اقترب كثيراً بينما توقفت هي عن الصراخ .. بتربق ورعب وتشوش .. وشعور قاتل بخيانة نفسها لها .. اقترب حتى أن أنفاسه التي لفحت وجهها .. جعلتها تغمض عينيها ، بينما مارست دموعها مهنتها منذ الأزل بالانهيار .. لتشهق وكل جسدها يرتعش حين أتت همسته الخافتة .. الأبهة . الحزينة للغاية، وهو همس

"أحبك .. تذكري .. هذا !!!"

فتحت عيناها فجأة، وقد سكن جسدها تماماً عن الحركة لتفاجأ به ،وقد اختفى من أمامها

حتاماً أتعثر بالذاكرة والنسيان معاً،

على أعتاب لقاء له طعم الوداع؟

وفراق له طعم الموت؟

\*\*\*\*\*

عم الهدوء والصمت المكان بهذا الوقت المتأخر .. بينما أخذت زخات المطر تطرق على النوافذ بشدة جعلت قاهرة تزوي أكثر بحضن أسر ليشدد

من احتضانه لها بشوق عميق .. كأنه يريد أن يدخلها بقفصه الصدري ..  
عله يهدأ، ويكف عن هذا الخفقان المزعج له لا تدري كم بقيت علي  
تلك الحالة من البكاء الصامت على صدره .. لكنها تدرك تماما كم  
احتوتها ذراعاه. بحنان صامت كان يزيد من بكائه كلما شعرت به .. وكأنها  
تفرغ بكاء العمر كله علي صدره.. كانت أنثى .. وتشعر بالضعف ولا تمنع  
أبدا بأن يراها بهذا الضعف!.. كان دفاء صدره مغرباً .. ضربات قلبه  
تحت أذنيها .. قوية مضطربة تدفع إلى النوم والخمول تدفع إلى الراحة،  
مد أسر يديه نحو وجهها بحركة بطيئة مرورا بخصلات شعرها التي  
انتثرت علي كفيه .. وعبيرهما يطغي على حواسه مشتتاً تركيزه .. ليحتضن  
تلك الخصلات الحريرية بين أنامله .. بلهفة .. دفعت بوجيب قلبه ليعلو ..  
القرب منها عذاب لكنه عذاب لذيذ .. عذاب اشتاق له منذ تركها البارحة  
.. أكان ما حدث بينهما البارحة فقط .. كانت بين ذراعيه ملكه البارحة  
فقط بدا ما حدث البارحة كحلم .. عادت أنامله لصفحة وجهها المرمرية  
ليأسر وجنتها بين قبضتيه الدافئتين بلطف ندر أن يظهره هذا الجلمود  
البشري .. ليمسح دمعاتها الندية بركة غير معهودة إلا نادراً همس بنبرة  
ناعمة خافتة .. شجية :- كفى حبيبي .. كفى بكاءاً"

توقفت للحظة أقال حبيبي.

!.توقفت دموعها لثانية واحدة فقط لتعاود الانهمار بشدة وسرعة،  
وشهيقها يعلو تلك المرة .. ليتوجع هو .. يعلم أنه قهرها! .. مد يمينه حول  
كتفها يجذبها أكثر لأحضانه .. ندت من بين شفتمها آهة غير مكتملة ..  
انتفض لها كله! .. لم تصدق منه حنواً ، ولم يتوقع منها خضوعاً جمدت  
أحاسيسه بأكملها وارتعد قلبه لانفجار هز كيانه ! .. غمر أنفه بخصلات  
شعرها .. لتلفح صدره أنفاسها الحارة .. بشهقات يببوا أنها ترفض إلا أن  
تعذبه بها تضخم القلب حتي أوشك على الانفجار رفع وجهها إليه بأصابع

دافئة .. كم تمنى رؤية وجهها .. ملامحها .. عينها .. لكن تلك القطرات التي كانت تلامس أنامله كانت كافية ليشعر بها . انحنى نحوها وتعابير وجهه مخفية عنها بسبب غمامة الدموع التي ملأت عينها .. شهقت برجفة .. فلم تكن تعابيره مخفية بسبب الدموع بل بسبب ذلك الشاش الذي يخفي عينيه عنها .. وبكاء أقرب للطفولة فكرت .. أنها تحب عينيه .. رغم شراستهما .. عنفهما .. مكرهما لكنها تحبهما! .. غصت بدمعة أخرى انزلقت على خدها بمهارة ليلتقطهما بين شفثيه .. برقة .. بشغف .. انتقلت شفثاه من وجنتها إلى أنفها إلى عينها .. يقبلهما بشوق وتأنٍ، همس بأنفاس حارة ونبرة خشنة. وشفثاه علي أهدابها الندية دون قدرة لديه للمقاومة بعد الآن .. فقد دكت حصون قلبه .. حصنا .. حصنا .. حتي خوفه من فقدانها أصبح أقل من خوفه ألا تدرك وتعرف أنه يحبها ،هي تستحق أن تعرف كم يحبها.. يحبها ياالله كم يحبها "آسف حبيبي .."

توترت نبضاته وبكاؤها يزداد .. ظهرت الحيرة على ملامحه فبكاؤها يمزقه ..ياالله .. هو لا يعرف كيف يجعلها تتوقف عن البكاء .. قاهرته تبكي .. وهو السبب .. هو الأحمق .. الغبي .. المغرور .. المتوقع ذاتيا السبب .. لو فقط تكف عن البكاء .. قال بتسرع وقلق :- أنا أحمق"

ووسط بكائها ارتعشت شفثاها بالضحك ..لم تكن لتتخيل في أبعد أحلامها أن ينعت أسر نفسه بتلك الصفة التي وجدتها مضحكة .. هزت رأسها بهمهمة موافقة جعلته يضحك بعمق رجولي وقد استراح نبضه الثائر لأنه استطاع أن يجعلها تتوقف عن البكاء ،ولو قليلاً قال بنبرة ماكرة وحنان جعل أطرافها ترتعش :- إذًا هذا ما يكلفني جعلك تتوقفين عن البكاء

!.لم تجبه لكنها احتمت بالصمت بين جدران ذراعيه .. لم تكن لتفارقهما  
أبداً بعد الآن .وقد وجدت بهما أمانها لم تكن لتفارقهما حتى ولو طلب  
منها ذلك ..لم يعد لكبريائها معنى .. هنا بين ذراعيه .. ولا بجوار دقات  
صدره .. لم يعد للبعد سبباً ، وهي تسمعه يحادثها بهذا الحنان وتلك  
النبرة السائلة المغوية .. هي تريده لها .. لا تهتم بالماضي أو الحاضر أو حتى  
المستقبل .. حتى ببروده .. إغاظته لها ... غروره .. تلاعبه .. تحبه .. لا  
تدري لم هو دون أبناء آدم من اخترق جدران القلب واحتله بعساكره التي  
تشابهه قسوة وطغيانا

أنا أحبك

همس أسر بخشونة

\*\*\*\*\*

شعرت هدى بثقل فوق أضلاعها .. أخذت تتأوه بتعب دون قدرة لديها  
على تحريك أطرافها بدا أن الخدر أصاب كامل جسدها .. كانت تشعر  
بضيق تنفس يخالطه رائحة كريهة نفاذة .. هي تعرف تلك الرائحة جيداً..  
لطالما خالطت أنفاسها قديماً ..حين كانت عند مروا  
انتفضت فجأة لتتأوه بألم ورأسها يطرق بشدة .. حاولت تحريك أطرافها  
لتعي أنها مقيدة .. وأن الخدر الذي أصابها ما هو إلا نتيجة القيود  
القاسية علي معصمها وقدميها.. فجأة شعرت بحركة وصوت خشن  
تعرفه جيداً يقول بحقد:- أخيراً أفقتي !؟

أجزاء من الثانية كانت كفيلا أن تذكرها بكل ما حدث..  
رفعت بصرها إليه وكل مخاوفها تتجسد أمامها بالضوء الشاحب الذي  
يبدو مصراً علي إخافتها به .. هي هي أساليبه ... لاتزال كما هي .. لا يزال هو

كما هو.. أو أفضح .. تلك النظرة بعينيه .. لم يسبق أن رأتها من قبل فاقت كل ما رأته من قبل قديما كان هناك .. وحشية .. تعذيب وضعف أما الآن فهي ترى

الحقد

الغضب

الجنون

نهض من مقعده الذي ظل جالساً عليه لمدة طويلة بانتظارها لتصحو .. اقترب بغلٍ، وهو ينحني عليها .. ليهمس بسخرية شريرة .. أنفاسه الكريمة بمحاذاة وجهها -: ظننت أنك تخلصت مني .. ألم أخبرك سابقاً أن لا خلاص لك مني إلا بالموت

ارتجفت أكثر و شعرت بقلبيها يغوص في بئر عميق .. لا تعرف له قرار أين نادر؟!

تساءل قلبها بفرع .. كيف سمح بهذا أن يحدث لها .. ألم يعدها ألاصيبها مكروه أبداً وهو معه إذن أين هو .. تسمرت نظراتها بارتعاش مرعوب عليه وعلي ملامحه الكريمة .. الدموع تحارب لتتطفر من عينيها .. لكنها لا تعلم من أين انبتق .. هدوء مذهل .. ويقين عميق بأنه لا يستطيع أذيتها مرة أخرى إلا لو سمحت له بهذا .. خاطبت ذلك الجزء المرتعب منها بصبر أنا لم أعد تلك الطفلة التي اعتاد إخافتها .. تلك الطفلة رحلت .. ولن تعود مجدداً .. يبريق الدموع المحبوسة بعينها .. بإصرار وقوة قالت وكل حروفها تنطق بالكراهة له

"إن شاء الله .. موتك قريب أو تعلم علي يد من؟!!!"

بكبريات وشموخ .. بقوة وإصرار .. بعينين تبرقان بالحب وعدم الخوف  
همست: - " على يد نادر "

جذبها من شعرها بقسوة جعلتها تطلق صرخة لا إرادية وهو يصرخ  
بجنون :- " إن كان قد اقترب منك سأقتلك .. سأقتلك بيدي هاتين "  
مد يديه ليطبق علي حنجرتها بقوة ونظرة مجنونة مذهولة بعينه ..  
شعرت بأنفاسها تضيق .. ببطء .. ببطء رغما عنها بان الذعر بعينها  
وهي تراه يقترب منها ينحني عليها والرغبة العمياء والشر و الجنون  
يطفحان من عينيه ويداه ترتخيان فجأة عن عنقها لتشهق بصعوبة  
طلبا لذرات الهواء، وهي تهمس بأشمتاز :- " مجنون "

بيد ترتعش بدأ يلامسها برغبة .. دفعته بكل جسدها ليرجف .. بأشمتاز  
ورعب .. وهو يقول بفحيح وضحكة كريهة :- " نعم مجنون .. لكنك لي  
ولن تكوني لأحد غيري .. "

وكأنما برق في ذهنه خاطر إذ لمعت عيناه بالشر وهو يعاود القبض علي  
حنجرتها بأنامله القاسية مرة أخرى قائلا بشر :- " هل لمسك .. نادر .. هل  
أصبحت له "

وعاودتها نفس الرغبة القديمة بالإغماء .. تعرفها جيدا حين يحوطها  
الظلام .. حين يتشبع فمها بذلك الطعم المعدني البارد .. بتلك الرغبة في  
التقيوء والبرودة تغمر أطرافها .. لكنها .. تلك المرة أصرت علي المقاومة ..  
كان هناك ما يدفعها للمقاومة .. لن تسمح له بأخذها أبدا، ولو عني هذا  
موتها .

هي تعرف أنه جبان .. جبان .. كالضباع لا يقترب من فريسته حية أبداً ..  
لذا هي لن تدعه ينتصر عليها بإغمائها .. كانت تقاوم الظلام المحيط بها

بشدة، واسم نادر يتردد علي لسانها كتعويذة تقمها الشرور إلا أن ملامساته باتت أكثر خشونة أكثر خدشا لروحها ..كانت تعاني من صعوبة بالتنفس بدأت تشهق ..تريد أن تتنفس ..أخذت تخاطب نفسها بجنون لن تسمح لنفسها بالإغماء .. تريد أن تتنفس ..اتسعت عيناها وهي تتوسل الهواء أن يدخل لرتبتها .. إلا أنه بدا بعالم آخر، وهو يهز عنقها بين قبضتيه بجنون وهو يصرخ :-

"أجيبيني"

صرخ فجأة وهو يشد شعرها بقسوة :-عرف الحقيقة .. أيتها العاهرة ..أليس كذلك ؟! أجيبي "

لم تكن تعرف قصده .. عرف ماذا؟ لكنها كانت قد وصلت لمرحلة من اللامبالاة واليأس صرخت تستفزه أكثر بغضب وكراهية، وهي تقول :-

" نعم لمستي .. وأكثر ..أصبحت له، زوجته "

لم تشعر إلا بصفعة قاتلة على وجهها ،وهو يصرخ بجنون :- إذاً عرف .. عرف ما جاهدت لإخفائه "

تحول صراخه لبكاء بائس ممزق، وهو يرفع المسدس بيد ترتعش يطرق بها علي رأسه :- عرف أنك لازلت بريئة .. أنني لم ألمسك "

ماذا؟!!

تكورت الكلمة على شفيتها بذهول وصدمة كيف هذا ؟! هو مجنون .. لم يلمسها .. كيف هذا ؟! وكل هذا العذاب .. وكل تلك المعاناه !!

لكن بدأ قلبها ينبض بصخب وجنون وهي تفكر، بينما كان هو يهذي بكلام كثير غير مفهوم

تلك المرة الأولى، هي لم تذهب للمستشفى .. والدها رفض خوفا من الفضيحة !! تذكر أن معدتها كانت تؤلمها .. كانت تنتظر مجيء الدورة لكن بعد ما تهجم عليها .. نسيت ذلك تماما .. المرات التي تلت ذلك .. كان لا يقترب منها إلا ويغمر عليها .. تصحو مشوشة .. عارية .. وطبيعي أن تعتقد أنه انتهكها .. لكن ولا مرة اقترب منها وهي بكامل وعيها .. تلك المرة الوحيدة حين رفضت بقوة وإصرار أن يغمر عليها .. تتذكر .. اتسعت عيناها بجنون .. لفظها ولم يكمل انتهاكه لها معقول .. أياكون الله رحيماً بها لهذا الحد .. نظرت إليه بذهول وهي لازالت مكومة أرضاً .. أيعقل هذا .. كيف ولماذا..؟

لكن يجب ان تجاربه يجب أن تعلم .. ضغطت أكثر علي جرحه، وهي تقول غير آبهة إن قتلها حتى :- نعم .. أصبحت زوجته وكم كانت سعادته حين اكتشف أنني لازلت عذراء .. أتدرى كم سخرنا منك "

صرخ بجنون :- "اخربي اخربي أيتها الحقيرة سأقتلك وأقتله .. سأدمركم جميعاً أنتم سبب ما أنا فيه .. بل هو نادر الحقيرة .. الذي فضل أن ينقذ صديقه من غياهب السجن ويتركني أنا أتعفن هناك .. أتدركين ما فعلو بي .. أتدركين كيف عذبوني .. انتهكوني .. حتي أصبحت عاجزاً .. أتدركين .. ؟ لكن كلا وكيف لك أن تعلمي كل ما كان يهكم هو أخوك الغالي .. كل ما كان يهكم دائما هو أسر .. نادر أنقذ أسر وأنت ضحيت بنفسك لأجل عيون أسر "

صرخ بجنون بينما بدا وجهه شاحباً للغاية :- إذا فليمت أسر بحسرتة حين أرسل له جثة أختيه وزوجته بعدهما قريبا جدا .. جدا "

شبهت وهي تراه يرفع مسدسه بجنون مصوباً إياه إلى رأسها

سكنت تماما وهي ترى فوهة مسدسه مصوبة لوجهها .. ولأول مرة في حياتها لم تكن تشعر بالخوف .. تدرك أنها ثواني فقط وتنطلق تلك الرصاصة وتذهب بأنفاسها الأخيرة لكنها ابتسمت .. ابتسامة ملؤها الاطمئنان .. لم تكن ترى سوي وجه نادر .. ابتسامته .. عينيه مما دفع براحة عجيبة لصدرها .. نطقت الشهادة وأغمضت عينها ببطء .. وانتظرت لكن تلك الرصاصة لم تنطلق .. فتحت عينها ببطء لتجد مروان قد انهار علي الأرض .. وتعابير وجهه ذاهلة .. شاردة .. وكأنه فقد كل قوته فجأة لازال المسدس بيده لكن يده كانت تهتز .. حاولت التحرك ببطء وهدوء قد تستطيع الهرب لكنه انتبه لها .. خرج صوته ضعيفا مهزوزا وهو يسألها بعذاب :- لماذا هدى لماذا لم تستطيعي أن تحبيني .. أنا أحبيتك "

كانت تشعر بالاشمئزاز منه .. كيف يطالبها بأن تحبه بعدما أذاقها كل هذا العذاب حتي لو لم يكن لمسها لا يشفع له ... إلا أنها لم تتفوه بهذا ، بل قالت بهدوء :- اتركني أرحل أنا وأختي وقد أسامحك علي ما فعلته بنا

عادت النظرات الحاقدة المجنونة لعينيه وهو يصرخ :- أبدا .. أنت لي .. لي للأبد تذكري هذا !! إن لم أستطع جعلك لي فلن أتركك له "

ضحكت ساخرة منه وهي تضغط علي نقاط ضعفه قائلة :- لكنني سبق وأصبحت له "

اصمتي

نهض وهو يرفع مسدسه مرة أخرى، وتلك المرة نيته واضحة .. جذب صمام الأمان وانطلقت الرصاصة

\*\*\*\*\*

ضغط نادر على دواسة البزين حتى أخذت السيارة تزار ..تصلبت يداه علي المقود بقوة وحزم بينما اعتلت وجهه نظرة تنم عن التصميم والغضب .. كان يدرك أن كل ثانية .. كل لحظة .. كل رفة جفن.. أو نفس يتنفسه يعني ضياعها منه !!استعان بكل معارفه كل صلاته وكل من يدينون له بمعروف اختار مروان منطقة جبلية وعرة لم يكن من السهل الوصول إليها دون أن يراه حراسه المنتشرون في كل مكان .. توقفت السيارة ببطء .. لكنه لم يتحرك من مكانه .. كان قلبه ينبض بسرعة قصوى .. تضخم حتى أوشك على الاختناق .. ليدرك أن هذا هو شعور الخوف

يكاد أن يتذوق ذلك الخوف حياً رغم كل ما رأي وعاصر وحدث له لم يشعر بالخوف بتاتاً .. لم يشعر بالخوف حتى رآها .. حتي أحبها ..وترافق حبا مع بداية ظهور خوفه .. احتار كثيراً كيف يمكن أن يكون الحب مرادفا للخوف .. الخوف من الفقد .. الخوف من الحزن .. الخوف من الاحتياج .. لكنه كان خوفاً لذيذاً .. حين يرتبط ذلك الخوف باسمها .. تتقاذف نبضات قلبه .. وتتصارع سرايين دمائه .. للاطمئنان عليها .. أخذ عدة أنفاس وهو يقبض علي المقود بقسوة يهدئ من خفقات قلبه الثائرة .. مال برأسه القوي الفخور يطرقها مرة اثنتين ثلاث يحاول أن يجلي تفكيره أخذ نفساً عميقاً قوياً مليءً بالتصميم والشراسة استل سلاحه تأكد أنه ممتلئ .. ثم فتح الباب بخطوات قوية ثابتة لا تدل أبداً على توتره الداخلي ... ما إن خطا عدة خطوات حتى ظهر له المخزن القديم من بعيد علي ربوة عالية .. لا يحجبه عنها سوى التكتلات الثلجية .. كان الجبل أبيض بطريقة تناقض معها نادر بملابسه السوداء .. رفع عينيه إلى السماء بمناجاة صامتة

يارب

تحرك بخطوات سريعة حذرة حتي اقترب من المدخل الخلفي للمخزن ، وهو يحصي عدد الحرس المنتشرين في كل مكان .. مدججين بالسلاح واحد .. اثنين .. سبعة عند الباب الخلفي برقت عيناه بالصرامة والإصرار يستطيع القضاء عليهم بدون أدني صعوبة تحرك برشاقة ومهارة .. ليتوقف فجأه حين أتى صوت طلقات من الداخل فكر ، يبدو أن محمود قرر البدء دون انتظاره بكل عزم .. رفع السلاح .. صوب .. وبدأت الطلقات تنتشر في كل مكان تخضبت الثلوج باللون الأحمر القاني .. بعد معمعة من الطلقات .. عم السكون فجأة .. كان قد أصاب خمسة بمقتل ، بينما اختفى اثنان بالداخل ربما لمساعدة زملائهم أخيراً أصبح بالداخل كان المكان هادئاً بطريقة غريبة بدأ يفتش الغرف .. غرفة غرفة .. لا أثر لأحد سوى جثث متناثرة هنا وهناك .. لكن لا وجود لهدي أو شادن أو محمود ، ما جعله يتنفس الصعداء .. كان المكان معتما قليلا .. لا يوجد سوى الضوء الشاحب الآتي من الخارج .. كان يفتش المكان بحذر حتي وصل لأخر غرفة .. توقف عندها ونبضات قلبه تتسابق فتح الباب بحذر ليجد شادن .. كانت تبكي وهي مكومة بطرف الغرفة المظلمة .. تقدم منها بسرعة وهمس :- " شادن أنت بخير "

إلا أنها لم تتوقف عن هز جسدها للأمام والخلف والنشيج .. لم يكن لديه وقت يضيعه سأل بسرعة وصرامة :- " أين هدى ..!!؟ "

أيضا لا رد يصله سوى نشيجها واهتزاز كتفها بالبكاء .. نهض وهو يحذرهما :- ابق هنا لا تتحركي لأي مكان

خرج من الغرفة ليفاجأ بطلقة آتية من الأسفل .. القبو .. كيف لم ينتبه له .. نزل الدرجات بسرعة شاهرا مسدسه أمامه بحزم وقسوة وهو ينادي بعلو صوته :- هدى .. أين أنت ..!؟

أصغى السمع إلا أنه لا صوت صدر ليعاود النداء مرة أخرى :- هدى أين أنت ..!!؟

ليأتي صوت محمود متعباً :- " هنا.. نادر "

اتجه نادر إلى مصدر الصوت بحذر والرعب يعيث فسادا بأوردته .. لما لا تجيب هدى .. لما يبدو صوت محمود متعبا .. ياالله ودون أن يضيع ثانية واحدة فتح الباب بحذره المعتاد .. ليفاجأ بالمنظر أمامه .. كانت هدى شاحبة الوجه .. تلمع في عينيها الدموع .. وشفثاها ترتعشان.. لكن لم يكن هذا ما جعله يقف لأقل من الثانية ذاهلا بل كانت جثة مروان المخرجة بالدماء والسلاح الذي لا يزال بيدها .. بينما كان محمود يستند على الحائط بإعياء وهو يهمس ..: هل شادن بخير...؟!

obeikandi.com

obeikandi.com

الختام

## اليوم

فرحها...زفافها... تلونت الشوارع بالزينات .. وصدحت الأبواق بالعزف ..عزف منفرد ومجتمع...ووقفت هي شامخة برأسها...كما كانت دوماً .. فهي القاهرة .. بكل جمالها وروعتها وسحرها ،تشعر بالسعادة أكيد التفتت تتجه إلى النافذة لتتأمل القاهرة بالليل ... لظالما عشقت القاهرة بكل أحوالها ليلا كان أو نهارا .. لكن القاهرة بالليل تختلف .. كأنها قطعة من جنة الله بأرضه تشع كالأماس تشع بالأضواء .. كما لو كانت عروس والليلة وكل ليلة هي حفل زفافها ،كيف لا تعشق القاهرة وهي قاهرة ،لاتدري لما تأخر .. لن يكون أسر إن لم يفعل شيئا غريبا حتى في يوم زفافه ،اتسعت ابتسامتها .. زفافه الذي أصر عليه للمرة الثانية .. حين همس لها قائلا :- حرمتي من رؤيتك بالأبيض لكنني لن أتنازل عنه حال عودتنا للقاهرة سنقيم أكبر زفاف شهدته مصر .. سيتحدث عنه الجميع لأسابيع بل لشهور "

ووفي بوعده .. أسر ..كان اسمه وتعدى الاسم ليكون شخصه أسرها من أول وهلة، لكنها قاومت ارتسمت بسمه شفافة علي شفيتها القرمزيتين المغربيتين وهي تنطق حروف اسمه

أسر.. كابتن أسر بدر الدين ..كابتن طيار

ارتفع جانب شفيتها بابتسامه لتظهر تلك الغمازة الوحيدة التي يعشقها .. أسر كم تحبه .. كان صعبا عليها الاعتراف بحبه ! دخلت عليها شذى، وهي تبتسم بتألق تأملت قاهرة بحب أخوي صادق .. كان جمال قاهرة المميز وشخصيتها القيادية الفريدة، كان سببا في دفع العديد من العرسان للهرب من طريقها حتي أتى أسرالذي اعتبرها تحديا يجب الفوز به فأختها

رائعة الحسن والجمال تشبه الأميرة في قصة الشاطر حسن .. ذات جبين  
وضاء ووجه ذي بشرة مرمرية مشربة بحمرة رائعة بخديها يعلوهما عينان  
بلون العقيق الأسود الفاحم السواد وحاجبان من نفس اللون مرسومان  
بعناية إلهية ... وشعر أسود طويل يرتاح علي ظهرها بطبقات متعددة ذو  
نعومة وكثافة طبيعية تدهش المرء ، وتجعله يردد بين وهلة وأخرى قائلا:-  
" سبحان الله ... ما شاء الله ... والله أكبر "

وهو ما فعلته أول ما خطت بقدميها داخل الغرفة والابتسامه تشع من  
وجهها فرحا :- " ما شاء الله حبيبي ربي يحرسك من العين هيا عزيزتي  
فعرسك ينتظرك بالأسفل "

قالت قاهرة بقلق :- أين أبي

ها أنا ذا حبيبي

اتسعت ابتسامتها ، وهي تتقدم من أبيها بفستانها الأبيض الرائع والسعادة  
تغمر روحها سلمته يدها .. وتقدمتهم شذى لتفتح الباب

\*\*\*\*\*

وقفت شادن تنظر للمنظر البديع بالخارج .. لقد جعل أسر الفيلا كأنها  
مضائة بأكملها .. حتي الشارع الرئيسي .. تهدت بشرود ، وهي تحتمي بذلك  
الركن المظلم من الشرفة بعيدا عن الصخب المرح الدائر بالداخل .. بعد  
تلك الليلة اختفي محمود .. كانت الأحداث مشوشة في ذهنها .. ما بين  
إصابة محمود .. مقتل مروان بيد هدى .. وأخيرا قدوم الدعم لم تستطع  
أن تقترب منه كان المسعفون يعالجون جرحه بينما اقتربت منها مسعفة  
لتعالج خدوشها ، وتطمئن على مؤشراتها الحيوية .. خروج نادر وهو يدعم  
هدى الداهلة .. هرولت إليها لتحتضنها ، وكل رعب الساعات السابقة

يعاودها .. أخذت تبكي .. وتبكي إلا أن هدى ولمفاجئتها كانت هادئة للغاية  
، بل وأخذت تهدئها وتطمئنها إن الخطر قد زال نهائيا

بعدها .. اختفى محمود

وكانه لم يكن موجودا .. رفض الجميع الحديث عنه كما لو كان باتفاق  
مسبق ، حتى نادر حين تجرأت وسألته منذ بضعة أيام قال لها بغموض :-  
لقد طلب مني أن أخبرك ألا تبحثي عنه

ابتسمت .. ألا تبحث عنه !! وهل تستطيع فعل ذلك!!

تهددت بشجن حين أتى صوت هدى البشوش ، وهي تخاطبها :- شادن  
حبيبتي هيا فقاهرة علي وشك الظهور .. التفتت لها شادن تنظر إلى هدى  
أخرى ، هدى جديدة تماما ، كانت السعادة تشع من كل تقاطيع وجهها ..  
السعادة والراحة والاطمئنان .. وكيف لا وقد حصلت أخيرا علي سعادتها  
بجوار نادر ابتسمت وهي تتقدم منها متأبطه ذراعها قائلة :- نعم أختي لا  
نريد أن يفوتنا مشهد القاهرة

ربتت هدى علي يدي شادن وهي تسألها :- هل أنهيت جميع أوراق سفرك  
.. حقيبتك .. ملابسك "

أجابت شادن بابتسامة مطمئنة :- نعم هدى لا تقلقي

اعترضت هدى بنزق :- لكنني قلقة بالفعل .. لن أسالك لما اخترت  
فلسطين تحديدا لتصبحي مراسلة إخبارية بها .. فكلنا نعلم السبب لكنني  
أحذرك يجب أن تنتبهي لنفسك "

ابتسمت شادن والأمل يرتفع بداخلها .. ستجده وحين تجده لن تتركه أبدا .. سترى أنها على قدر المسئولية .. إنها لم تعد تلك الطفلة الصغيرة الحمقاء .. إنها تدرك كل شرو العالم وتريد مواجهتها .. معه معه هو فقط .

\*\*\*\*\*

ما إن ظهرت علي أولى درجات السلم حتي توقف قلبه تماما .. يا الله لن يكف أبدا عن الذهول لمدي جمالها .. براءتها وسحرها .. كانت دقائق قلبه تتعالي مع كل خطوة تخطوها في طريقها إليه بينما ثبتت عينيها في عينيه برسالة واضحة صريحة تشي بحبها ، ما إن وصلت إليه حتي مد يده ليتناول يدها هامسا :-أخيرا حبيبتي

كانت ابتسامتها تتسع وتتسع ... تلك الكلمة التي لن تمل أبدا من سماعها .. نظرت له والحب بعينها ما إن اقترب منها للغاية ونظرة خبيثة في عينيه .. أدركت ما سيفعل المجنون .. سيقبلها أمام الجميع .. يا إلهي تشعر بأنها ستنفجر من شدة الإحراج

حين أتى صوت هدى الضاحك بسعادة، وهي تهتف بأخيها

أسر بالله عليك يكفي .. ألا ترى كيف أصبح وجه قاهرة

جذبتة من ذراعه للخلف وسط موجة من الضحك والسعادة التي طغت علي الجميع .. جذب أسر قاهرة إلى ذراعه يحتضنها، وهو يقول بوقاحة مرحة :- إنها زوجتي وأنا حر لأفعل ما أشاء

شهقت قاهرة بخجل ولكزته بكوعها لينطلق ضاحكا بصخب شاركه فيه .. نادر وأبوها وتوفيق زوج أختها ..

## لمحة لما بعد النهاية

أخذت تعدو وأنفاسها تتعالى تعدو..... وتعدو..... تعدو .....حتى انقطعت أنفاسها ، ضايقها اللثام علي وجهها وشعرت بالهواء ثقيلًا ساخنا مغبرا لكنها لم تتوقف ولو للحظة عن العدو ,كانت تدرك أن حياتها تتوقف علي ذلك ,إن توقفت ولو للحظة ,توقفت الأنفاس في صدرها معها لكنها لم تضع في حسابها أن تضيق عليها الدنيا بما رحبت إذ وجدت نفسها وقد حوصرت بزقاق ضيق يسده الجنود الاسرائيليون من كافة الخارج!! فكرت بسخرية لا تناسب الموقف " إلا إذا .....!! كما فكرت ..إلا إذا احتسبت الجدران المتهدمة للمنازل المهجورة التي كانت يوما ما .. بيوت عامرة بأهلها .. بأفراحهم وأحزانهم .. قبل أن تطأها يد الاحتلال الغاشمة تلفتت خلفها يمنا ويسرة والسخرية السوداء المريعة تعاودها .. في تلك اللحظة تذكرته؟! تذكرت محمود بجيئنه المليء بخطوط التفكير العميقة وعينيه السوداوتين العميقتين كبئر بلا قرار.. ووجهه الدائم العبوس لاح بطيفها تلك العينان .. عينان عميقة .. كأغوار غابة سوداء مخيفة ..حاددة كالصقر..تبث رعبا بلا قصد...يظللها حاجبان كالقوس مشذبة بعناية إلهية ..اقتربت الخطوات أكثر فأكثر حتى ضاق عليها الخناق وأدركت أنها هالكة لا محالة اشتعل حسها الدرامي الساخروهي تفكر لو قدر لها أن تكتب تلك الكلمات في رواية ما أو كخبر صحفي ما

ماذا كانت لتكتب لمعت بسمه علي ثغرها تناقض الموقف البشع الموجودة به فكرت كانت ستكتب :- "هنا بفلسطين ..هنا ..تموت فتاة عربية علي أرض عربية في زمن لم يعد زمننا للعرب ..!!"

ابتسمت بأسى و تمنت ولو للحظة تمنت بشدة أمنية طفولية عليها تنقذها من هول ما يوشك علي الحدوث في تلك اللحظة تمنت رؤيته فارسا عربيا

يأتي لإنقاذها؛ فارسا اشتاقت له وأتت سعيا خلفه وخلف قضيبته، فارسا أصبحت علي يقين من أنه ربما كان حلما أو أسطورة خلقها خيالها الغارق في السحاب رفعت رأسها بإباء وشمم وهي تنفض عنها التمنيات صحيح أنها كانت يوما حاملة.... لكنها لم تعد كذلك؟! صحيح أنه كان هناك وقت لم تتوقف عن التمني..... لكن هذا الزمن ولي..!!!

وإن كانت ستموت فلتمت بكرامة فلتمت بما يليق بها أن تموت بما يليق بكل امرأة عربية أن تموت، أخذ الجنود الإسرائيليون يقتربون من الجهتين ما جعلها تتوقف وتثبت مكانها أخذت أنفاسها تهسهس ببطء شديد، وهي تنتظر اقترابهم منها لأقصى درجة ارتفعت نبضات قلبها حتى صمت أذنيها أخذت تردد الشهادة بلسانها، لكنها لم تغمض عينيها ولو لبرهة، بل برقت عيناها بالكره والبغضاء الشديدة لهم في حين أنهم مع اقترابهم اكثر واكثر منها اخذت نظراتهم الشامتة المنتصرة الخبيثة تتسع على أفواههم وقد أدركوا كما أدركت هي أنها النهاية، لكنها قبضت بيدها علي السلاح الوحيد الذي كانت تحمله معها والتي ستحارب به وإن كان هذا آخر ما تفعله في حياتها أصبحوا علي قيد خطوات بسيطة منها حين رفعت يدها فجأة بصورة أثارت الذعر في قلوبهم الوجلة من الأساس، وهم يظنونها انتحارية أوقعتهم في فخ ما لكن سرعان ما تعالت ضحكاتهم، وهم يعاودون الاقتراب منها حينما ظهر ما بيدها حجارة صغيرة بل حجر واحد صغير في الحقيقة يا للسخرية حجر واحد كان قد بقي بيدها وهي تعدو!!! دفعها أحدهم علي الحائط الصغير ما جعلها ترتطم به بقوة قذفته بالحجر ما أصاب عينه فصرخ لاعنا إياها وهو ما أثار حنق زملائه فتكالبوا عليها كحفنه من الذئاب الجائعين خانتها شجاعتها فجأة لتغمض عينيها برعب لم تستطع السيطرة عليه أغمضت عينيها ... ليتراءى لها مرة ثانية

محمود

بطيفه العابس , ابتسمت نصف ابتسامة، وقلبي ينبض لذكرى بعيدة،  
كانت قد دفعتها جانبا حين دوى صوت طلقات فجأة علي مقربة شديدة  
منها، فتحت عينيها لتجد النظرات الجاحظة في عيونهم الوقحة قد تبدلت  
إلي ذعر خالص ها قد أتى فارسها العربي الغامض

ها قد أتى !!...

\*\*\*\*\*

### النهاية

تنويه كل الخواطر ليست لي فأنا لست كاتبة خواطر  
وضعت أسماء بعض الكتاب كما تراءى لي والبعض الآخر مجهول فعذرا  
لذلك .

شكروا جب

أريد شكر ممن ساعدني على ظهور تلك الرواية أخيرا للنور

صديقاتي البالغات الرومانسية اللاتي كان لهن بالغ الأثر حتى تخرج بهذا  
الشكل ،شكرا لكم كلمة قد لاتوفيكين حقكن لكن شكرا

( رومانسيات ليلاس )

شكرا للكاتبة الرائعة والصديقة العزيزة شيماء المارية على كل شيء ☺

شكراً بحجم السماء وأكثر لـ دارن وفريق العمل بها ☺

obeikandi.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Noon\_publishing@yahoo.com

ت-35860372 02-27772007 011-